حاتم إبراهيم عيسى

السِّحْرُ والجانُ والشيطانُ
عبرالأديان السماوية
اليهودية المسيحية الإسلام

الأوائل
2008

قرؤوا فوصلوا.... لنقرأ حتَّى نصل

تنويهٌ مُهمٌّ

من أجل تواصل أكثر مع السَّادة القُرَّاء، فقد خَصَّصْنَا آخر (16) صفحة من هذا الكتاب لمنشورات **الدار**؛ حيثُ يجد السَّادة القُرَّاء قائمة بمنشورات **الدار**، ولمحة إلى كُلِّ كتاب أصدرتْهُ **دار الأوائل**.

هذه القائمة تعطي انطباعاً عامَّاً عمَّا تنشرُهُ **دار الأوائل** من آراء، كما تُعطي لمحة عامَّة إلى الخطِّ الذي تنتهجه **الدار**، وهذا - بلا شكٍّ - سيجعل التَّواصل أسرعَ، وأقربَ، وأصدقَ.

فنرجو من السَّادة القُرَّاء قراءةَ هذه الصّفحات بتأنٍّ، وتدبُّر، ونرجو مُراسلتنا بمُلاحظاتكم، واستفساراتكم، عن الكُتُب التي تنشرها **دار الأوائل**.

السِّحْرُ والجانُ و الشيطانُ
عبرالأديان السماوية
اليهودية المسيحية الإسلام

الكتاب: السِّحْرُ والجانُ والشيطانُ عبر الأديان السماوية

اليهودية المسيحية الإسلام

التّأليف: حاتم عيسى

الإخراج الفني: عبد الله الكردي

الطّبعة الأولى: كانون الثاني **2008**

النَّاشر: دار **الأوائل** للنَّشر والتَّوزيع والخدمات الطّباعيَّة

سورية - دمشق - ص ب 10181

هاتــف: 00963 11 44676270/1/2

فـاكـس: 00963 11 44676273/4/5

جـــوَّال: 00963 933 411550 / 00963 933 327951

00963 988 629948

البريد الإلكتروني: ***alawael@scs-net.org***

موقع الدَّار على الإنترنت: ***www.daralawael.com***

الفهرس

الإهداء

إلى رسول الله ﷺ:

﴿ لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴾ التوبة 128.

وإلى آل بيته الطاهرين:

﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا ﴾ الأحزاب 33.

وإلى أصحابه المُخلصين:

﴿ لَّقَدۡ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ يُبَايِعُونَكَ تَحۡتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمۡ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيۡهِمۡ وَأَثَٰبَهُمۡ فَتۡحٗا قَرِيبٗا ﴾ الفتح 18.



المقدمة

الحمد لله رب العالمين، ملء السماوات والأرض، وما بينهما، إلى ما شاء الله تعالى، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، أفضل الصلاة، وأتمّها، وعلى آل بيته الطاهرين.

إن تأليف كتاب يبحث في موضوع الشَّرِّ بشكل عام لهو من الخطورة بمكان؛ لما لهذا البحث من الشمولية العامة في الأديان كافة، أو في أذهان الناس، وخاصة أن البلاء قد عمَّ، واختلطت الأفكار الصحيحة بالكثير من الخرافات المروية المتناقلة على مرِّ الأجيال، المُتعدِّدة، حتى أصبح من الصعب التمييز بين ما هو صحيح - كما في بعض الكُتُب السماوية كالقرآن العظيم - وما هو من الأساطير المروية، والخرافات.

إن الكُتُب السماوية والمراجع في التراث الإنساني كافة، والتي تبحث عن أصل الشَّرِّ، ومنبعه، واستمراره، كعامل خارجي محرّض وفعّال للنفس البشرية عبر التاريخ، تنسبه إلى قوة ما، أو آلهة معينة، كما في الأساطير التاريخية القديمة؛ كالرومان، أو اليونان، والتي - دائماً - هي ضدَّ الخير، الفاعلة والمُؤثّرة في الكون ومع نزول الأديان السماوية، وإرسال الرُّسُل والأنبياء - عليهم السلام - عبر التاريخ البشري، تمركزت فكرة الشَّرِّ، ومنبعه، إلى كائن مخلوق؛ هو الشيطان الأكبر، الذي اتخذ العداوة ضدَّ الإنسان منذ خلقه. وتُعدُّ النصوص الدينية أكثر وضوحاً، وتحديداً، لفكرة الشَّرِّ المُتمثِّلة في الملاك الهابط، أو الساقط إِبْلِيْس.

ومن إِبْلِيْس إلى الشياطين إلى الجنّ - عبر تسلسل واضح - تظهر فكرة الشَّرِّ مختلفة؛ كالسِّحْر، والشعوذة، والمسّ، والوسوسة، وغيرها لقد قمتُ بهذه المحاولة لجلاء الغموض، وكشف الأوهام عن عالم الجن، والشياطين، ومدى سعة ما يستطيعون، وما لا يستطيعون، حتى أضع الحقيقة كاملة بين أيدي الناس، وخاصة ممَّا يظنون أن عالم الجن والشياطين عالم يمكن للإنسان أن يتحكَّم فيه، ويُسخّره لأهدافه، وأغراضه، فمن الناس مَنْ يظنُّ أن الشياطين والجنّ تستطيع أن تعلم الغيب، وأن تُسبِّب الضرر، وأن تدلَّ على المال، وأن تشفي المرض، وأنهم يستطيعون استخدامهم للخير، أو للشَّرِّ، وربما للشَّرِّ أكثر، وزادت هذه الظاهرة،

حتى كادت تصبح وباءً خطيراً، بعد انتشار الفضائيات، فنحن نرى - يومياً - قراءات للأبراج، التي هي ضرب من عالم الغيب، واستضافة المنجّمات في المناسبات، وغيرها، وما لا يرى أعظم من السِّحْر، وضروبه، وفنونه.

لقد أوردت محطة الجزيرة منذ مدَّة زمنية (عام 2005)، أن العالم العربي يصرف سنوياً ما مقداره / 5 / مليار دولار سنوياً على أعمال السِّحْر، والدَّجَل، والشعوذة، فانظر إلى هذا الضرر المادي الذي يصيب الأمة، ويفتك بخيراتها في معصية الله تعالى، وإلى هذا الشِّرْك المخفي، الذي لا يُرى، والذي يهدم الدين، والدنيا.

إن هذا الموضوع من الخطورة؛ بحيث يجب التصدّي له، ومعالجته بسرعة، عبر وسائل الإعلام، ونشر الوعي والثقافة بين الناس، مع بيان ضرره.

لقد حاولتُ في هذا الكتاب أن أُوضِّح وأُبيِّن «حدود الجن والشياطين»، وأزيل الأوهام عن أذهان الناس، فيما يظنون أنه صحيح باعتقادهم، وعبر تقصِّي الكُتُب المقدَّسة كالتوراة والإنجيل والقرآن الكريم، واعتبرتُ القرآنَ العظيم المقياس والميزان الذي يقيس ويزن صحَّة ما يرد من الكُتُب الأخرى، بالإضافة إلى أحاديث الرسول - ﷺ - التي تخصُّ الموضوع، وطرحت بعضاً من الإسرائيليات، التي توجد في تراثنا الإسلامي، والتي تتَّصل بالموضوع، والتي هي مرفوضة أساساً، ولكنْ؛ أوردتها لِلَفْت انتباه القارئ إليها، وإلى أمثالها، ولتجنُّبها.

لقد أردتُ بكتابي هذا أن أُنير بعضاً من ظلمات الطريق، وأن أدقَّ ناقوس الخطر، عسى أن ينتبه الناس إلى هذه المشكلة. فهي مرض عضال، قد بدأ ينخر جسم الأمة الإسلامية، عبر روايات، وحكايات، وأساطير، تسرَّبت إلى العقول، من جيل إلى جيل، عبر مئات السنين.

لقد بحثتُ في حجم الشيطان والجنّ الحجم الصحيح، كما وصفهم القرآن الكريم، فوجدته حجماً بسيطاً ضعيفاً للمؤمنين وربما يكون عملي هذا غير كامل، ولا شامل، ولكنه ضربة قوية على صخرة الخرافة، والأساطير، التي تهدم العقول، والعقائد، والجيوب، وربما لا يتفق هذا العمل مع بعض العقليات لأيّ من الأسباب، لكنني أرجو - رغم ذلك كله - أن يحقِّق الفائدة المرجوَّة، ولا أنشد من ذلك سوى الأجر والثواب عند الله - تعالى - يوم الحساب، والحمد لله ربِّ العالمي، وبه نستعين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين؛ محمد ﷺ وآل بيته الطاهرين.

إبْلِيْس في قصَّة الخَلْق

إن الكُتُب والمراجع كافة، التي بين أيدينا، والتي تبحث عن الجنّ والشياطين والملائكة أول ما تبدأ بقصَّة الخَلْق الأولى، للارتباط الوثيق بين عناصرها المتمثِّلة في إِبْلِيْس، وآدم عليه السلام، والحية، والملائكة، وما جرى فيها من عصيان لأوامر ربّ العالمين، مما أدَّى إلى هبوط المشتركين فيها إلى الأرض، بعد مَسْخهم، وخاصة بالنسبة إلى إِبْلِيْس، والحية، والتغيُّر الذي أصاب آدم وزوجه، عليهما السلام. لذلك لابد لنا من سرد القصة ومعالجتها من حيث أن إِبْلِيْس - في المصادر الدينية كافة - هو الشيطان الأكبر، والذي تنتسب إليه الشياطين، أو جزء منها، بعد هبوطه، وتسلُّطه، وجنوده على نسل آدم عليه السلام، حسداً، وبغياً، لسيدنا آدم عليه السلام؛ لأننا أبناؤه، جيلاً بعد جيل إلى يوم القيامة.

إن ما ورد في القرآن العظيم وأحاديث الصحابة كعليّ عليه السلام، وابن العَبَّاس رضي الله عنه، والتابعين، والمُفسِّرين بعدهم، أخبرتْ أن الله - سبحانه وتعالى - خلق في الأرض خلقاً أفسدوا فيها، وأساؤوا إلى بعضهم البعض، وسفكوا الدماء، حتى استوجبوا نقمة الله - سبحانه - عليهم، وغضبه، ثم عقابه.

ولقد أشارت الآيات الكريمة إلى أن الجان مخلوقون قبل آدم بزمن غير محدَّد، وكما سيرد، ومنهم إِبْلِيْس لعنه الله؛ بقوله تعالى، وذلك بآياته الكريمة، قال تعالى: ﴿ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ﴾ الأعراف 12، وقوله ﴿ وَٱلْجَآنَّ خَلَقْنَـٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ ٱلسَّمُومِ﴾ الحجر 27.

﴿ وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ﴾ الرحمن 15، ثم أحاديث رسول الله، صلى الله عليه وآله وسلم.

ثم حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «خُلِقَت الملائكةُ من نور، وخُلق الجان من مارج من نار، وخُلق آدم ممَّا وُصف لكم». رواه مسلم.

الإثبات القرآني:

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرٗا مِّن طِينٖ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيۡتُهُۥ وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمۡ أَجۡمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبۡلِيسَ ٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ ص 71 – 74. وسورة الكهف 50: ﴿ إِلَّآ إِبۡلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ فَفَسَقَ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِۦٓ ﴾. إن هذه الآيات الكريمة تثبت لنا أن هناك خلقاً قبل آدم عليه السلام قد سكنوا الأرض، وعمّروها بأمر الله تعالى، وأفسدوا فيها، وسفكوا الدماء.

وقد أجمع الفقهاء والمُفسّرون جميعاً على أن الأرض قد سُكِنَتْ من قِبَل طائفة هي الجنّ.

وذكر الطبري في تاريخه: عن ابن عبَّاس قال: «إن من الملائكة قبيلة من الجنّ، وكان إِبْلِيْس منها يسوس ما بين السماء والأرض». وهنا يسوس بمعنى يُشرف على هذه القبيلة.

وعن ابن العَبَّاس قال: كان إِبْلِيْس من حيٍّ من أحياء الملائكة، يُقال لهم الجنّ، خُلقوا من نار السموم، من بين الملائكة يُقال لهم الجنّ، خُلقوا من نار السموم، من بين الملائكة، قال: وكان اسمه الحارث، وكان خازناً من خزَّان الجنة، قال: وخُلقت الملائكة كلّهم من نور غير هذا الحي.

وقال: وخُلقت الجنّ الذين ذُكروا في القرآن الكريم من مارج من نار، وهو لسان النار، الذي يكون في طرفها إذا ألهبت، قال: وخُلق الإنسان من طين، وكان أول مَنْ سكن الأرضَ الجنُّ، فأفسدوا فيها، وسفكوا الدماء، وقتل بعضهم بعضاً، فبعث اللهُ إِبْلِيْسَ في جنود من الملائكة، وهم هذا الذي يُقال لهم الجنّ، فقتلهم إِبْلِيْسُ ومَنْ معه، حتى ألحقهم بجزائر البحار، وأطراف الجبال، فلمّا فعل ذلك اغترَّ في نفسه، وقال: قد ضيَّعتُ شيئاً لم يضعه أحد. قال: فاطلع الله على ذلك من قلبه، ولم تطلع عليه الملائكة الذين كانوا معه. والإثبات القرآني أن هناك خلقاً قبل خلق آدم عليه السلام فعلوا شيئاً ما استدعى غضب الله تعالى ورؤية ابن العَبَّاس تُبيِّن لنا نوع هذه الفئة.

والملاحظ في هذه الرواية: أن هناك نوعَيْن من الجن، فحسب القرآن الكريم: أولاً: الجن الذين سكنوا الأرض. وثانياً: جنّ من الملائكة، الذين حاربوا مع إِبْلِيْس، حسب تفسير الآية الكريمة. وفي رواية أخرى:

عن ابن عَبَّاس: كان إِبْلِيْس قبل أن يركب المعصية من الملائكة، واسمه عزازيل، وكان من سكان الأرض، وكان من أشدّ الملائكة اجتهاداً، وأكثرهم علماً، فذلك الذي دعاه إلى الكبر، وكان من حيّ يُسمّون جنّاً. وباختصار؛ فإن آراء المفسّرين لقصة إِبْلِيْس قد اختلفوا بالرأي بين أن يكون إِبْلِيْس من الجنّ، أم من ملائكة تُسمَّى فئة منهم بالجن.

وفي رواية عن أمير المؤمنين عليّ ابن أبي طالب كرم الله وجهه: أنه سُئل: هل كان في الأرض خلق من خلق الله – تعالى – قبل آدم، يعبدون الله تعالى ؟! فقال: نعم، خلق الله – تعالى – الأرض، وخلق فيها أمماً من الجن، يُسبّحونه، ويُقدّسونه، ولا يفترون، وكانوا يطيرون إلى السماء، ويُسلّمون عليهم، ويتعلّمون منهم الخير، ويعلمون منهم بخبر ما يجري في السماء.

ثمّ إن طائفة من الجنّ تمردوا، وعتوا عن أمر الله تعالى، وبغوا في الأرض بغير حق، وعلا بعضهم على بعض، حتى سفكوا الدماء، وأظهروا الفساد، وجحدوا الربوبية، وأقام الآخرون المطيعون على دينهم وعبادتهم، وباينوا الذين عتوا عن أمر الله.

القاضي إِبْلِيْس:

ويبدأ الأمر حسب ما أورده المفسّرون من أجل إِبْلِيْس، وقيل إن سبب هلاكه كان أن الأرض كانت من قبل آدم مسكونة بالجن، فبعث الله – تعالى – إِبْلِيْس قاضياً، يقضي بينهم بالحق، فلم يزل يقضي بينهم بالحق ألف سنة، حتى سُمِّي حكيماً، وسمّاه به الله سبحانه وتعالى، فعند ذلك دخله الكبر، فتعاظم، وتكبر، وألقى بيد الذين كان الله – تعالى – بعثه إليهم

حُكْمَيْ البأس، والبغضاء، فاقتتلوا عند ذلك في الأرض ألفي سنة فيها زعموا [1] [2]، فذلك قول الملائكة: ﴿أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ البقرة 30.

إِبْلِيْس عند الأمم القديمة:

لقد وردت قصة الجن وإِبْلِيْس عند أقوام كثيرين لدى الهنود، والفُرْس، واليونان، وذكروا ولادات الجن، وقبائلهم، وأسماء ملوكهم، وزعموا أنهم افترقوا على إحدى وعشرين قبيلة، ثم؛ وبعد خمسة آلاف سنة ملَّكوا عليهم ملكاً يُقال له شمائيل بن أرس جن، ثم افترقوا، فملّكوا عليهم خمسة ملوك، فأقاموا بذلك دهراً طويلاً، ثم أغار بعض الجن بعضاً، وكانت بينهم وقائع كثيرة، وحروب شديدة، وكان إِبْلِيْس منهم، وله أسماء كثيرة باختلاف اللغات، ومنها أن اسمه بالعربية الحارث، ويُكنَّى أبا هرَّة، عظيم الخلق، وكان يصعد إلى السماء، ويقف بين صفوف الملائكة، ويجتهد في العبادة. .فلمَّا بغى بعض الجن على بعض، وكانت تلك الحروب، أُهبط إلى الأرض في خبر من الملائكة، فهزَّهم، وقتلهم، فكانت مكافأته بأن جُعل ملكاً على الأرض، فتجبَّر، وطغى، وكان امتناعه عن السجود لآدم عليه السلام، كما أنبأنا الله - سبحانه وتعالى - في كتابه العزيز، فأُهبط في أقبح صورة، وأشدّها تشويهاً، فأنكره جميع قبائل الجن، واستوحشوا منه. فلمّا رأى ذلك، سكن البحرَ، وجعل له عرشاً على الماء، ثم جعل له ولادة، كما جُعلت لآدم، فأُلقيت عليه شهود السفاد، وجُعل لقاحه كلقاح الطير، وبيضه كبيضه. [3]

---

(1) المسعودي: أخبار الزمان، ص 33، من كتاب موسوعة أساطير العربية، ص 57.

(2) الشبلي: آكام المرجان في عجائب وغرائب الجان، ص 237.

(3) أخبار الزمان، المسعودي، ص 34.

إِبْلِيْس خازن من خزَّان الجنة:

وتتابع الروايات لتُوجد لنا سبباً في وجود إِبْلِيْس بين الملائكة، عن ابن العَبَّاس قال: لَّمَا فرغ الله – عزّ وجلّ – من خَلْق ما أَحَبَّ، استوى على العرش، فجعل إِبْلِيْس على ملك سماء الدنيا، وكان هناك قبيلة من الملائكة يُقال لهم الجن، وإنما سُمّوا الجن؛ لأنهم خُزَّان الجنة، وكان إِبْلِيْس خازناً فوق، في صدره كبر، وقال: أعطاني الله هذه المزية لي على الملائكة، فاطَّلع الله على ذلك منه، فقال الله للملائكة ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ البقرة 30 [1]، ونحن نجد – عبر كافة القراءات لكافة الروايات المذكورة عند الطبري، والمسعودي وغيرهما من المفسّرين – أن الله – تعالى – خلق الجن، وإِبْلِيْس منهم، ولا يهمنا – هنا – إن كانت الجن قبيلة من الملائكة، أو دونها بالجنس، فهم مخلوقون من عنصر مختلف عن الملائكة، ألا وهو النار، فسكنوا الأرض، وأفسدوا فيها، وسواء كان إِبْلِيْس قاضياً، أو حاكماً، أو خازناً من خزَّان الجنة، فإنه أصابه الغرور، والتكبُّر، واستكبر على أمر الله تعالى، فسقط إلى يوم القيامة، وأصبح مصدراً للشَّرِّ، والغواية، والحقد على آدم عليه السلام، وأبنائه، إلى يوم الدين.

ونستغرب من بعض المؤلّفين الذين نظروا إلى حال إِبْلِيْس، فاعتبروه الشهيد الحي، الذي يمشي على الأرض، والملاك الساقط المظلوم في كثير من الكُتُب، والروايات، حتى العربية منها.

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ ۖ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾

(1) الطبري، جـ1، ص 95.

﴿قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ ص 71 - 83.

ولقد لخَّص الإمام القرطبي جميع الآراء السابقة التي أوردناها في تفسيره لسورة البقرة، وأوردها جميعاً.

بداية الصراع الأبدي:

ما إن سقط إِبْلِيس برفضه الامتثال والطاعة لأمر الله تعالى، واستكباره عن السجود لآدم، حتى أخذته العزَّة بالإثم، وأقسم بعزّة الله - تعالى - على النيل من بني آدم جميعاً، أو ما يقدر عليه منهم، وأظهر حقده الدفين، وأجاب العليَّ القديرَ بأنه سيصرفهم عن الحقِّ، والصراط المستقيم؛ لينالوا الجزاء على ذلك، كما نال هو جزاءَيْن على فعله: الأول: بمسخه إلى شيطان رجيم مطرود من رحمته تعالى، وطرده من الملكوت الأعلى، والثاني: عذابه في جهنَّم يوم الدين.

لقد كانت شهوة التكبُّر والحسد بداية السقوط لإِبْلِيس، قال تعالى:﴿ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴾ ص 83، وقوله ﴿ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴾ الإسراء 61، ﴿ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴾ الحجر 33، فكفَّره الله - تعالى - بذلك.

وحسد إِبْلِيسُ آدمَ، وقرَّر إغواءه؛ لما له من المنزلة الرفيعة عند الله تعالى، ولأنه السبب في طرده ولعنه إلى يوم الدين. وقرّر جَذْب الخلق إليه، وصَرْفهم عن الحق، والهدى، إلى الضلالة، والباطل، قال تعالى: ﴿ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ سورة ص 82 - 83.

﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ الأعراف 16. يقول ابن عَبَّاس رضي الله عنهما في شرح فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى؛ أيْ خيَّبتني من رحمتكَ؛ أيْ أبعدتني، وأفسدت عليّ الأمر. «القرطبي، تفسير سورة الأعراف، ص 175».

وتتوالى الخطوات، فيسكن آدم، وزوجه الجنة، ويكرمه الله – تعالى – بالعيش فيها رغداً، ويطلق الله – سبحانه – لهما أن يأكلا من ثمار الجنة جميعها غير ثمار شجرة واحدة، ابتلاءً منه، واختباراً لهما، وليمضي قضاء الله – تعالى – فيهما، وفي ذُرّيّتهما، قال تعالى:

﴿وَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ البقرة 35.

ورغم أن الله – سبحانه وتعالى – قد حذَّر آدم ومن إبْلِيْس، وحبائله، وبيَّن لهما أن هذا الشيطان هو عدوّ لهما ﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ﴾ طه 117.

لكن إبْلِيْس وجد طريقة لمخاطبة آدم وزوجته عليهما السلام في الجنة، ونجح في استخدام مكره، وخداعه، في تضليل آدم، ووسوس له ولزوجته، وأقنعهما بالمُلك الذي لا يبلى، وبالخلود، فلا تموتان أبداً.

وهذا حديث أبي هريرة: عن النبي – ﷺ – قال: إذا قرأ ابنُ آدم السجدةَ، فسجد، اعتزل الشيطان يبكي يقول: يا ويله، وفي رواية: يا ويلي، أُمر ابنُ آدم بالسجود، فسجد، فله الجنة، وأُمرتُ بالسجود، فأبيتُ، فلي النار. وأقسمَ على ذلك بالله تعالى كذباً، وزوراً.

قال تعالى: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَـٰنُ﴾ الأعراف 20، ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَـٰنُ قَالَ يَـٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ﴾ طه 119، ﴿وَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَـٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَـٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ البقرة 35 – 36، أزلهما بالوسوسة، فأُهبطوا جميعاً عدواً بعضهم لبعض، ومنهم الحية.

قصة الخلق في التوراة:

[25 فَعَمِلَ اللهُ وُحُوشَ الأَرْضِ كَأَجْنَاسِهَا، وَالْبَهَائِمَ كَأَجْنَاسِهَا، وَجَمِيعَ دَبَّابَاتِ الأَرْضِ كَأَجْنَاسِهَا. وَرَأَى اللهُ ذلك أَنَّه حَسَنٌ. 26 وَقَالَ اللهُ: «نَعْمَلُ الإِنْسَانَ على صُورَتِنَا كَشَبَهِنَا، فَيَتَسَلَّطُونَ على سَمَكِ الْبَحْرِ وعلى طَيْرِ السَّمَاءِ وعلى الْبَهَائِمِ، وعلى كُلِّ الأَرْضِ، وعلى جَمِيعِ الدَّبَّابَاتِ التي تَدِبُّ على الأَرْضِ». 27 فَخَلَقَ اللهُ الإِنْسَانَ على صُورَتِهِ. على صُورَةِ الله خَلَقَهُ. ذَكَرًا وَأُنْثَى خَلَقَهُمْ. 28 وَبَارَكَهُمُ اللهُ وَقَالَ لَهُمْ: «أَثْمِرُوا وَاكْثُرُوا وَامْلأُوا الأَرْضَ، وَأَخْضِعُوهَا، وَتَسَلَّطُوا على سَمَكِ الْبَحْرِ وعلى طَيْرِ السَّمَاءِ وعلى كُلِّ حَيَوَانٍ يَدِبُّ على الأَرْضِ»·]. (سِفر التكوين، الإصحاح الأول 25 – 28).

[7 وَجَبَلَ الرَّبُّ الإِلهُ آدَمَ تُرَابًا مِنَ الأَرْضِ، وَنَفَخَ فِي أَنْفِهِ نَسَمَةَ حَيَاةٍ. فَصَارَ آدَمُ نَفْسًا حَيَّةً. 8 وَغَرَسَ الرَّبُّ الإِلهُ جَنَّةً فِي عَدْنٍ شَرْقًا، وَوَضَعَ هناك آدَمَ الذي جَبَلَهُ.]. (سِفر التكوين، الإصحاح الثاني 7 – 8).

[9 وَأَنْبَتَ الرَّبُّ الإِلهُ مِنَ الأَرْضِ كُلَّ شَجَرَةٍ شَهِيَّةٍ لِلنَّظَرِ وَجَيِّدَةٍ لِلأَكْلِ، وَشَجَرَةَ الْحَيَاةِ فِي وَسَطِ الْجَنَّةِ، وَشَجَرَةَ مَعْرِفَةِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ·]. (سِفر التكوين، الإصحاح الثاني 10).

[16 وَأَوْصَى الرَّبُّ الإِلهُ آدَمَ قَائِلاً: «مِنْ جَمِيعِ شَجَرِ الْجَنَّةِ تَأْكُلُ أَكْلاً، 17 وَأَمَّا شَجَرَةُ مَعْرِفَةِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ فَلاَ تَأْكُلْ منها، لأَنَّكَ يَوْمَ تَأْكُلُ منها مَوْتًا تَمُوتُ»]. (سِفر التكوين، الإصحاح الثاني 16– 17).

– حديث ابن مسعود؛ عن النبي – ﷺ – قال: لمَّا قال الله – تعالى – لآدم: ﴿ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ البقرة 35، أراد أن يدخل عليهما الجنة، فَمَنَعَهُ الخَزَنَةُ، فأتى الحية، وهي دابَّة لها أربع قوائم كأنها البعير، وهي كأحسن الدوابّ، فكلَّمها أن تُدخله في فمها إذا جاءت إلى آدم، فَأَدْخَلَتْهُ في فمها، فمرَّت الحية على الخَزَنَة، فدخلت، وهم لا يعلمون، لما أراد الله – تعالى – من الأمر، فكلَّمه من فمها، فقال: هل أدلُّكَ على شجرة الخُلد...

ثم يخلق الله - تعالى - حواء من آدم، وهو نائم:

[1 وَكَانَتِ الْحَيَّةُ أَحْيَلَ جَمِيعِ حَيَوَانَاتِ الْبَرِّيَّةِ التي عَمِلَهَا الرَّبُّ الإلهُ، فَقَالَتْ لِلْمَرْأَةِ: «أَحَقًّا قَالَ اللهُ لا تَأْكُلاَ مِنْ كُلِّ شَجَرِ الْجَنَّةِ؟» 2 فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ لِلْحَيَّةِ: «مِنْ ثَمَرِ شَجَرِ الْجَنَّةِ نَأْكُلُ، 3 وَأَمَّا ثَمَرُ الشَّجَرَةِ التي فِي وَسَطِ الْجَنَّةِ فَقَالَ اللهُ: لَا تَأْكُلاَ منه وَلاَ تَمَسَّاهُ لِئَلاَّ تَمُوتَا». 4 فَقَالَتِ الْحَيَّةُ لِلْمَرْأَةِ: «لَنْ تَمُوتَا! 5 بَلِ اللهُ عَالِمٌ أَنَّه يَوْمَ تَأْكُلاَنِ منه تَنْفَتِحُ أَعْيُنُكُمَا وَتَكُونَانِ كَالله عَارِفَيْنِ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ». 6 فَرَأَتِ الْمَرْأَةُ أَنَّ الشَّجَرَةَ جَيِّدَةٌ لِلأَكْلِ، وأنَّها بَهِجَةٌ لِلْعُيُونِ، وَأَنَّ الشَّجَرَةَ شَهِيَّةٌ لِلنَّظَرِ. فَأَخَذَتْ مِنْ ثَمَرِهَا وَأَكَلَتْ، وَأَعْطَتْ رَجُلَهَا أيضاً مَعَهَا فَأَكَلَ. 7 فَانْفَتَحَتْ أَعْيُنُهُمَا وَعَلِمَا أَنَّهُمَا عُرْيَانَانِ. فَخَاطَا أَوْرَاقَ تِينٍ وَصَنَعَا لأَنْفُسِهِمَا مَآزِرَ].(سفر التكوين، الإصحاح الثالث 1-7).

[12 فَقَالَ آدَمُ: «الْمَرْأَةُ التي جَعَلْتَهَا مَعِي هي أَعْطَتْنِي مِنَ الشَّجَرَةِ فَأَكَلْتُ». 13 فَقَالَ الرَّبُّ الإلهُ لِلْمَرْأَةِ: «مَا هذا الذي فَعَلْتِ؟» فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ: «الْحَيَّةُ غَرَّتْنِي فَأَكَلْتُ». 14 فَقَالَ الرَّبُّ الإلهُ لِلْحَيَّةِ: «لأَنَّكِ فَعَلْتِ هذا، مَلْعُونَةٌ أَنْتِ مِنْ جَمِيعِ الْبَهَائِمِ وَمِنْ جَمِيعِ وُحُوشِ الْبَرِّيَّةِ. على بَطْنِكِ تَسْعَيْنَ وَتُرَابًا تَأْكُلِينَ كُلَّ أَيَّامِ حَيَاتِكِ. 15 وَأَضَعُ عَدَاوَةً بَيْنَكِ وَبَيْنَ الْمَرْأَةِ، وَبَيْنَ نَسْلِكِ وَنَسْلِهَا. هُوَ يَسْحَقُ رَأْسَكِ، وَأَنْتِ تَسْحَقِينَ عَقِبَهُ»]. (12 - 16).

[22 وَقَالَ الرَّبُّ الإلهُ: «هُوَذَا الإِنْسَانُ قد صَارَ كَوَاحِدٍ مِنَّا عَارِفًا الْخَيْرَ وَالشَّرَّ. وَالآنَ لَعَلَّهُ يَمُدُّ يَدَهُ وَيَأْخُذُ مِنْ شَجَرَةِ الْحَيَاةِ أيضاً وَيَأْكُلُ وَيَحْيَا إلى الأَبَدِ»]. (سِفْر التكوين، الإصحاح الثالث 22).

نشاهد هنا من الإصحاح (1 - 2 - 3) أن قصة الخَلْق التوراتي خالية من إِبْلِيس، ورفضه السجود لآدم، وإغواؤه، كما هي صريحة في القرآن العظيم، ومتعدّدة في سور كثيرة، والتي تؤكّد حصول الحَدَث على عكس التوراة، التي لا تتحدَّث عن ذلك، وتبريرها «بأنه جوهر أنبل»؛ أيْ آدم، ثم بعد أن تبيَّن لنا أن الحكاية قد تطوَّرت بتأثير مسيحي، بينما نفى اليهودية الحكاية أن الملائكة تُشرِّف آدم بسبب حكمته، وجماله، ولكن الله - تعالى - يمنع الملائكة من

النظر إلى آدم كقدِّيس، فيأخذه في سبات عميق [1]. وأما في المسيحية؛ فإن أشهر عرض للحكاية موجود في «حياة آدم وحواء».

أجاب إِبْلِيْس: آدم؛ ماذا تقول لي ؟ بسببكَ أُخرجتُ من الجنة، أنا من هناك، فعندما جُبِلْتَ أنتَ، أُخرِجْتُ أنا من وجه الله تعالى، وطُرِدْتُ من جماعة الملائكة. وفي مقطع آخر نجد: «أنا الذي من نار، وروح، وليس عليّ أنا أن أسجد للتراب، الذي جُبلَ من حبة رمل واحدة». [2]

بينما نجد أنه في التوراة قد قامت الحية بدور إِبْلِيْس في عملية الإغواء، أو السقوط لآدم عليه السلام، وإخراجه من الجنة، لذلك؛ نجد كثيراً من الأساطير السابقة في الأمم الماضية قد جعلت للأفعى مكانة سامية في أساطيرها، وأيضاً؛ نجد أن الشياطين والجنّ قد تمثَّلت أكثر في الحيَّات والأفاعي دلالة على رمزية الشَّرِّ. وأيضاً؛ إن مراجعتنا لقَصَص الخَلْق الأولى في الميثولوجيا القديمة، والتي حاول الباحثون، وأكّدوا وجود بعض عناصر التشابه الموجودة فيها ما بين وادي الرافدَيْن، وحتى التوراة، والتي استدلّوا منها عن نقل واضح مُتعدّد لكثير من الأحداث ما بينها وبين وادي الرافدَيْن.

إن ما يحاول أن يقوم به علماء الأنثربولوجيا من المقارنة بين التوراة - الدين السماوي الإلهي - وما بين الأسطورة والحيَّة، وخاصة في قصَّة الخَلْق، والتي تؤدّي إلى مقولة تطوُّر الدين البدائي مع تطوُّر الشعوب القديمة، وتدرُّجها في سُلَّم الحضارة، ورُقيّها أسلوب خاطئ من وجهة النظر الإسلامية.

ففي الأساطير نجد أن الآلهة خَلَقَتِ الإنسانَ ليخدمها، ويُقدِّم لها الغذاء، ويعمل، ويكدح، ويشقى لسعادة الآلهة. [3]

في أسطورة الخَلْق البابلية والسومرية والتوراتية كان خَلْق الإنسان واحداً متشابهاً [4]؛ حيث جاءت الأسطورة السومرية - التي يعود زمن تدوينها إلى الألف الثالث قبل الميلاد -

---

(1) القَصَص الدينية، تأليف هاينريش شباير، ترجمة نبيل فياض، ميشائيل موررايش، لبنان، ط 1، 1996، ص 104.

(2) المصدر السابق نفسه، ص106.

(3) راجعْ: من الوعي الأسطوري إلى بداية التفكير الفلسفي النظري، ص 248، عبد الباسط سيدا.

(4) من سومر إلى التوراة: د فاضل عبد الواحد، ص 259، سينا للنشر.

إلى أن الإلهة أصابها الجوع، بعد أن تكاثرت، وزاد عددها، وأن الإلهة «نمو» الأمّ، التي ولدت كلّ الآلهة جاءت إلى «أنكي» إله المياه، وطلبت منه أن يخلق عبداً للآلهة، يُنتج لها طعامها، وكان جواب أنكي أن الأمر ممكن، وأن عليها أن تأخذ شيئاً من الطين، وسط مياه العمق، وتخلق منه الإنسان.

نجد في هذه الأساطير أن الإنسان يتحمَّل العقوبة والحرمان من الخلود بسبب عصيانه لأوامر الآلهة، ويظهر الشَّرُّ واضحاً مُتمثِّلاً في الأفعى في التوراة.

ويظهر لنا ذلك - بشكل مُتميِّز - في الديانة المانوية لاحقاً، والتي عاصرت حتى الديانة السماوية الإسلامية؛ حيثُ يقوم العالم على مبدأَيْن؛ الأول وهو الله تعالى، ملك النور، والشيطان المُظلم المُسمَّى إِبْلِيْس قديماً. ونجد أن هذا الشيطان يتحرَّك يُمنة، ويُسرة، وإلى الأسفل، يُهلِكُ كُلَّ مَنْ غالبه، ولمَّا رام العُلا رأى لمحات النور، فأعدَّ نفسه، وتسلَّح لمواجهته؛ استعداداً بالانقضاض على مملكة النور من أسفلها، فعلم بذلك ملك النور، واحتال لقهره، وكان جنوده قادرين على قهر إِبْلِيْس، ولكنه أراد أن يتولَّى ذلك بنفسه، فأولد مولوداً هو الإنسان، وندبه لقتال (إِبْلِيْس)[1].

إن جميع ما ورد سابقاً يُصوِّر لنا مبدأ الشَّرِّ مُتمثِّلاً في الشيطان كَبَطَل للحَدَث الذي - بموجبه - حدثت المأساة، وإنْ تعدَّدت الشخصيات المساعدة الثانوية، ففكرة الشَّرِّ واضحة في موقف إِبْلِيْس؛ ففي التوراة يظهر - بوضوح - رفض السجود وعصيان أوامر الله تعالى، واستكباره على آدم، كما هي واضحة في القرآن العظيم، إلا إذا اعتبرنا أن الشيطان كان بداخل الحيَّة ضمناً. كما أن الديانات الأولى للشعوب القديمة وأساطيرها مثَّلت أسطورة الشَّرِّ فيها في رمزية الأفعى كعدوٍّ للإنسان.

ويُظهِر لنا الشيطان الأكبر - بوضوح أكثر - مواقف عدائية، وأكثر شراسة في التوراة، في مقاطع كثيرة، وخاصة سِفْر أيوب.

---

(1) وُلد ماني صاحب الديانة في 216م، المرجع دين الإنسان، فراس السوَّاح،66.

وبينما عُدَّت الحيَّة هي السبب في السقوط - سقوط الإنسان - بتقديمها الإغراء وسيلة في التوراة، نجد أن الديانات المسيحية مثَّلتْ عناصر الشَّرِّ أكثر، وعدَّت الشيطانَ المسؤولَ عمَّا حدث؛ بسبب الحسد لآدم، وبالتالي؛ فهو يسعى - دائماً - إلى الانتقام من نسله، ويسعى جاهداً في جَرِّ الإنسان للضلالة، ويعتبر الإنسانَ عدوَّه الأوحد، الذي يمكن تجربته دائماً، مهما كانت مرتبته، فنراه يدعو المسيح - عليه السلام - إلى السجود له، ويُريه ممالك الأرض؛ فقط لدفعه لاقتراف الخطيئة.

ونأخذ القصَّة في القرآن العظيم أكثر تناسقاً، وانسجاماً، وتناغماً، فهي تعطيك القناعة العقلية، والنفسية عن حَدَثٍ حصل في عالم الغيب، عالم الحقيقة المباشرة، الخالي من عالم الأسطورة، وتُظهر لنا - بشكل واضح، ومُميَّز - الحَدَثَ الأكبر لإِبْلِيْس في الإغواء، والسقوط.

إن ما نُشاهده من تشابه في عناصر القَصَص والأساطير الأولى للشعوب القديمة عن الخَلْق، أو الحيَّة، أو الشيطان، أو غيره، مما سوف يأتي لاحقاً، كأسطورة جلجامش، وسيدنا نوح عليه السلام، لَتُثْبِتُ بالدليل القاطع أن الأصل واحد، وأن الفكرة واحدة، وأن الحقيقة هي ما كان، وأن المنبع الأساسي لها هو المصدر الإلهي، وإن كانت هذه الحقيقة قد أُضيف إليها، أو تغيَّرت بفعل عوامل الزمن، والتأثيرات اللاحقة عبر القرون من كثير من الأجيال المتعاقبة، والتي أضافت إلى الفكرة الأولى ما أضافت، عبر كثير من الكَهَنَة، أو السَّحَرَة، أو الشياطين، أو لضرورات إنسانية تجعلنا نتمسَّك - بشدَّة - بالمصدر الإلهي للفكرة الأولى، والحقيقة الساطعة، وقد أخبرنا - سبحانه وتعالى - في القرآن العظيم بأنه أرسل الأنبياء والمرسلين منذ فجر الخليقة الأولى، حتى لا يكون على الله - سبحانه - حجَّة من قِبَل الناس، قال تعالى: " وما من قرية إلا خلا فيها نذير " وعن الأنبياء والرُّسُل قوله تعالى:

﴿ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ﴾ غافر 78.

وأرسلهم بالهدى والحقّ لهداية الناس، وبيان للثواب، والعقاب، كلّ حسب بيئته، وحياته، ومعاشه، وتوالت الرُّسُل والأنبياء على المجتمع الإنساني كلما ارتقى في سُلَّم التطوُّر الاجتماعي، والاقتصادي، والثقافي، والعلمي، لذلك لا يجب أن تشغلنا الإضافات والزيادات التي حدثت عن الحقيقة الأولى، وأن العدوَّ الأول الُمترِّبص بنا دائماً وبنهج وشرائع

الأنبياء والرُّسُل ليُحرِّفها عن مسارها، وطريقها الذي وضعها فيه الله تعالى، ويُضلّ بها الشيطان الكثير من عباد الله، ولنا في ذلك مثال، فأولاً؛ الجزيرة العربية كانت - في فترة من الفترات - على ديانة سيدنا إبراهيم عليه السلام، الديانة الحنيفية، فاستطاع رجل واحد من سادة القوم - يومها - حسب أقوال المُؤرِّخين العرب وهو عمر بن لحي الخزاعي أن يُحرِّف هذه الديانة عن مسارها، وعن طريقها، وتوحيدها، إلى الإشراك بالله تعالى، عبر جَلْبه الأصنام إلى الجزيرة، ومكَّة بالذات، وعبادتها عبر أجيال كثيرة من الناس. ثم كيف علَّلتْ قريش ذلك، بعد أن دعاها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلى الإسلام بقولهم كما جاء في القرآن العظيم: ﴿ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴾ الزخرف 22.

﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾ الزمر 3.

ولنا في قصة السيد المسيح - عليه السلام - العبرة من عدوِّنا الأول، الذي أَضَلَّ بالسيد المسيح كثيراً من العباد، كما ورد في بعض الأحاديث، وغيرها، ممَّا أورده المُفسّرون.

إن الحقّ والهدى اللذَيْن جاء بهما أنبياء الله - تعالى - من الله - سبحانه - قد تناميا، وتطوَّرا - لاحقاً - عبر الشرائع والنهج المتواليين على الإنسانية، حتى اكتمل بنيانها باكتمال التطوُّر الإنساني نفسه، وظهرت حقائقها جليّة واضحة في القرآن العظيم، وهو الحُجَّة الكبرى لله - تعالى - على خَلْقه إلى يوم الدِّين.

ما حدث بعدها:

قال تعالى: ﴿ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ البقرة 36.

﴿ قَالَ ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ الأعراف 24.

قال: ﴿ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴾ طه 122.

هبط آدم وحوَّاء عليهما السلام، ومُسِخَت الحيَّة، وهبطت، ومُسخ إبْلِيْس، وخرج من الملأ الأعلى ملعوناً مطروداً، من رحمة الله تعالى. [1]، وسكنوا الأرض، التي جعلها الله - سبحانه وتعالى - متاعاً ومُستقرّاً إلى حين، وبقي إبْلِيْس خالداً، إلى يوم القيامة، عدوّاً أبدياً لآدم وذُرِّيَّته من بعده، يدسُّ دسائسه، ويرمي شباكه لجَرِّ ابن آدم إلى معصية الله تعالى، والإشراك به، وكان أول عمل قام به إبْلِيْس ما أورده المُفسِّرون في العصر الإسلامي لتفسير الآية الكريمة، مثل ابن كثير [2]، حين فسَّر قوله تعالى:

﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ ۖ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ۝١٨٩ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ الأعراف 189 - 190.

(1) أُهبط الله آدم عليه السلام بسرنديب (سري لانكا)، وحوَّاء بجَدَّة، وإبْلِيْس ببيسان، والحيَّة بأصبهان، انظر المسعودي، مروج الذهب، ص 43.

(2) تفسير ابن كثير لسورة الأعراف، ص 253، جـ9، طبع المكتبة العصرية ببيروت.

وقال الإمام أحمد بن حنبل في مسنده عن تفسير الآية الكريمة قال: لَمَّا وَلَدَتْ حوَّاءُ، طاف بها إِبْلِيْس، وكان لا يعيش لها ولد، فقال: سمِّيه عبد الحارث، فإنه يعيش، فَسَمَّتْهُ الحارث، فعاش، وكان ذلك من وحي الشيطان، وأمره، ومن أسماء إِبْلِيْس الحارث.

وعن ابن عبَّاس، عن أبي بن كعب قال: لَمَّا حملت حوَّاء، أتاها الشيطان، فقال لها: أَتُطيعيني، ويَسْلَم ولدكِ؟سَمِّهِ الحارثَ، فلم تفعل، فوُلد، فمات، ثم حملت، فقال لها مثل ذلك، فلم تفعل، ثم حملت الثالثة، فجاءها، فقال: إنْ تطيعيني يَسْلَم، وإلا فإنه يكون بهيمة، فَهَيَّبَهُما فأطاعاه. أخبر ابن كثير هذه الروايات عن أهل الكتاب الذين لا يُكذَّبون، ولا يُصدَّقون.

بينما أورد الطبري الرواية بأسلوب مختلف، قال:

كانت حواء لا يعيش لها ولد، فنذرتْ لئن عاش لها ولدٌ لتُسمِّيه عبد الحارث، فعاش لها، فسمَّتْهُ عبد الحارث، وإنما ذلك من وحي الشيطان. (1)

وعدَّد الطبري خمس روايات لذلك الحَدَث، اخترنا منها اثنَتَيْن: السابقة، والتالية:

فولدتْ حوَّاءُ غلاماً، فأتاها إِبْلِيْس، فقال: سمّيه عبدي، وإلا قتلتُهُ، قال له آدم: قد أطعتُكَ، فَأَخْرَجْتَنِي من الجنة، فأبى أن يطيعه، فسمَّاه عبد الرحمن، فسلَّط عليه إِبْلِيْسُ - لعنه الله - فقتله، فحملتْ بآخر، فلمّا ولدتْهُ، قال: سمّيه عبدي، وإلا قتلتُهُ، قال له آدم عليه السلام: قد أطعتُكَ، فَأَخْرَجْتَنِي من الجنة، فأبى، فسمَّاه صالحاً، فقتله، فلمّا كان الثالث، قال لهما: فإذا غَلَبْتُموني، فسمُّوه عبد الحارث، وذلك قوله تعالى " جعلا له شركاء فيما آتاهما " يعني في الأسماء، والله أعلم.

وكما يحكي لنا القرآن العظيم عن انتقام الشيطان، كذلك يُحكَى في أعمال أندرياس في المسيحية كثيراً من الأفكار عن مصدر الشَّرِّ الأول ،«إِبْلِيْس الخالي من الحياء في كلّ الجوانب - تماماً - سيُسلِّح أبناءه الخاطئين ضدَّ أنفسهم كي يتبعوه» (2).

---

(1) الطبري، ص 93، جـ1.

(2) 21 سفر أخنوخ 1- 3، القَصَص الدِّينية، هاينرش شباير، ترجمة نبيل فياض، 1961، ص 108 - 109، مشائل 610.

وكذلك نجد في " أعمال يُوْحَنَّا " المُتحدِّث عـن " انتقـام الـشيطان "؛ ويـذكر لنـا أفـرام السرياني: أن الشيطان حسد آدمَ مرَّة، دون سبب، غير سعادته، ثم أغـضبه - أيـضاً - نجـاح نسله، ويُسمَّى إِبْلِيْس في إنجيل مَتَّـى (13 - 25 - 29) عـدوَّاً، وفي رؤيـا " 12 - 9 " يُـسمَّى تنِّيناً، وأفعى، وشيطاناً، وفي رؤيـا " 20 - 9 " يُـسمَّى مُـضلِّلاً، وفي يُوْحَنَّـا الأولى " 3 - 8 " يُسمَّى خاطئاً.

كذلك في التوراة في سِفْر اليوبيـل " 15 - 5 " ومـا بعـد ؛ 19، 28، 48، 2، 9، 12 " نجـده رئيساً للأرواح الشِّرِّيرة؛ حيث مبدأ الشَّرِّ في العالم، والمعارض للأحكام الإلهية دائماً، أمَّا العهود؛ فتجعل الشيطان محاطاً بسبعة من رؤساء الملائكة ". عهد راوبين 2 - 3 "، منـه، ومـن الأرواح التابعة له يخرج الشَّرُّ، كُلُّ الشَّرِّ في الإنـسان ". عهـد يهـوذا، 18 ". والحيوانـات المتوحـشة هـي وسائله " عهد نفتالي 8 " (3). نحن نريد أن نُبيِّن - بجلاء - أن كثيراً من الأفكـار المُتمثِّلـة عـن الشيطان ومن الشَّرِّ التي استقرَّت في العقلية العربيـة الإسـلامية ربـما منـشؤها الإسرائيليـات، أو الروايات التي تُدقّق، ويثبت صحّتها، فنحن لا نريد أن نساعد على نشر الخرافات.

عبر القراءات السابقة للنـصوص نجـدها تُؤكِّـد - بجـلاء - أن الـشَّرَّ مـصدره إِبْلِـيْس، فالمسيحية واليهودية - كما مـرَّ معنـا - أعطـت أوصـافاً مُتعـدِّدة لإِبْلِـيْس، وصـفات مختلفـة كخاطئ ومُضلِّل، ورئيس للأرواح الشرِّيرة، وعدوّ يجب الحذر منه؛ لأن أعماله - بالنـسبة إلى الإنسان - هي أعمال انتقام عمَّا جرى سـابقاً، في الحادثـة الأولى، وأمَّـا بالنـسبة إلى الروايـات الإسلامية؛ فنحن نريد أن يُدقَّق بها أكثر، فكلّ رواية ليس لها نـصّ قـرآني كـريم يـسندها، أو حديث نبوي صحيح، يجب الحذر منها بشدَّة، قبل الأَخْذ بها كمصدر، وكشاهد، ولابد لنا أن نُبيِّن - بجلاء ووضوح - أن كثيراً من الأفكار المُصوّرة للشيطان عن الشّرّ، والتي قد استقرَّت في الأذهان العربية والإسلامية - ربما - منشؤها الإسرائيليات، أو الروايات، التي ليست لهـا سند قرآني، أو حديث نبوي، والتي بحاجة إلى الدّقّة، والإثبات، فنحن لا نريد أن نساعد على نشر الخرافات، والأساطير، لكننا - بشكل عام - نقول إن معركة الخير والشَّرِّ، بـين الـصالح والطالح، بين آدم وذُرِّيَّته، وإِبْلِيْس وذُرِّيَّته من الشياطين، قد بـدأت منـذ النـزول إلى الأرض،

مهما كانت نوعية النزول، وأن الشيطان لن يتورَّع عن استخدام كافَّة السُّبُل والطُّرُق والوسائل في حربه ضد الإنسان، عالماً بنقاط الضعف الإنساني، فهو لا يملُّ، ولا يتعب، ولا يكلُّ من الإغواء، والوسواس، لكنه يدرك أن عباد الله - تعالى - المخلصين لربّهم، المُتَّبعين منهجه الواضح المنير، والطريق المستقيم، ليس له عليهم من سلطان أبداً، ولا يخافونه أبداً، عملاً بقول الله تعالى ﴿ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾ النساء 67.

وأمَّا مَنْ وقعوا في مصائد الشيطان، واتّبعوا أهواءهم، وشهواتهم، ومالوا عن الحق والهداية، وسقطوا في حبال الغواية، فليس لهم إلا التوبة، والاستغفار إلى الله تعالى "، قابل التوبة، غافر الذنب، " ليصفع وجه إِبْلِيْس بعدها، على هذه الرحمة والمغفرة من الله تعالى. وما أجمل أن تُغفَر للإنسان أخطاؤه، وما أجمل ما يُبشِّرنا رسول الله - ﷺ - في حديثه المُطمئن للقلب، المُريح للنَّفْس: عن أبي سعيد الخدري، قال رسول الله - ﷺ -: " إن إِبْلِيْس قال: يا ربُّ؛ وعزَّتكَ، وجلالكَ، لا أزال أغوي بني آدم مادام أرواحهم في أجسادهم. ... فقال الرّبّ: وعزَّتي وجلالي، لا أزال أغفر لهم ما استغفروني ". أخرجه مسلم والبخاري.

إِبْلِيْس في قصة هابيل وقابيل:

ولَّما كان لابد من استمرار النسل والذُّرِّيَّات والرغبة في الزواج كسُنَّة من سُنن الله - تعالى - في خَلْقه،ولَّما كانت الأرض خالية إلا من آدم، وحوَّاء، وما يُولد لهما من أولاد، فكان لابد أن يتزوَّج الأخ أخته.

والرواية أكثر شيوعاً ورواجاً في عناصر القصة، والتي ترد في موضوع هابيل وقابيل ليس موضوع الزواج بالأخت، بل بيان سبب الاختلاف والتنافر، ثم القتل بعدها، ورغم تعدُّد الروايات لبحث هذا السبب، أو إيجاد أسباب أخرى مختلفة دفعت قابيل إلى قتل هابيل، فالخطيئة الأولى قد وقعت، وسُفِكَ الدمُ الأول.

كانت حواء تلد في كلّ بطن من حَمْلها ذَكَراً، وكان قابيل من حَمْلٍ، مع أخت له، وهابيل من بطن أخرى، مع أخت له، وكان آدم - عليه السلام - يُزاوج ذَكَرَ البطن الأول من أنثى البطن الثاني، والعكس. كانت أخت قابيل جميلة، ووضيئة، وكانت أخت هابيل أقلّ جمالاً، أو تميل إلى القبح، وبالتالي؛ فإن هابيل سيتزوَّج أخت قابيل، وبالعكس؛ فرفض قابيلُ السماحَ بذلك. وبغضِّ النظر عن السبب، أو الأسباب، التي دفعت إلى العداوة والبغضاء بين الأخوة، والتي دفعت إلى الجريمة الأولى في الأرض نتساءل: هل كان لإبْلِيْس يَدٌ في ذلك ؟! وبأيٍّ من الوسائل، والأرض تخلو من الناس إلا من آدم وحواء عليهما السلام، وأولادهما، وإبْلِيْس مُتربِّص بهم؟! وتذكر الروايات أن إبْلِيْس هو مَنْ حرَّض قابيل على أخيه هابيل، ودفعه إلى قَتْله، لا، بل قد علَّمه كيف يقتله !!. ولم يُعلّمه كيف يدفنه !!. وبذلك سنَّ قابيل في البشرية أول قانون، وكان للأسف قانون القَتْل إلى يوم القيامة،.قال رسول الله ﷺ: " ما من نفس تُقتَل ظُلماً إلا كان على ابن آدم كِفْل منها (أيْ جزء منها)، وذلك لأنه أول مَنْ سَنَّ القتل ".

العرض:

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْءَاخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَىَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾ فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴾ المائدة 27-31.

ومهما تعدَّدت الأسباب في القصة، فلقد جرى أول دم ظُلماً على وجه الأرض، وبين الأخوة، ولا شك أن هذه قصة كبرى، كان لإِبْلِيْس فيها دور كبير، فحسب ما ذكر الطبري - والأغلب أن هذه الروايات منسوبة إلى أصل الكتاب، والأغلب أنها من الإسرائيليات - في الروايات أن آدم - عليه السلام - كان يُزوِّج أخت التي تلد في البطن الأول إلى الذي يلد في البطن الثاني، والعكس، أو نصف التوأم للنصف الآخر في البطن الثاني.

كانت أخت قابيل من أحسن الناس جمالاً، فضنَّ بها عن أخيه[1]، وأرادها لنفسه " والله أعلم " أيْ ذلك كان، فقال أبوه:يا بنيَّ؛ إنها لا تحلُّ لكَ، فأبى أن يقبل ذلك من قول أبيه، فقال له أبوه: يا بنيَّ؛ قَرِّبْ قرباناً، ويُقرِّب أخوكَ قرباناً، فأيّكما قبل الله - تعالى - قربانه، فهو أحقُّ بها، وكان قابيل على بذر الأرض " مُزارعاً "، وكان هابيل على رعاية الماشية، فقرَّب قابيلُ قمحاً، وقرَّب هابيلُ أبكاراً من أبكار غنمه، وبعضهم يقول قرَّب بقرة، فأرسل الله - عزَّ وجلَّ - ناراً بيضاء، فأكلت قربانَ هابيل، وتركتْ قربان قابيل، وبذلك كان يُقبَل القربان إذا قبله الله تعالى جلَّ وعلا، فلمّا قبل اللهُ - سبحانه - قربانَ هابيل، وكان ذلك في القضاء له بأخت قابيل، غلب عليه الكبر، واستحوذ عليه الشيطان، فاتَّبع أخاه هابيلَ، وهو في ماشيته، فقتله، فهما اللذان قصَّ الله - تعالى - خبرهما في القرآن العظيم على سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وروى القرطبي في تفسير الآية من سورة المائدة أنه - أيْ قابيل[2] - جهل كيف يقتل أخاه، فجاء إِبْلِيْسُ بطائر، أو حيوان، فجعل يشدخ رأسه بين حجرَيْن؛ ليقتدي به قابيلُ، ففعل

ويتابع القرطبي: ثم إنه هرب إلى أرض عدن من اليمن، فأتاه إِبْلِيْس، وقال: إنما أكلت النارُ قربانَ أخيكَ؛ لأنه كان يعبد النارَ، فانصبْ أنتَ - أيضاً - ناراً، تكون لكَ، ولعقبكَ، فبنى بيتَ النار، فهو أول مَنْ عبد النار فيما قيل.

وهناك رواية عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام: " أن آدم لم يكن يُزوِّج ابنته من ابنه، ولو فعل ذلك لما رغب عنه النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وما كان دين آدم إلا دين النبي صلى الله عليه وآله وسلم " ؛ حيث أظهر الله - تعالى - جنية من ولد الجن، يُقال لها جمالة في صورة إنسية، وبعث بها لقابيل، ثم أهبط الله

---

(1) تاريخ الملوك والرسل للطبري، جـ 1، ص89.

(2) تفسير أحكام القرآن للقرطبي، جـ 6، ص 139، سورة المائدة.

- تعالى - حورية في صفة إنسية، وبعث بها لهابيل، وكان اسمها بزلـة، فرغـب هابيـل ببزلـة، فاختلفا، فقال آدم: قرِّبا قُرباناً.. إلخ القصة.

وأمَّا ابن كثير؛ فيعرض الروايات نفسها باختلاف بسيط؛ يقول:

" لَمَّا أراد قابيلُ أن يقتل هابيلَ جعل يلوي عنقه، فأخذ إبْلِيْس دابَّة، ووضـع رأسـها عـلى حجر، ثم أخذ، فضرب بها رأسها، فقتلها، وابن آدم ينظر إليه، ففعل بأخيه مثل ذلك.[1]

ولا يوجد في السُّنَّة النبوية الشريفة أيّ سند أو دلالة على هذه القَصَص بشكل يتأكَّـد فيـه الباحث من صحَّتها، وممَّا لا شكَّ فيه فإننا نجد الأثـر الإسرائـيلي في معظـم هـذه الروايـات، وخاصة بعد مقارنتها بالتوراة، التي تتشابه خطوطها العامّة مع هذه الروايات، وحتـى بعـض فقراتها كما في رواية القرطبي " فهرب إلى أرض عدن من اليمن " نجـد مثلهـا في التـوراة كـما سوف يرد. لذلك؛ يجب النَّظَر بحذر وروِيَّة في أثناء تقبُّلنا لهذه الروايات، التي ليس لهـا سـند قرآني، أو من السُّنَّة النبوية الشريفة.

ففي التوراة: سفر التكوين، الإصحاح الرابع:

[1 وَعَرَفَ آدَمُ حَوَّاءَ امْرَأَتَهُ فَحَبِلَتْ وَوَلَـدَتْ قَـايِينَ. وَقَالَـتِ: «اقْتَنَيْـتُ رَجُـلاً مِـنْ عِنْـدِ الرَّبِّ». 2 ثُمَّ عَادَتْ فَوَلَدَتْ أَخَاهُ هَابِيلَ. وَكَانَ هَابِيـلُ رَاعِيًـا لِلْغَـنَمِ، وَكَـانَ قَـايِينُ عَـامِلاً في الأَرْضِ. 3 وَحَدَثَ مِنْ بَعْدِ أَيَّامٍ أَنَّ قَايِينَ قَدَّمَ مِنْ أَثْمَارِ الأَرْضِ قُرْبَانًا لِلـرَّبِّ، 4 وَقَـدَّمَ هَابِيـلُ أيضاً مِنْ أَبْكَارِ غَنَمِهِ وَمِنْ سِمَانِهَا. فَنَظَرَ الرَّبُّ إلى هَابِيلَ وَقُرْبَانِـهِ، 5 وَلكِـنْ إلى قَـايِينَ وَقُرْبَانِـهِ لَمْ يَنْظُرْ. فَاغْتَاظَ قَايِينُ جِدًّا وَسَقَطَ وَجْهُهُ. 6 فَقَالَ الرَّبُّ لِقَايِينَ: «لِمَـاذَا اغْتَظْـتَ؟ وَلِمَـاذَا سَـقَطَ وَجْهُكَ؟ 7 إِنْ أَحْسَنْتَ أَفَلاَ رَفْعٌ؟ وَإِنْ لَمْ تُحْسِنْ فَعِنْدَ الْبَابِ خَطِيَّـةٌ رَابِـضَةٌ، وَإِلَيْـكَ اشْـتِيَاقُهَا وَأَنْتَ تَسُودُ عَلَيْهَا».

8 وَكَلَّمَ قَايِينُ هَابِيلَ أَخَاهُ. وَحَدَثَ إِذْ كَانَا في الْحَقْلِ أَنَّ قَايِينَ قَامَ على هَابِيلَ أَخِيـهِ وَقَتَلَـهُ. 9 فَقَالَ الرَّبُّ لِقَايِينَ: «أين هَابِيلُ أَخُوكَ؟» فَقَالَ: «لَا أَعْلَمُ! أَحَارِسٌ أنـا لأَخِـي؟» 10 فَقَـالَ:

---

(1) تفسير ابن كثير، جـ 6، ص 43.

«ماذا فَعَلْتَ؟ صَوْتُ دَمِ أَخِيكَ صَارِخٌ إِلَيَّ مِنَ الأَرْضِ. 11 فَالآنَ مَلْعُونٌ أَنْتَ مِنَ الأَرْضِ الَّتِي فَتَحَتْ فَاهَا لِتَقْبَلَ دَمَ أَخِيكَ مِنْ يَدِكَ. (1 – 11).

16 فَخَرَجَ قَايِينُ مِنْ لَدُنِ الرَّبِّ، وَسَكَنَ فِي أَرْضِ نُودٍ شَرْقِيَّ عَدْنٍ..].

أمَّا في تكوين راباه (22– 16)؛ أراد ابنا آدم اقتسام العالم بين بعضهما، فانجرَّ ذلك إلى قتال: وقتل هابيل أخاه لسبب شجار ليس إلا.

تكوين راباه:

أيضاً؛ في تكوين راباه (22 – 7) تقاتلا موضع المعبد، وحسب رأي آخر " تقاسم الممتلكات، أو بسبب أخوات هابيل التوائم ".

في المسيحية نجد أن القصة – ربما – كانت مَبْنية على الأصل اليهودي، ففي رسالة يُوْحَنَّا الأولى 13–12 نجد ما يلي: ليس كما كان قايين من الشّرّير، وذبح أخاه ! ولماذا ذبحه ؟ لأن أعماله كانت شرِّيرة، وأعمال أخيه كانت بارَّة.

من تحليل البحث السابق بين الروايات والنصوص نجد أنها قد أثبت جميعها حادثة القتل، قَتْل الأخ على يد أخيه بتعدّد أسباب الروايات السابقة المختلفة الواردة في النصوص السابقة، لكننا نجد أن الفسق العامّ للجميع يدلُّنا على يد إِبْلِيْس في التحريض وتعليم قابيل كيفية القَتْل في الروايات الإسلامية المُتأثّرة بالجوّ الروائي الإسرائيلي. وممَّا يدعو إلى الدهشة والعجب من موقف بعض الأدباء والكُتَّاب في استقراء حادثة هابيل وقابيل وصولهم إلى استنتاجات مخالفة لأصول الدِّين الإسلامي بشكل عام، وإلى تحوير القصة إلى قراءات مختلفة، تلتقي بظلالها عبر التاريخ ما بين صراع على المرأة بشكل عامّ، أو صراع من بين مرحلة الرعي والزراعة. وما بين إن كانت القصة مُستمدَّة من أصول قديمة سومرية، أو بابلية.

ويجمع لنا الدكتور محمد عجنية في كتابه موسوعة أساطير العرب، الروايات التي وردت في التراث الإسلامي أغلبها؛ ليستنبط منها مستويات نفسية، واجتماعية، وثقافية، وحتى أنثروبولوجية من حيث دلالاتها، وأبطالها، وأحداثها: يقول فيما معناه: قصة هابيل وقابيل

قصة صراع على المرأة، وقصة صراع ما بين الراعي والفلاح، وهي صراع من حيث هي انتقال من مرحلة الرعي إلى الزراعة، وتغيُّر في أنماط المعيشة. وتنتهي بدلالة أخلاقية بانتصار هابيل على قابيل أخلاقياً لقبوله قربانه، ورفض قَتْل أخيه، وفرار قابيل.

ويورد مقارنة تاريخية أن للأسطورة جذوراً تاريخية سومرية، أخذت التوراة منها قصّة الإله دموزي " تموز " الإله الراعي وأنكيدو صاحب الحقل على الإلهة أنانا، فهذه القصة قصة هابيل وقابيل.

بينما نجد المُفكّر تركي علي الربيعو في كتابه الإسلام وملحمة الخَلْق والأسطورة يعالج قصة هابيل وقابيل من منظور ثقافي مختلف، فالحكاية تقوم على الإدانة، إدانة أشكال النكاح التي ابتدعها الخنازير «هم اليهود وأمثالهم الذين أباحوا لأنفسهم أشكالاً من النكاح لا تستقيم والمُقدَّس الإسلامي»[1] ، خاصة وأن الخطاب الإسلامي يجعل الخنزير رمزاً للإباحية الجنسية، فإن بنية الحكاية تنفتح على إدانة أخرى، إدانة اقتتال الأخوة ". فالخطاب الإسلامي يجعل من هذه الآية القرآنية ركيزة مرجعية لإدانة القَتْل، وبخاصة في مجتمع جاهلي يعيش حرباً بين الأخوة؛ ليساهم في بناء رابطة مُقدَّسة وجديدة؛ إنها أخوة الإيمان، قال رسول الله ﷺ: «إن الله ضرب لكم ابنَيْ آدم مثلاً، فخذوا من خيرهم، ودعوا شرَّهم»[2]، عن ابن كثير.

أقول إذا كانت للتوراة أصول سومرية، أو بابلية قديمة، وأن التوراة قد أخذت منها الأسطورة كما يقولون، فكيف جاء القرآن العظيم بالقصة؟! نرجو ألا يُتَّهم القرآن الكريم بأنه أخذ من التوراة القصة، وإن كان هناك تشابه ما بين القَصَص عبر التاريخ؛ فلأن مضمون القصة ومحتواها صحيح كما أوردها القرآن الكريم، وتناقلتها الشعوب والأمم عن رُسُلهم وأنبيائهم، فالمصدر واحد، وبالتالي؛ فالتشابه يجب أن يوجد في المضمون، وإن اختلف بالشكل، أما عن القراءات المختلفة، فهي تشير إلى فواصل زمنية متباعدة ومختلفة في التاريخ الإنساني ما بين مرحلة الزراعة والرعي، وما بين بداية تشكُّل في التسلسل الزمني.

---

(1) الإسلام وملحمة الخَلْق والأسطورة: تركي علي الربيعو، ص 124 - 125 - 126، المركز الثقافي العربي، ط 1، 1992.

(2) الإسلام وملحمة الخَلْق والأسطورة، تركي علي الربيعو، ص 124 - 125 - 126، المركز الثقافي العربي، ط1، 1992.

إبْلِيْس في قصة نوح وعبادة الأصنام

إن من أكثر القَصَص التي انتشرت في الزمن القديم بين الأمم السابقة قصة سيدنا نوح عليه السلام، لقد نالت هذه القصة كثيراً من الدراسات الحديثة لعلماء التاريخ، والاجتماع، والأنثربولوجيا، وغيرهم لما وجدوه من تشابه كثير ومتقارب بينها وبين القصة الدِّينية لسيدنا نوح عليه السلام، وأساطير هذه الأمم القديمة؛ كالسومريين، والكلدانيين، والبابليين، والتي أصبحت تراثاً مشتركاً بينهم، وتأثير هذه القَصَص على العبرانيين، والتشابه بينها وبين التوراة ككتاب سماوي.

يقول حموئيل هنري هورك في كتابه " منعطف المخيلة البشرية بحث في الأساطير ": إننا نجد أن أسطورة الطوفان هي أسطورة خاصة، فهم لم يمتلكوا أسطورة طوفان خاصة بهم، رغم وجود أسطورة تتحدَّث عن فناء البشرية [1] ؛ لأن شعوب ما بين النهرَيْن هي التي غزت العبرانيين.

ونجد أن الدكتور " فاضل عبد الواحد " في كتابه " من سومر إلى التوراة " يتحدَّث عن الطوفان، فيقول إن الطوفان حادثة روتها المآثر السومرية والبابلية في روايات ثلاث رئيسية، تتشابه خطوطها العامة في كثير من تفاصيلها، وأولى تلك الروايات نسخة مُدوَّنة بالسومرية، والبطل فيها زيوس، الذي أنقذ البشرية من خطر الفناء أثناء الطوفان العظيم، الذي شمل الأرض برمّتها حسب تصوُّر الأقدمين ".

الثانية تتمثّل في الرقيم الحادي عشر من ملحمة جلجامش عن رجل اسمه أوتنابشتم، قام ببناء سفينة ضخمة، حصل فيها على ما استطاع من الناس، والطيور، والحيوانات.[2]

الثالثة أكثر تفصيلاً؛ تُعرَف بقصة أتراخاسيس.

---

(1) منعطف المخيلة البشرية (بحث الأساطير ص 108).

(2) من سومر إلى التوراة، ص 210.

لقد لخَّص الدكتور كافة الأساطير السابقة، وأخذ منها تشابه الخطوط العامة، بينما نجد أن صموئيل هووك قد عمل جدولاً لكافة القَصَص عن الطوفان، ومنها العبرية، وأورد فيها التشابه بين ملامحها العامة[1].

إن أكثر علماء الاجتماع والتاريخ والأنثروبولوجيا وغيرها من العلوم الإنسانية المتشابهة التي درست الإنسان القديم وتطوُّر المجتمعات والدِّين وأساطير الشعوب تجد أن الدين هو من وَضْع الإنسان، كلّ حسب بيئته التي وُجد فيها، والظروف الاجتماعية والنفسية والاقتصادية المحيطة به، لكننا ندرك - ويدركون - أن ذلك ليس صحيحاً بالنسبة إلى الإسلام، وإلى القرآن العظيم، وأن هذا التشابه الموجود بين شعوب العالم القديم - من حيث قصة نوح - سببها ومصدرها واحد، وهو مصدر إلهي، وهو الوحي إلى الأنبياء، عليهم السلام؛ حيث لم يخلُ أيُّ مجتمع أو قرية أو تجمُّع من نبي من الأنبياء؛ سواء أكانوا ذوي رسالة، أم أصحاب كُتُب وصُحُف، أم مشافهة. وحَدَثٌ عظيم - كحدث الطوفان - لابد أن يتكرّر في رسالات الأنبياء والرُّسُل، وأن تذكره الأنبياء والرُّسُل لشعوبها وقبائلها التي جاءت بعد نوح عليه السلام، للعبرة والتذكرة.

ولابد لنا أن نذكر أن كافة الدراسات الحديثة في الجيولوجيا قد أكّدت - بشكل قاطع - حدوث الطوفان بشكل عام من ترسُّبات جيولوجية لمياه عذبة على مساحات هائلة لا يمكن أن تحدث إلا بالطوفان الذي ذكره الله - تعالى - في كتبه، وخاصة القرآن العظيم، ممَّا يؤكّد لنا نفي تلك الاستقراءات والأساطير والدراسات التي بُنِيَتْ عليها، فالدِّين ليس من صنع الإنسان، والشرائع السماوية ومناهجها التي طوَّرت البشرية أخلاقياً واجتماعياً وثبوت هذه الشرائع رغم التطوُّر الزمني الذي مرَّ عليها لهو دليل قاطع على صحّتها، وإن الدين هو دين الله سبحانه، وإن ما أنزله - سبحانه - من كُتُب، وما أرسله من رُسُله لهو الحقّ ذاته.

عن أبي ذرّ الغفاري: دخلتُ المسجد، فإذا رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - وحده، فجلستُ إليه، فقال لي: " يا أبا ذرّ؛ إن للمسجد تحية، وإن تحيته ركعتان، فقُمْ، فأَرْكِعْهُما، فلما ركعتهما،

---

(1) منعطف المخيلة البشرية، (بحث الأساطير، ص 112).

جلستُ إليه، فقلتُ: يا رسول الله؛ إنكَ أمرتني بالصلاة، فما الصلاة؟! قال: " خير موضوع كثر أو استقلّ " ثم ذكر قصة طويلة. قلتُ فيها: يا رسول الله؛ كم الرُّسُل؟ قال: " مائة ألف، وأربعة وعشرون ألفاً ". قلتُ: يا رسول الله؛ كم المُرسَل من ذلك. قال: ثلثمائة وثلاثة عشر جماً غفيراً؛ يعني كثيراً طيباً ". قال: قلتُ: يا رسول الله؛ مَنْ كان أولهم؟ قال: آدم. قال: قلتُ: يا رسول الله؛ وآدم نبي مُرسَل؟ قال: " نعم، خلقه الله بيده، ونفخ فيه من روحه، ثم سواه قبلاً ". " وفي رواية أخرى " كان الله قبلاً. فإذا كان هناك مئة وأربعة وعشرون ألف نبي عليهم السلام، وآدم نبي مُرسَل، ولا يوجد بشرية بعدُ إلا أنبياءه فيما بعد، ألا تنتقل قصة نوح عليه السلام عبر الأنبياء، وتنتشر على ألسنة الشعوب للعبرة والعظة، ولا أقلّ عليها من حجّة أنها وردت إلى آخر الأنبياء والمُرسلين جميعاً محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

العرض:

قال تعالى: ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۖ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍۭ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ ۖ وَجَٰدَلُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴾ غافر 5.

﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓا۟ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓا۟ إِلَىَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴾ يونس 72.

انظر إلى كلمة شركاءكم، فقد فسّرها المُفسّرون أن الشركاء هي ما ضُمَّ من صنم، أو وَثَن، أو شيطان، والجميع تؤدّي لذلك؛ لأن عبادة الأوثان والأصنام من عمل إِبْلِيْس والشياطين.

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴾ العنكبوت 15.

﴿ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُواْ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ ﴾ النجم 52.

﴿ وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّواْ كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلًا ﴾ نوح 22 - 23.

لقد أجمع أكثر المُفسّرين في العصر الإسلامي على قصة واحدة متشابهة في معظم خطوطها؛ منهم[1] ابن كثير في قَصَص الأنبياء، وفي تفسير القرآن العظيم.[2]، والقرطبي - أيضاً - في تفسير سورة نوح، وهي التي اعتمدناها لشمولها لكافة عناصر القصة.

قال القرطبي[3]: قال ابن عَبَّاس وغيره: هي أصنام كان قوم نوح يعبدونها، ثم عبدتها العرب؛ أيْ وُدّ، وسواع، ويعوق، ونسراً، الأسماء التي ورد ذكرها في الآية الكريمة.

وقال محمد بن كعب: كان لآدم - عليه السلام - خمس بنين: وُدّ، وسواع، ويغوث، ويعوق، ونسراً، وكانوا عباداً صالحين، فمات واحد منهم، فحزنوا عليه، فقال الشيطان: أنا أُصوِّر لكم مثله، إذا نظرتُم إليه ذكرتموه. قالوا: افعلْ، فصوَّره في المسجد من صفر ورصاص، ثم مات آخر، فصوَّره، حتى ماتوا كلّهم، وتنقّصت الأشياء كما تنتقص اليوم، إلى أن تركوا عبادة الله - تعالى - بعد حين، فقال لهم الشيطان: ما لكم لا تعبدون شيئاً؟ قالوا: وما نعبد؟ قال: آلهتكم وآلهة آبائكم. ألا ترونها في مُصلّاكم؟! فعبدوها من دون الله تعالى، حتى بعث الله نوحاً، فقالوا: لا تذرن آلهتكم...

وقال ابن كعب ومحمد بن قيس: بل كانوا قوماً صالحين بين آدم ونوح، وكان لهم تبع يقتدون بهم، فلمَّا ماتوا زيَّن لهم إِبْلِيْس أن يُصوِّروا صُورهم لتذاكروا بها اجتهادهم، وليتسلّوا بالنظر إليها، فصوَّرهم. فلمَّا ماتوا هم، وجاء آخرون، قالوا: ليت شعرنا هذا الصور ما كان

---

(1) قَصَص الأنبياء لابن كثير، ص 385. وانظر حديث عائشة أن أمّ حبيبة، وأمّ سَلَمَة ذكرتا كنيسة رأتاها في الحبشة "أثناء الهجرة" تُسمَّى ماريا، فيها تصاوير "ذكرتاها" لرسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ:إن أولئك إذ كان فيهم صالح، فمات، بنوا على قبره مسجداً، وصوَّروا فيه تلك الصور. أولئك شرار الخَلْق عند الله يوم القيامة.

(2) تفسير القرآن العظيم، سورة نوح، ص 65، لابن كثير.

(3) القرطبي سورة نوح ص 307 - 308.

وقال مالك بن نمط الحمداني:

يـــــريش الله في الـــــدنيا ويــــبرى ولا يــــبرى يعـــوق ولا يـــــريش[1]

ولعلّ ابن هشام أخذ عن الكلبي من كتابه الأصنام؛ إذ إنها مطابقة لما في كتـاب الأصـنام للكلبي؛ يقول الكلبي: واتخذت حمير نسراً، فعبدوه بأرض يُقال له بلخع[2].

قال الشاعر:

حيَّـــاك وُدّ فإنــــا لا يحــــلّ لنـــا لهــو النــساء، وإن الــدين قــد عزمــا

وقال آخر:

وســـار بنـــا يغـــوث إلى مـــراد فناجزنـــاهم قبـــل الـــصــــباح

وهكذا دقّ الشيطانُ الأصنامَ في أنحاء الأرض، تُعبَد من دون الله تعالى، وتحـرف النـاس عن الطريق القويم، والنهج الصحيح، عمّا جاءت به الأنبياء والرُّسُل من عند الله تعالى. وتربَّع الشيطان بداخلها يُضلُّ الناسَ، ويُكلّمهم بصوته، مُوحياً إلـيهم أنهـا الآلهـة المَرجـوَّة، والتـي تضرُّ، وتنفع.

إبْلِيْس في قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام:

لا نجد في قصة سيدنا إبراهيم – عليه السلام – أبي الأنبياء في النصّ القرآني العظـيم أيَّ إشـارة لإبْلِيْس مباشرة، وإنما يُنسَب إليه السببُ في عبادة الأصنام عند مخاطبة إبـراهيم لأبيـه " أن لا يعبد الله من دون الشيطان ".

---

(1) الأصنام لابن الكلبي.

(2) الأصنام لابن الكلبي.

آباؤنا يصنعون بها ؟! فجاءهم الشيطان، فقال: كان آباؤكم يعبدونها، فترحمهم، وتسقيهم المطر، فعبدوها عبادة الأوثان.

وذكر الثعلبي عن ابن عَبَّاس قال: هذه الأصنام أسماء رجال صالحين من قوم نوح، أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا في مجالسهم التي يجلسون فيها أنصاباً، وسَمُّوها بأسمائهم، تذكروهم بها، ففعلوا، فلم تُعبَد، حتى إذا هلك أولئك، عُبِدَتْ.

وذكرت رواية ابن كثير في التفسير عن أبي جعفر الباقر - رضي الله عنه - أن بداية ذلك الأمر، أن رجلاً مسلماً - وكان مُحَبَّاً إلى قومه - فلمَّا مات، اعتكفوا حول قبره في أرض بابل، وجزعوا عليه، فلمَّا رأى إِبْلِيْسُ جزعَهُم، تشبَّه بصورة إنسان، ثم قال: إني أرى جزعكم على هذا الرجل، فهل لكم أنْ أُصوِّر لكم مثله، فيكون في ناديكم، فتذكرونه؟ .. باقي القصة، ثم جعل في كلّ بيت تمثالاً منه، فعبدوهم من دون الله تعالى، فكان أول ما عُبِدَ من دون الله الصنم الذي سمّوه وُدَّاً.

ويذكر ابن هشام في السيرة النبوية عن الأصنام عند قوم نوح، وقد كانت لقوم نوح أصنام قد عكفوا عليها، فكان الذين اتخذوا تلك الأصنام من وُلد إسماعيل، وغيرهم، وسمّوا بأسمائهم حين فارقوا دين إسماعيل هذيل من مدركة، اتخذوا سواعاً، فكان لهم ببرهاط [1] وكلب بن وبرة من قضاعة اتخذوا وُدّاً بدومة الجندل، وأمَّا يغوث؛ فاتخذه أهل جرش من مذحج من أهل اليمن، وخيوان بطن من همدان، اتخذوا يعوق بأرض همدان من أرض [2] اليمن، قال كعب بن مالك الأنصاري:

ونسى اللات والعزى ووُدَّا ونسلبها القلائد والشنوما

(1) برهاط: اسم مكان من أرض ينبع.

(2) السيرة النبوية لابن هشام، ص 78 - 79 - 80.

العرض:

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى: ﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطٗا سَوِيّٗا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا ﴾ مريم 41 - 45.

في الآيات الكريمة تصريح مباشر على عبادة الأصنام من الشيطان الرجيم، وبإيحاء منه، أو هي عبادة للشيطان نفسه، أو ما يدعو إليه، فإنه هو الداعي بذلك، أو كما قال الله تعالى:

﴿ أَلَمۡ أَعۡهَدۡ إِلَيۡكُمۡ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعۡبُدُواْ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴾ يس 60.

أو كما قال تعالى: ﴿ إِن يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثٗا وَإِن يَدۡعُونَ إِلَّا شَيۡطَٰنٗا مَّرِيدٗا ﴾ النساء 117.

فعبادة الأصنام هي إطاعة للشيطان، فلا يكون لك وَليّ، ولا مولى، ولا نصير، ولا مغيث إلا إِبْلِيْس [1].

أو كما قال تعالى: ﴿ تَٱللَّهِ لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٖ مِّن قَبۡلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلۡيَوۡمَ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾ النحل 63.

ثم كان ابتلاء سيدنا إبراهيم بذَبْح ابنه إسماعيل عليهما السلام:

قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡيَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾ فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ

(1) تفسير ابن كثير، سورة مريم، جـ16، ص 116.

لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَـٰدَيْنَـٰهُ أَن يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَـٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيْنَـٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ الصافات 102 - 107.

لقد حاولنا كثيراً أن نجد سنداً من أحاديث رسول الله - ﷺ - صحيحاً عن تدخُّل الشيطان إِبْلِيْس لإبراهيم وإسماعيل عليهما السلام في قصَّة الذبح، فلم نجد إلا ما قاله المُفسِّرون، ونقلاً عن القرطبي وابن الأثير نجد أن تعرُّض إِبْلِيْس لإبراهيم وإسماعيل - عليهما السلام - حقيقي، بدليل مناسك الحج، ومنها رمي الجمار. وقد أورد البخاري في صحيحه أن النبي - ﷺ - قد رمى الجمار في الحجّ، وعملية رمي الجمار هي إعادة لرَمْي إسماعيل - عليه السلام - الشيطانَ بالحجارة.

عن ابن عُمر رضي الله عنهما: أنه كان يرمي الجمرة بسبع حصيات، يُكبِّر على أثر كلّ حصاة، ثم يتقدّم حتى يسهل، فيقوم مستقبلاً القبلة، فيقوم طويلاً، ويدعو، ويرفع يدَيْه، ثم يرمي الوُسطى، ويقوم طويلاً، ثم يرمي الجمرة ذات العقبة من بطن الوادي، ولا يقف عندها، ثم ينصرف، فيقول: هكذا رأيتُ النبي - ﷺ - يفعله [1].

وقال جابر: رمى النبي - ﷺ - يوم النحر ضُحى، ورمى بعد ذلك، وقال كعب وغيره: لمَّا أُري إبراهيمُ ذَبْحَ ولده في منامه، قال الشيطان: والله؛ لئن لم أفتن عند هذا، لا أفتن منهم أحداً أبداً، فتمثَّل الشيطانُ في صورة الرجل، ثم أتى أمّ الغلام، وقال أتدرين أين يذهب إبراهيم بابنكِ؟ قالت: لا. قال: إنه يذهب ليذبحه. قالت: كلا، هو أرأف من ذلك. فقال: إنه يزعم أن ربَّه أمره بذلك. قالت: فإنْ كان ربّه قد أمره بذلك، فقد أحسن أن يطيع ربّه. ثم أتى الغلامَ، فقال: أتدري أين يذهب بكَ أبوكَ؟ قال: لا. قال: فإنه يذهب بكَ ليذبحكَ. وقال: ولمَ؟ قال: زعم أن ربّه أمره بذلك. قال: فليفعل ما أمره الله به، سمعاً وطاعة لأمر الله. ثم جاء إبراهيمَ: فقال: أين تريد؟ والله؛ إني لأظنُّ أن الشيطان قد جاءكَ في منامكَ، فأمركَ بذَبْح ابنكَ. فعرفه إبراهيم. فقال: إليكَ عني، يا عدوَّ الله. فوالله؛ لأمضينَّ لأمر ربي. فلم يصب الملعون منهم شيئاً.

---

(1) صحيح البخاري، جـ 1 باب رمي الجمار، ص 579.

وقال ابن عَبَّاس: لَمَّا أُمر إبراهيمُ بذَبْح ابنه عرض له الشيطان عند جمرة العقبة، فرماه بسبع حصيات، حتى ذهب. ثم عرض له عند الجمرة الوسطى، فرماه بسبع حصيات، حتى ذهب. ثم عرض له عند الجمرة الأخرى، فرماه بسبع حصيات، حتى ذهب. ثم مضى إبراهيم لأمر الله تعالى.

وذكر ابن الأثير القصة كما أوردها القرطبي - أيضاً - ولكنْ؛ بشكل مختصر.

إبْلِيس في قصة سيدنا أيوب عليه السلام:

إن قصة سيدنا أيوب - عليه السلام - في التوراة اليهودية تعطينا قصة دراماتية مأسوية عن مَنْ يعيش هادئاً سعيداً مُتنعّماً بالثراء، تقياً إلى أبعد الحدود، ولكنه يقع فريسة بين حجرَيْ الطاحون؛ بين الإله اليهودي الخاصّ باليهود وبين العدوّ الأكبر للإنسان، الذي هو إبْلِيْس.

ويكون ضحية هذا الصراع هو أيوب عليه السلام، والقصة بمُجملها خالية من أيِّ منطق عقلاني، ولا تتّفق مع أبسط المبادئ الأولية لأيّ دين من الأديان التي تصف الله - سبحانه وتعالى - بأولى صفاته وهو العدل.

إن قصة أيوب - عليه السلام - في التوراة لا تتفق والعقل السليم، ولا المنطق الصحيح من حيث سياقها، والأحداث الواردة فيها، والتي لم يصل الكاتب فيها إلى أدنى درجات التقدير والاحترام والتعظيم لله سبحانه وتعالى.

إن هدف الكاتب هذا قد لفّق قصة سيدنا أيوب بهذا الشكل لإبراز الشخصية الهامة في الحَدَث القَصَصي؛ ألا وهو أيوب عليه السلام بغَضِّ النظر عن تفاعل الأحداث، ومقام الذات الإلهية العظمى، ممَّا يجعل القارئ لسِفْر أيوب يرتجف هلعاً وخوفاً وهو يقرأ ما كُتب ممَّا يمكن أن يُنسَب إلى الله تعالى جلّ وعلا سبحانه عمَّا يقولون ويصفون.

وقد لفتت قصة سيدنا أيوب كثيراً من الباحثين في الأديان والتاريخ الإنساني واليهودي، وحتى علماء النفس، الذين خرجوا بآراء تُظهر لنا التلفيق والتزوير في قصة سيدنا أيوب.

لقد أفرد الدكتور ك غ يونغ - وهو من علماء النفس المشهورين - دراسة خاصة للتوراة بشكل عام، ولسِفْر أيوب بشكل خاصّ. وقدّم دراسة شاملة ووافية لما فيها من تحريف، وما وُضِعَ فيها من قِبَل اليهود. وأثبت ذلك التشويهُ غير القابل للمنطق والعقل بسِفْر أيوب بالذات.

لقد قال إن لليهود إلهاً خاصّاً بهم، دون غيرهم، سمّاه الإله اليهودي. وهو الإله الذي (يضع أيوب هذا الإنسان التقي المؤمن الذي أنزل يَهْوَه به الضرر فوق منصّة برّاقة؛ كي يُدلي بشكاته أمام سمع العالم وبَصَره. [1]

في التوراة اليهودية يلعب الشيطان دور المحرض الذي يدفع بالأحداث إلى ابتلاء أيوب عليه السلام حتى يصل بذلك إلى حد الافتراء على يَهْوَه الإله اليهودي تعالى الله عما يقولون ويصفون.

يقول الكاتب لقد كان لنا أن نأمل أن يتحول الآن غضب يَهْوَه إلى المفتري " الشيطان " ذلك أن يَهْوَه لا يفكر أبداً أن يقتص من هذا الابن المولع بالإيذاء ولا يخطر له ببال أن يقدم لأيوب ولو ترضية معنوية تسوغ مسلكه حياله [2]، وهنا يتعرّض العبد المُخلص إلى امتحان أخلاقي شديد بكلّ مجانية، وبلا هدف، على الرغم من اقتناع يَهْوَه بإخلاص أيوب، ووفائه. ثم يتساءل الكاتب (لماذا كان الامتحان أصلاً؟!. وخاصة أن هناك مُفتريا، لا ضمير له، وهو الشيطان، على مخلوق، لا حول ل، ولا قوة. وسرعان ما نجد أن هذا العبد المؤمن يستلمه الشيطان الروح الشرّيرة تاركاً إياه يسقط في هاوية الآلام الجسدية والمعنوية. [3]

بينما يرى الكاتب صموئيل هنري ووك في كتابه منعطف المخيلة البشرية بحث في الأساطير:

إن الكاتب اليهودي أضاف وحرّف الكثير من القَصَص نتيجة استيطان شعوب سامية في بلاد الرافدَيْن؛ [4] أيْ أن تلقائية الحَدَث الأسطوري والاجتماعي كان له التأثير البالغ والشديد على كاتب التوراة، وأن هذا الكاتب كان يكتب ممّا يمكن أن يُوصَف بصفة «تاريخ الخلاص»؛ أيْ خلاص اليهود.

---

(1) الإله اليهودي، د/ ك يونغ، ص 25 - 28.
(2) الإله اليهودي، د/ ك يونغ، ص 25 - 28.
(3) الإله اليهودي، د/ ك يونغ، ص 25 - 28.
(4) منعطف المخيلة البشرية، صموئيل هنري هوك، ص 98 - 99.

إن مؤلّف سِفر أيوب يُقدِّم «يَهْوَه وهو يسأل أيوب: أين كنتَ حين أسّستُ الأرضَ؟ أَخْبِرْ إنْ كان عندك فَهْم». (38- 4). وبالتالي؛ إن هذا يستدعي ما ألحَّ عليه كُتّاب يهود عبرانيون متأخّرون على حقيقة غياب الشاهد الإنساني بفعل الخَلْق الإلهي، فتأمَّلْ ذلك الموقفَ اليهوديَّ؛ أيّها القارئ.

لقد كُتِبَت التوراة على مراحل زمنية متباعدة ومتعدّدة، بينها فواصل بعيدة في الزمن. وتأثّرت كلّ مرحلة من الكتابة بالتطوّرات التاريخية للمنطقة، ولأوضاع اليهود، وأُضيف إلى التوراة – عبر التاريخ – أنماط من القَصَص المختلقة، والتي غُلِّفَتْ بتراث شعوب ما بين النهرَيْن. وخاصة ما بعد العودة من الأسر البابلي، وإعادة بناء الهيكل التي قامت بها فئة من المتعصّبين الكَهَنَة، والتي هي مشكوك في أمرها، هذه الفئة التي يُطلَق عليها اسم الناسخين، أو الكَتَبَة «وعزرا الكاهن والناسخ هو نموذجهم».

ولقد استخدموا ما يُسمَّى بالتوراة (بالعرض التاريخي للبشرية)؛ أيْ العرض المبكّر وتاريخ أسلاف العبرانيين، الذي اتخذوه على يد الكاتب اليهودي الألوهي.[1]

كما يجب علينا ألا ننسى أن سِفْر أيوب قد كُتب ما بين (300 – 600 ق م)؛ أي في فترة متأخّرة من التاريخ اليهودي.

إن ما قدّمناه من عرض عن سِفْر أيوب في التوراة أردنا به التهيئة، حتى لا يصدم القارئ – بشكل عام، والقارئ المسلم بشكل خاص – ممَّا يقرأ بعض المقاطع من قصة أيوب مع الشيطان في التوراة.

التوراة، سِفْر أيوب، الإصحاح الأول:

[1 كَانَ رَجُلٌ فِي أَرْضِ عَوْصَ اسْمُهُ أَيُّوبُ. وَكَانَ هذا الرَّجُلُ كَامِلاً وَمُسْتَقِيمًا، يَتَّقِي اللهَ وَيَحِيدُ عن الشَّرِّ. 2 وَوُلِدَ لَهُ سَبْعَةُ بَنِينَ وَثَلاَثُ بَنَاتٍ. 3 وَكَانَتْ مَوَاشِيهِ سَبْعَةَ آلاَفٍ مِنَ الْغَنَمِ، وَثَلاَثَةَ آلاَفِ جَمَل، وَخَمْسَ مِئَةِ فَدَّانِ بَقَرٍ، وَخَمْسَ مِئَةِ أَتَانٍ، وَخَدَمُهُ كَثِيرِينَ جِدًّا. فَكَانَ هذا الرَّجُلُ أَعْظَمَ كُلِّ بَنِي الْمَشْرِقِ. 4 وَكَانَ بَنُوهُ يَذْهَبُونَ وَيَعْمَلُونَ وَلِيمَةً فِي بَيْتِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ فِي يَوْمِهِ، وَيُرْسِلُونَ وَيَسْتَدْعُونَ أَخَوَاتِهِم الثَّلاَثَ لِيَأْكُلْنَ وَيَشْرَبْنَ مَعَهُمْ.

---

(1) منعطف المخيلة البشرية، صموئيل هنري هوك، ص 98 - 99.

6 وَكَانَ ذَاتَ يَوْمٍ أَنَّه جَاءَ بَنُو الله لِيَمْثُلُوا أَمَامَ الرَّبِّ، وَجَاءَ الشَّيْطَانُ أَيضاً فِي وَسْطِهِمْ. 7 فَقَالَ الرَّبُّ لِلشَّيْطَانِ: «مِنَ أين جِئْتَ؟». فَأَجَابَ الشَّيْطَانُ الرَّبَّ وَقَالَ: «مِنَ الْجَوَلاَنِ فِي الأَرْضِ، وَمِنَ التَّمَشِّي فِيهَا». 8 فَقَالَ الرَّبُّ لِلشَّيْطَانِ: «هل جَعَلْتَ قَلْبَكَ على عَبْدِي أَيُّوبَ؟ لأَنَّهُ لَيْسَ مِثْلُهُ فِي الأَرْضِ. رَجُلٌ كَامِلٌ وَمُسْتَقِيمٌ، يَتَّقِي اللهَ وَيَحِيدُ عَنِ الشَّرِّ». 9 فَأَجَابَ الشَّيْطَانُ الرَّبَّ وَقَالَ: «هل مَجَّانًا يَتَّقِي أَيُّوبُ اللهَ؟ 10 أَلَيْسَ أَنَّكَ سَيَّجْتَ حَوْلَهُ وَحَوْلَ بَيْتِهِ وَحَوْلَ كُلِّ مَا لَهُ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ؟ بَارَكْتَ أَعْمَالَ يَدَيْهِ فَانْتَشَرَتْ مَوَاشِيهِ فِي الأَرْضِ. 11 وَلكِنِ ابْسِطْ يَدَكَ الآنَ وَمَسَّ كُلَّ مَا لَهُ، فَإِنَّهُ فِي وَجْهِكَ يُجَدِّفُ عَلَيْكَ». 12 فَقَالَ الرَّبُّ لِلشَّيْطَانِ: «هُوَذَا كُلُّ مَا لَهُ فِي يَدِكَ، وَإِنَّمَا إِلَيهِ لاَ تَمُدَّ يَدَكَ». ثُمَّ خَرَجَ الشَّيْطَانُ مِنْ أَمَامِ وَجْهِ الرَّبِّ.

13 وَكَانَ ذَاتَ يَوْمٍ وَأَبْنَاؤُهُ وَبَنَاتُهُ يَأْكُلُونَ وَيَشْرَبُونَ خَمْرًا فِي بَيْتِ أَخِيهِمِ الأَكْبَرِ، 14 أَنَّ رَسُولاً جَاءَ إِلى أَيُّوبَ وَقَالَ: «الْبَقَرُ كَانَتْ تَحْرُثُ، وَالأُتُنُ تَرْعَى بِجَانِبِهَا، 15 فَسَقَطَ عَلَيْهَا السَّبَئِيُّونَ وَأَخَذُوهَا، وَضَرَبُوا الْغِلْمَانَ بِحَدِّ السَّيْفِ، وَنَجَوْتُ أنا وَحْدِي لأُخْبِرَكَ». 16 وَبَيْنَمَا هُوَ يَتَكَلَّمُ إِذْ جَاءَ آخَرُ وَقَالَ: «نَارُ الله سَقَطَتْ مِنَ السَّمَاءِ فَأَحْرَقَتِ الْغَنَمَ وَالْغِلْمَانَ وَأَكَلَتْهُمْ، وَنَجَوْتُ أنا وَحْدِي لأُخْبِرَكَ». 17 وَبَيْنَمَا هُوَ يَتَكَلَّمُ إِذْ جَاءَ آخَرُ وَقَالَ: «الْكَلْدَانِيُّونَ عَيَّنُوا ثَلاَثَ فِرَق، فَهَجَمُوا على الْجِمَالِ وَأَخَذُوهَا، وَضَرَبُوا الْغِلْمَانَ بِحَدِّ السَّيْفِ، وَنَجَوْتُ أنا وَحْدِي لأُخْبِرَكَ». 18 وَبَيْنَمَا هُوَ يَتَكَلَّمُ إِذْ جَاءَ آخَرُ وَقَالَ: «بَنُوكَ وَبَنَاتُكَ كَانُوا يَأْكُلُونَ وَيَشْرَبُونَ خَمْرًا فِي بَيْتِ أَخِيهِمِ الأَكْبَرِ، 19 وإذا رِيحٌ شَدِيدَةٌ جَاءَتْ مِنْ عَبْرِ الْقَفْرِ وَصَدَمَتْ زَوَايَا الْبَيْتِ الأَرْبَعَ، فَسَقَطَ على الْغِلْمَانِ فَمَاتُوا، وَنَجَوْتُ أنا وَحْدِي لأُخْبِرَكَ].

ثم يتكرّر المشهد نفسه بين الرّبّ والشيطان في الإصحاح الثاني، ويسلّط الله الشيطان على جسده [7 فَخَرَجَ الشَّيْطَانُ مِنْ حَضْرَةِ الرَّبِّ، وَضَرَبَ أَيُّوبَ بِقُرْحٍ رَدِيءٍ مِنْ بَاطِنِ قَدَمِهِ إِلى هَامَتِهِ].

نحن لا نريد أن نتوسّع في كتابة سِفْر أيوب، فهو موجود كاملاً في التوراة باسم سِفْر أيوب.

القرآن العظيم:

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴾ الأنبياء 83 – 84.

قال تعالى: ﴿ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ ۖ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٤٣﴾ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ ۗ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾ ص 41 – 44.

إن أمر سيدنا أيوب كان ابتلاء من الله – تعالى – رازق النعمة، يعطيها مَنْ يشاء من عباده، ويأخذها متى يشاء، لا يُسأل عمّا يفعل، وهم يُسألون، فابتلاه الله – سبحانه وتعالى – في نفسه، وماله، وولده. فصبر. فردَّ الله – تعالى – له ذلك أضعافاً مضاعفة، لما كان عنده من مال، وولد، وأقال عثرته، وأصبح مثالاً يُحتذَى به لأصحاب البلاء والأمراض والمصائب، وهو النبيّ الكريم، فلم يتذمّر، ولم يشتكِ، بل كان صابراً محتسباً مُتوكّلاً في أمره على الله تعالى، وكما قال رسول الله ﷺ (أشدّ الناس بلاء الأنبياء، ثم الصالحون، ثم الأمثل، فالأمثل)[1].

وجعله الله – تعالى – مثالاً إلى يوم القيامة في البلاء والابتلاء وذهاب المال والودّ والصبر؛ فقال تعالى: (وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ)، (وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ).

وفي حديث رسول الله ﷺ عن أيوب عليه السلام وما جرى معه قال: (إن نبيّ الله أيوب بُعث له بلاؤه ثمانية عشر سنة، فرفضه القريب والبعيد، إلا رجلَيْن من إخوانه، كانا من أخصّ إخوانه، كانا يغدوان إليه، ويروحان. فقال أحدهما لصاحبه: تعلم – والله – لقد أذنب أيوب

---

(1) رواه الترمذي في كتاب الزهد – باب ما جاء في الصبر على البلاء.

ذنباً، ما أذنبه أحد من العالمين. قال صاحبه: وما ذاك؟ قال: منذ ثماني عشر سنة لم يرحمه ربّه، ويكشف ما به. فلمّا راحا إليه، لم يصبر الرجل حتى ذكر ذلك له. فقال أيوب: ما أدري ما تقول ؟ غير أن الله – عزّ وجل – يعلم أني كنتُ أمر على الرجلَيْن يتنازعان، فيذكران الله، فأرجع إلى بيتي، فأُكفِّر عنهما كراهية أنْ يذكرا الله إلا في الحقِّ). قال: وكان يخرج في حاجته، فإذا قضاها، أمسكت امرأته في يده حتى يرجع. فلما كان ذات يوم أبطأتْ عليه، فأوحى الله - تعالى - لأيوب أن ﴿ٱرۡكُضۡ بِرِجۡلِكَۖ هَٰذَا مُغۡتَسَلُۢ بَارِدٞ وَشَرَابٞ﴾، فاستبطأته امرأتُهُ، فتلقّته تنتظر، وأقبل عليها وقد أذهب الله ما به من بلاء، وهو أحسن ما كان. فلـمّا رأته، قالت: أيْ باركَ الله فيكَ؛ هل رأيتَ نبيَّ الله هذا المُبتلى ؟ فوالله القدير على ذلك ما رأيتُ رجلاً أشبه به منكَ إذا كان صحيحاً. قال: فإني أنا هو.

«وقال: وكان له أندران [1]/ الأندر يُساوي البيدر / أندر للقمح، وأندر للشعير، فبعث الله سحابتَيْن، فلما كانت إحداهما على أندر القمح، أفرغت في الذهب حتى فاض، وأفرغت الأخرى الورق / الفضة / في أندر الشعير حتى فاض».

ورواه ابن حبان في صحيحه رَقْم 2887، والحاكم في المستدرك 2 / 581 / 582.

ونرى أثراً للشيطان في قصة أيوب: ﴿وَخُذۡ بِيَدِكَ ضِغۡثٗا فَٱضۡرِب بِّهِۦ وَلَا تَحۡنَثۡۗ إِنَّا وَجَدۡنَٰهُ صَابِرٗاۚ نِّعۡمَ ٱلۡعَبۡدُۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ﴾ ص 44.

وذلك أن سيدنا أيوب حلف ليضربنَّ امرأته مائة سوط. واختلفت الروايات في ذلك، فمنها أن الشيطان تعرَّض لها، وقال لها إنه طبيب، يستطيع أن يصف لأيوب الدواء. فأتته، فأخبرته، فعرف أنه الشيطان. [2]

يقول ابن الأثير: إنما أقسم ليجلدها؛ لأن إِبْلِيْس ظهر لها، وقال: ما أصابكم ؟ قالت: بقَدَر الله. قال: وهذا – أيضاً – بقَدَر الله. فاتبعيني. فاتَّبعتْهُ. فأراها جميع ما ذهب منهم في واد. وقال: اسجدي لي، وأردّه عليكم. فقالت: إن لي زوجاً أستأمره. فلـمّا أخبرتْ أيوب، قال:

---

(1) الأندر = البيدر.

(2) قَصَص الأنبياء - ابن كثير، ص 252.

أَلم تعلمي أن ذلك الشيطان؛ لإنْ شُفيتُ لأجلدنَّكِ، وأبعدها. وقال لها: طعامكِ وشرابكِ عليّ حِرام؛ لا أذوق ممَّا تأتيني به شيئاً. فابعدي عني، فلا أراكِ. فلما رأى أيوب أن امرأته قد طردها، وليس عندها طعام ولا شراب ولا صديق، خرّ ساجداً، وقال: ربِّ؛ **أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ**، وردّ الله إليه جسده وصورته، ويروي لنا ابن كثير في الآيات الكريمة من سورة ص في قصة كأنها منقولة مباشرة عن التوراة؛ فهي إسرائيلية بحتة، يقول:

كان لإِبْلِيس موقف من السماء السابعة، فوقف به إِبْلِيس على عادته، فقال الله له أو قيل له عنه: أَ قدرتَ من عبدي أيوب على شيء ؟ فقال: يا ربُّ؛ وكيف أقدر منه على شيء، وقد ابتليتَهُ بالمال والعافية، فلو ابتليتَهُ بالبلاء والفقر، ونزعتَ منه ما أعطيتَهُ بحاله، لخرج عن طاعتَكَ؟ قال تعالى: قد سلَّطتُكَ على أهله وماله، فانحطَّ عدوُّ الله، فجمع عفاريتَ الجنِّ، فأعلمهم... إلى آخر القصة.

تحتوي هذه القصة على تشابه كبير بينها وبين القصة في التوراة، فهي - حكماً - من الإسرائيليات، ونرجو الانتباه إلى ذلك.

ومهما كان المصدر الدِّيني الذي روى قصة سيدنا أيوب ﷺ فإننا نلتمس أثر الشيطان في محنته، أو خلالها، وخاصة أن الشيطان لن يترك فرصة تمرّ إلا ويستغلّها، فهل يترك أيوب في ابتلائه بدون أن يعرض وسائله وإغراءاته، وخاصة أن الأنبياء - عليهم السلام - أكثر الناس بلاء وابتلاء؟!

إن قصة سيدنا أيوب عبرة لأولي الألباب، وتذكرة للعابدين، لكل مريض طال مرضه، ولكل مصاب فَقَدَ أبناءه، أو ذهب ماله، وليأخذ كُلُّ مَنْ قرأ القرآن العظيم إلى يوم القيامة أن نبي الله أيوب ﷺ أصابه البلاء أكثر من أيّ مخلوق دون الأنبياء - عليهم السلام - من العذاب، حتى إنه يكون حجّة يحاجج به الله - تعالى - عند الحساب كلّ مَنْ نال بعضاً من الابتلاء، وفَقَدَ نعمة الصبر، وتخلَّى عن الإيمان، كما أورد ابن كثير في قَصَص الأنبياء عليهم السلام عن مجاهد ما معناه: إن الله - سبحانه وتعالى - يحتجُّ يوم القيامة بسُلَيْمان ﷺ على الأغنياء، وبيوسف ﷺ على الأرقَّاء، وبأيوب ﷺ على أهل البلاء. والله أعلم. رواه ابن عساكر بمعناه [1].

(1) قَصَص الأنبياء لابن كثير، ص 252.

سُلَيْمَانَ عليه السلام:

ما من حدود - حتماً - للخيال الإنساني؛ سواء في الابتكار، أو عندما يكون لديه طرف الخيط في عالم اللامرئيات غير المحدود، حتى يجول العقل فيه بلا حدود. وما من قصة دخل فيها الخيال بالواقع والصحّ بالخطأ والمنطق باللامعقول مثل قصة سيدنا سُلَيْمان عليه السلام.

إن موضوع الشيطان والجنّ يبرز فيه من عالم الخفاء، عالم المكر والضرر، والوسوسة، عالم الخيال الجانح إلى عالم الحقيقة؛ حيث تظهر الجنّ والشياطين بصورها وأعمالها عاجزة مستسلمة لأمر الله - تعالى - بالخضوع إلى سُلَيْمان عليه السلام سُلَيْمان البشري، الذي يسيطر على عالم متميّز مختلف عمّا يعرف البشر. لقد أصبح العدوّ أمامكَ مقهوراً ذليلاً مطيعاً.

إن أجمل وأجمل وأعظم ما يُمثّله موضوع الشياطين والجنّ في بحثنا هذا أنكَ ترى فيه المكوّنات المتعدّدة والمشوّقة، والتي تخدم كافة الأغراض والأهداف في سياق البحث؛ ألا وأن لفيها من جلال وعظمة للحَدَث؛ بحيث إن الله - سبحانه - جعلها عبرة للناس جميعاً، فهي - في مضمونها - تخدم كافة الأهداف التي يظنّ البشر فيها أن الجنّ والشياطين قادرين على القيام بها. فعالم الجنّ والشياطين عالم الخيال والمخيّلة عالم ضبابي مسحور، يسرح فيه الإنسان بأمنيته التي تُحقَّق بأسرع من لمح البصر.

ها هو ذا العدوّ أمامكَ ذليلاً مُسخَّراً للإنسان؛ إنسان واحد فقط بقدرة الله تعالى، وهو سُلَيْمان عليه السلام الذي أُعطي هذه القدرة وحده لا غير.

إن الأحداث في الرواية تشير لنا بعناصرها المتميّزة عن غيرها في عالم الجن والشياطين؛ حيث نجد أن الله - تعالى - قد أمر وأذن لأحد من الأنبياء - عليهم السلام - بالسيطرة على عالم الجنّ المبهم الغامض؛ ذلك العالم الذي يعيش في الخفاء، عالم تتّسع فيه المخيلة في فضائه، عالم السِّحْر والغموض والمقدرة على الأمنيات والمستحيلات التي لا يستطيعها البشر.

وثانياً: أعمالها الكبيرة التي يراها الإنسان خارقة تتناسب مع قدرة أجسادها الذاتية التي أعطاها إياهم الله سبحانه وتعالى، فليس غريباً أن يطير الجنّ؛ إذا كانوا يملكون أجنحة كبيرة،

أو يحملون صخوراً هائلة؛ إذا كانت عضلاتهم وأجسادهم تملك القدرة على ذلك. ولكن الجديد أن أعمالهم قد سُخِّرَتْ للخير، وليست للشَّرِّ بإذن الله تعالى، تفعل وتعمل ما يشاء سُلَيْمان عليه السلام طوعاً أو كرهاً، برضاء أو بدون رضاء، والعقاب أحد أسباب الخضوع فيما لو عصت، أَلا ترى معي اللمسة الإلهية العظيمة؛ حيث يستطيع سُلَيْمان البشري أن يُعاقب ويفرض العقاب على عالم الجنّ والشياطين المخلوقة من مارج من نار، وهم لا يستطيعون ردّ ذلك مع قدراتهم وأجسادهم.

ثالثاً: إن ما تعطيه قدراتهم الجسدية وإمكانات تكوينهم ممَّا لا يستطيعه البشر بإمكاناتهم كاختصار الزمان والمكان وبناء القدور الراسيات والغوص في أعماق البحار، وجلب عرش بَلْقِيْس، كل ذلك تحت سيطرة سيدنا سُلَيْمان عليه السلام والأهم من ذلك بعد بيان هذه القدرات الجنّيّة الكبيرة؛ ممَّا يعجب الإنسان، فهم - رغم ذلك - لا يعلمون الغيب، ولا يمكن لهم أن يعلموا الغيب بأيّ حال من الأحوال، ولا علم المستقبل بما يضمه من مستورات وحُجُب خافية على أنظار الخَلْق. فموت سيدنا سُلَيْمان جعلها ترزح وتكدح وتتعذّب فترة من الزمان كما قيل حوالي السنة أو أكثر وهم في العذاب لا يعلمون موته، ولبيان عجز الجنّ والشياطين عن معرفة الغيب، مع قدراتهم العجيبة أظهر لنا الله - سبحانه - موت سُلَيْمان بحشرة صغيرة، دلّتهم على موته، وهم ما هم عليه من المعرفة والقدرة والسرعة.

العرض:

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى: ﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَـٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴾ النمل 16، ﴿ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَـٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴾ النمل 17.

﴿ فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٢٥﴾ يَـٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَـٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَـٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾ ص 25-27.

﴿ وَمِنَ ٱلشَّيَـٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَكُنَّا لَهُمْ حَـٰفِظِينَ ﴾ الأنبياء 82.

﴿ وَلِسُلَيْمَـٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ ۖ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَـٰرِيبَ وَتَمَـٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَـٰتٍ ۚ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴾ سبأ 12 – 13.

﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴾ سبأ 14.

تحتوي قصة سيدنا سُلَيْمان في التراث الإسلامي الكثيرَ من المعجزات والخوارق لقوانين الطبيعة؛ بحيث ينبهر الإنسان من أن يأتي ذلك لأحد من البشر، ويُعطى هذه الميزات الجمة والكبيرة في التحكّم في الرياح والجن ومنطق الطير والمال والمُلك جميعها، ولكنَّ ذلك على الله – سبحانه وتعالى – هيّن، ويسير.

إن قراءة قصة سُلَيْمان والجن والشياطين يعطي لمخيلة الإنسان آفاقاً بعيدة للتصوّر فيما يمكن للجن أن يعملوه من أعاجيب خارقة؛ ناسين أن ذلك من فضل الله تعالى.

لقد أورد لنا التراث الإسلامي قَصَصاً كثيرة في تفسير الكثير من الأحداث التي تضمّنتها عناصر القصة. والتي – بعد دراستها وفحصها – يتبين لنا أن معظمها من الإسرائيليات، والتي تصل – أحياناً – إلى خصوصية هامّة؛ فتمسّ الأنبياء عليهم السلام، لذلك نرجو الانتباه إلى ذلك.

قال القزويني في كتابه عجائب المخلوقات نقلاً عن كتاب موسوعة «أساطير العرب، د محمد عجينة، ص 237»[1]: لَّما سخر الله - تعالى - الجنَّ لسُلَيْمان عليه السلام نادى جبرائيل عليه السلام: أيها الجنّ والشياطين؛ أجيبوا - بإذن الله تعالى - لنبيه سُلَيْمان بن داود.

الملائكة تسوق الجنّ:

فخرجت الجنّ والشياطين من المفازات ومن الجبال ومن الأودية والفلوات والآجام وهي تقول لبيكَ لبيكَ، تسوقها الملائكةُ سوقَ الراعي غنمه، حتى حُشِرَتْ طائعة ذليلة وهي - يومئذ - أربعمئة وعشرون فرقة. «فوقفوا بين يدَيْ سُلَيْمان، فجعل ينظر إلى خَلْقها وعجائب صورها، وهم بيض وسود وشقر وصفر وبلق على صورة الخيل والبغال والسباع، ولهم خراطيم وأذناب من القوة والهيبة ما أستطيع النظر إليهم». فأتاه جبريل عليه السلام وقال: «إن الله - تعالى - قوّاك عليهم. قمْ من مكانكَ. فقام والخاتم في أصبعه، فخرَّت الجن والشياطين ساجدة، ثم رفعت رؤوسها، وقالت: يا ابن داود: إنا قد حُشرنا إليكَ، وأُمِرْنَا لكَ بالطاعة، فجعل سُلَيْمان يسألهم عن أديانهم وقبائلهم ومساكنهم وطعامهم وشرابهم، وهم يجيبونه. فقال لهم: ما لكم صوركم مختلفة، وأبوكم الجان واحد. .؟!. فقالوا: إن اختلاف صورنا لاختلاف معاصينا، واختلاطه بنا. فنظر سُلَيْمان عليه السلام، فرأى المَرَدَة يهمُّون بالفساد، والملائكة يحولون بينهم وبين ذلك بالأعمدة.

فصفدَ مَرَدَة الجنِّ في الأعمال المختلفة من عمل الحديد والنحاس وقطع الأشجار والصخور وأبنية الحصون. وأمر نساءهم بغزل القزّ والقطن ونسج البسط والنمارق. وأمر بعضهم بعمل المحاريب والتماثيل والجفان كالجواب وقدور راسيات. فاتخذوا قدوراً من الحجارة، كلّ قدر يأكل منها ألف نسمة.

---

(1) انظر القزويني، عجائب المخلوقات، ص 393 - 395.

- وأشغل طائفة لاستخراج الجواهر واللآلئ.
- طائفة لحفر الآبار والقني وشقّ الأنهار.
- طائفة لاستخراج الكنوز من تحت الأرض.
- طائفة للمعدنيات واستخراجها من المعادن.
- طائفة لرياضة ركوب الخيل الصعاب.

فأشغل كلّ طائفة منهم بأمر صَعَّبَ فسادهم، ويكون قوة لمُلكه. وهذه الصفات للشياطين ليس لها سند في القرآن الكريم، ولا في أحاديث الرسول ﷺ.

صفة شياطين سُلَيْمَان:

قال وهب بن منبه: رأى سُلَيْمان عليه السلام الشياطين على صورة عجيبة:

فمنهم مَنْ كان يمشي على أربع، ومنهم مَنْ كان له رأسان، ومنهم مَنْ كانت رؤوسهم رؤوس أسود وأبدانهم أبدان الفيلة،

ورأى سُلَيْمان ﷺ شيطاناً نصفه نصف صورة كلب، ونصفه صورة السنور، وله خرطوم طويل. فقال له: من أنت ؟! فقال: أنا مهر بن هفان بن فيلان. فقال سُلَيْمان: ما عندكَ من الأعمال ؟ فقال: عندي عمل الغناء، وعصر الخمر، وشُربه، وأُزيِّن الشُّرب والغناء لبني آدم، فأمر بتصفيده. ثم مرّ عليه آخر قبيح الشكل أسود له سمة الكلاب، والدم يقطر من كلّ شعرة على بدنه، وهو قبيح الشكل جداً. فقال له: مَنْ أنت ؟! فقال: أنا الهلهال بن المحول. فقال له: ما عملكَ ؟ فقال: سفك الدماء. فأمر بتصفيده. فقال: يا نبيَّ الله؛ تُقيِّدني فإني أحشر إليكَ جبابرة الأرض، وأعطيكَ العهد والميثاق أنْ لا أفسدَ في مملكتكَ. فأخذ عليه العهد والميثاق ظافراً، وختم على عنقه، وأطلقه.

ومرَّ به آخر في صورة قرد لـه أظـافر كالمناجـل، وهـو قـابض عليـه بـربط.[1] فقـال لـه: ما عملكَ ؟! فقال له: أنا أول مَنْ وضع هذا الـبربط، وحرَّكـه، فـلا يجـد أحـد لـذة الملاهـي إلا بي. فأمر بتصفيده [2]. والله أعلم.

بعد هذا التصنيف والتنوّع في القدرة على الشَّرِّ واختلاف الأشكال والأنواع؛ إذا نظرنا إلى هذه القَصَص لوجدنا بصمات الراوي الإسرائيلي تُبيِّن لنا أنها من الإسرائيليات؛ حيث جنـوح الخيال والإغراق في التخييل، ونحن يجب علينا أن نلتمّس طريقنا بحذر ضمن هذه الطريـق، فلا نؤمن إلا ما يثبت صحّته، وما كان أساسه منطلقاً من القرآن العظـيم، أو الـسُّنَّة الـشريفة الصحيحة، أو المصادر الموثوقـة عـنهما؛ لأننـا - في هـذه الحـال - نـساعد في نـشر الخرافـات وتثبيت الأكاذيب والدجل والسِّحْر والشعوذة وغيرها. . .

كيف لنا أن نُصدّق قدرةً على علْم الغيب والـرزق والآجـال والمـرضى والـصحة والـشر وهم لا يعلمون أين يوجد الماء. ويثقبون خرزة كما في القصة التالية؛ حيث نجد أن الطبري في قصة سُلَيْمان عليه السلام بعدما يفصل ما بين الشياطين والجن كفئتَيْن؛ يقول الطبري:

بينما كان سُلَيْمان يسير إذ نزل مفازة [3]، فسأل عـن بُعْـد المـاء هـا هنـا؟ فقالـت الإنـس: لا ندري. فسأل الجنّ، فقالوا: لا ندري. فسأل الشياطين، فقالوا: لا ندري. فغضب سُـلَيْمان، وقال: لا أبرح حتى أعلم كم بُعْد مـساحة المـاء هـا هنـا. فقالـت الـشياطين: يـا رسـول الله؛ لا تغضب، فإن يكن شيئاً يعلم، فالهدهد يعلمه.[4]

نجد هنا أن الجن والشياطين لا يعلمون مسافة المـاء، وأيـن يوجـد، بـل نـسبوا ذلـك إلى الهدهد، بل إن الجن والشياطين عجزت حتى عـن ثقـب خـرزة أو لؤلـؤة، فـسأل الـشياطين فقالوا: تُرسل إلى الأرضة.

(1) بربط آلة موسيقية شبيهة بالعود.
(2) القزويني: عجائب المخلوقات، ص 393 - 395.
(3) المفازة = الصحراء.
(4) عجائب المخلوقات، القزويني، ص 393 - 395.

هذه هي الشياطين التي تُنسَب إليها أفعال القوة والجبروت وعلم الغيب لا تستطيع أن تثقب لؤلؤة، أو أن تجد الماء في الصحراء[1]. ويقول ابن كثير في التفسير «إن هذه السياقات مُتلقَّاة عن أهل الكتاب، ممَّا وُجد في صُحُفهم كروايات كعب ووهب سامحهما الله فيما نقلا إلى هذه الأمة من أخبار بني إسرائيل من الأوابد والعجائب ممَّا كان وممَّا لم يكن وممَّا حُرِّف وبُدِّل ونُسخ، ولقد أغنانا الله - تعالى - بما هو أصحّ وأنفع وأوضح: كتاب الله تعالى «القرآن العظيم».

أعمال الشياطين لسيدنا سُلَيْمَان:

البناء: من الأعمال التي كانت الشياطين تقوم بها البناء. وقد قال ابن كثير - نقلاً عن أناس لا نعرف مَنْ هم، ولم يذكرهم - أن مُدُناً كاصطخر وتدمر وبيت المَقدِس (وباب جيرون، وباب البريد) في دمشق بَنَتْهَا الجنّ والشياطين على أحد الأقوال، كما أن الصَّرْح الذي ورد ذِكْره في القرآن العظيم نسبه الطبري إلى الجنّ والشياطين؛ فقال سُلَيْمَان للشياطين: ابنوا لي صرحاً، تدخل عليّ فيه بَلْقِيْس، كما أن الجنّ قد بَنَتْ كثيراً من الحصون كحصون اليمن على أيام ملك ذي تبع زوج الملكة بَلْقِيْس، حسب ما أورد الطبري فقال: «فقالت بَلْقِيْس: زوِّجني إنْ كان ولابدّ ملك همدان، فزوّجه إياها، ثم ردَّها إلى اليمن، وسلَّط زوجها ذا تبع على اليمن، ودعا زوبعة أمير جنّ اليمن، فقال: اعملْ لذي تبع ما استعملكَ لقومه. قال: فصنع لذي تبع الصنائع باليمن، ثم لم يزل بها ملكاً يعمل له بها ما أراد، حتى مات سُلَيْمَان بن داود عليه السلام.

فلمّا تبيَّنت الجنُّ موتَ سُلَيْمَان أقبل أحدهم، فسلك تهامة، حتى إذا كان في اليمن، صرخ بأعلى صوته: يا معشر الجنِّ؛ إن الملك سُلَيْمَان قد مات، فارفعوا أيديكم، فعمدت الجنُّ والشياطين إلى حجرَيْن عظيمَيْن، فكتبوا فيهما كتاباً بالمسند «نحن بنينا سلحين سبعة وسبعين خريفاً دائبين، وبنينا صرواح ومراح وبنيون حاضة أيدين وهندة وهنيدة وسبعة أمجلدة بقاعة وتلثوم بريدة ولولا صارخ تهامة لتركنا بالبون إمارة». وهذه جميعها هي أسماء حصون باليمن».

---

(1) ابن كثير، قَصَص الأنبياء، ص 470.

أظنّ أن ذلك من الأساطير التي كانت منتشرة في الجزيرة العربية وغيرها عن قدرة الجـنّ، وأعمالهم.

وقال النابغة الذبياني:

إلا سُــــلَيْمان إذ قــــال الإلـــــه لـــــه قُــمْ في البريــة فاحــددها عــن الفنــد

وخيّس الجن إني قد أذنتُ لهم يبنون تدمر بالصـــــفـاح والعمد

ودلالة أخرى عن الآية الكريمة أن الشياطين سُخِّرت لسُلَيْمان، وما سُخِّرَتْ لأحـد مـن قبله هي:

الغوص:

فهم يستخرجون له اللؤلؤ والمرجان والجواهر والدّرّ من البحار، وحفظهم الله - تعالى - له من أن يهربوا، أو يمتنعوا، ومن أنْ يخرجوا عن أمره.

الجفان والتماثيل والمحاريب:

وسخّر الجن له - أيضاً - يعملون له ما يـشاء مـن أعـمال كمحاريـب الأمـاكن الجميلـة الحسنة والمجالس، وتماثيل كما قال ابن كثير «هي صور في الجـدران» والجفـان: هـي الأوعيـة الكبيرة جداً، والقدور الراسيات؛ أيْ أوعية ثابتة في الأرض لا يُنقلنَ من أماكنهنَّ، كما عملوا في الزجاج، فبنوا له الصرح الممرد من الزجاج وغيره.

ومن عصا وتمرَّد فيبقى في الأصفاد مقرنَين اثنين اثنين في القيود، وهذا كلّـه مـن الأشـياء التي سخّرها له الله سبحانه وتعالى، والتي لا ينبْغي لأحد من بعده، ولم تكن لأحد من قبله.

عرش بَلْقِيْس:

قال تعالى: ﴿قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُاْ أَيُّكُمْ يَأْتِينِى بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾ قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ قَالَ نَكِّرُواْ لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِىٓ أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾ فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ ۖ قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَ ۚ وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾ النمل 38-42.

من استقراء الأحداث الموجودة في قصة سيدنا سُلَيْمان مع الجنّ ومن الآية الكريمة نجد أن المقارنة بين قدرة الجنّ الذاتية التي هي قادرة على حمل عرش بَلْقِيْس من اليمن في زمن يُعدُّ بالساعات هي قدرة خاضعة لتكون قدرة الجنّ وأجسادهم، كأن الله - تعالى - أرادنا أن ننظر أو ينظر الناس إلى هذه القدرة الكبيرة والسريعة جداً لعفريت الجنّ، والتي لا تقاس بشيء عند القدرة الموهوبة إلى إنسان يحمل صفات البشرية قدرة بشرية التي لا تُقارَن بالجني إلا بما أعطاه الله - سبحانه وتعالى - من علم متميّز به عن غيره. وهنا تكمن المعجزة الإلهية العظيمة في مجيء عرش بَلْقِيْس أنه تمَّ عن طريق علْم من الكتاب بعبد من العباد، لا يملك ما تملكه الشياطين من القوة والقدرة، ويمكن أن نقارن ذلك مع موقف المسيح عليه السلام إذ أعطاه الله - تعالى - القدرة على إحياء الموتى والخَلْق خَلْق الطير، وبإذن الله - تعالى - فالإعجاز أن يتمَّ ذلك بالوساطة الإنسانية، وسواء اختلفت آراء المُفسّرين مَنْ هو ذلك الرجل الصالح الذي عنده علْم الكتاب، أم لم تختلف، فالمعجزة قد حصلت !!.

لقد أورد القرطبي في تفسيره؛ وهو كما يقول:

ما اصطلح عليه الجمهور من الناس أنه رجل صالح من بني إسرائيل؛ اسمه آصف بن برخيا، رُوي أنه صلى ركعتَيْن، ثم قال لسُلَيْمان: يا نبي الله امددْ بصركَ، فمدَّ بصره نحو اليمن؛ فإذا بالعرش، فما ردَّ سُلَيْمان بصره إلا وهو عنده، ثم يقول: وما فعله العفريت، فليس من المعجزات، ولا من الكرامات، فإن الجنّ يقدرون على مثل هذا. والله أعلم [1].

متفرّقات عن الشياطين في قصة سُلَيْمان عليه السلام:

قالت تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَـٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ﴾ ص 34.

لقد أقبل المُفسّرون على تفسير الآية الكريمة بقَصَص مختلفة الأنواع والأشكال، ولا نريد أن نورد بعضاً منها؛ لأنها - بشكل قاطع - من الإسرائيليات البحتة، والتي لا تمسّ مقام النبي سُلَيْمان عليه السلام، وتمسّ عصمة الأنبياء بشكل عامّ، فلا يُعقَل أن يسرق عفريتٌ خاتمَ ملك سُلَيْمان، وأن يتشبَّه به، وأن يدخل على نسائه، وأن يعبد في بيته صنماً لمدة أربعين يوماً، فسلبه الله - تعالى - ملكه أربعين يوماً؛ فتنة له على ما عبد في بيته. وقد أنكر كثير من المُفسّرين ما ورد في هذه القَصَص، ومنها ما رُوي عن ابن عَبَّاس ومجاهد وغيرهم من أئمة السَّلَف أن ذلك غير صحيح؛ لأنه من الإسرائيليات. يقول ابن كثير: لكن الظاهر أنه إنما تلقَّاه ابن عَبَّاس رضي الله عنهما إنْ صحَّ عن أهل الكتاب، ومنهم طائفة لا يعتقدون بنبوءة سُلَيْمان عليه السلام، فالظاهر أنهم يكذبون عليه. ولهذا؛ كان في السياق منكرات أشدّها ذِكْر النساء. ثم نقول وقد رُويت هذه القصة مطوّلة جماعة من السلف رضي الله تعالى عنهم؛ كسعيد بن المسيب وزيد بن أسلم وجماعة آخرين، وكلّها متلقّاة من قَصَص أهل الكتاب. والله - سبحانه وتعالى - أعلم بالصواب !! [2]

---

(1) تفسير القرطبي: سورة النمل، ص 207، جـ 13.

(2) تفسير القرطبي: سورة النمل، ص 207، جـ 13.

الجن لا يعلمون الغيب:

قال تعالى:﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴾ سبأ 14.

إذا نظرنا في الآية الكريمة ومضمونها ثم العبرة منها لوجدنا فيها دلالة قاطعة وواضحة وصريحة وهي ينبغي أن لا يعلم الجنّ علْم الغيب، لقد بقي الجنّ يعملون تحت إمرة سُلَيْمان ، من أعمال شاقة أو مصفّدين في الأغلال، وهم لا يتجاسرون على رَفْع النظر إلى سيدنا سُلَيْمان، وبقوا بعد موته حوالي السنة - وهم كادحون في العذاب المهين - لا يعلمون أنه قد مات. إن الإعجاز العظيم في الآية أنه ما دلَّهم على موته وهُم المَرَدَة والعفاريت والشياطين سوى حشرة صغيرة لا تُقارن بهم، حتى ألمت عصاه، فسقط ميتاً.

رُوي عن ابن عَبَّاس - رضي الله عنهما - عن النبي ﷺ قال:

«كان سُلَيْمان نبي الله إذا صلى رأى شجرة نابتة بين يدَيه، فيقول لها: ما اسمكِ ؟ فتقول: كذا. فيقول: لأيّ شيء أنتِ ؟ فإنْ كانت لغرس غُرِسَتْ، وإن كانت لدواء أنبتت، فبينما هو يصلي ذات يوم إذْ رأى شجرة بين يدَيْه. فقال لها: ما اسمكِ؟ قالت: الخروب. قال: لأيّ شيء أنتِ؟ قالت: لخراب هذا البيت. فقال سُلَيْمان:" اللهمَّ عَمِّ على الجنِّ موتي، حتى تعلم الإنسُ أن الجنَّ لا يعلمون الغيب. فنتجها عصا، فتوكأ عليها حولاً والجنّ تعمل، فأكلتها الأرضة. فتبيَّنت الإنسُ أن الجنَّ لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا حولاً في العذاب المهين. فشكرت الجنُّ للأرضة. فكانت تأتيها بالماء. والله أعلم [1].

---

(1) رواه السيوطي في الدر المنثور، 6 / 683، والحاكم في المستدرك، 4 / 198.

المسيح عيسى عليه السلام:

لقد أرسل الله – سبحانه وتعالى – السيد عيسى عليه السلام إلى بني إسرائيل رحمة ونوراً وإعجاز للتخفيف عنهم، بعد الذي كان عليهم من الأعباء الروحية، والآثام، لقتلهم الأنبياء، ومخالفة شريعة موسى عليه السلام، أرسل عيسى وأمه معجزتين إلهيتين كبيرتين، وأيَّده بروح القُدُس، فأتى بالمعجزات الباهرة، التي ذلَّت لها الأعناق في عصره.

إن مجمل الآيات والمعجزات التي أتى بها السيد المسيح عليه السلام إنما هي حجة الله – تعالى – على عباده، وإثباته لقدرة الله – تعالى – على مر الزمان والأيام، مادامت هذه المعجزات قد قام بها نبي من بني البشر بإذن الله الواحد الأحد، ومادامت مُسطَّرة بين آيات كتاب الله تعالى، ألا وهو القرآن العظيم.

وكما في كل زمان ومكان؛ فلقد تعرَّض السيد المسيح عليه السلام إلى الشيطان الرجيم، وحاول إغواءه، ورده عما بُلِّغ به، فلما فشل في ذلك، استغلَّ إِبْلِيْس معجزاته الباهرة؛ ليُضلَّ بها الناس، ناسياً ما فعله – بإذن الله تعالى – إلى الإشراك بالله ،والثالوثية، لا؛ بل بأنه الله، سبحانه وتعالى عما يصفون.

لقد استغلَّ الشيطان معجزات المسيح عليه السلام وآياته، فأضلَّ بها أمماً كثيرة من الناس، وألقى بظلال من الضلالة والشك على الدِّين الذي أرسله الحجة، وأقام الدليل على بطلان ما يدَّعون.

وما يهمُّنا في بحثنا أن المسيح قد تعامل مع إِبْلِيْس بذاته، وتعرض لتجربته، كما أقدره الله – تعالى – على طرد الشياطين من أجساد البشر، التي كانت تسكن فيها، أو تمسَّهم؛ فتُسبِّب لهم الأذى والمرض، وقد أظهرت لنا الأناجيل – في كثير من المواقف – ذلك، وخاصة إنجيل مَتَّى و إنجيل لُوْقَا.

العرض:

قال تعالى: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ آل عمران 59.

﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ ۖ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا ۚ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾ ۞ فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴾ مريم 16-23.

﴿ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا ﴾ التحريم 12.

﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۖ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ ۘ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴾ النساء 171.

ولقد قصَّ علينا كتابُ الله قصة مريم وابنها المسيح عليهما السلام في كثير من سور القرآن الكريم، فجاءت قصته كاملة بليغة، كذّب بها الله - تعالى - أهل الكتاب فيما يقولون عن عيسى عليه السلام وأمه مريم.

لقد استجاب الله - تعالى - دعوة امرأة عمران في ابنتها مريم وابنها المسيح، عليهما السلام، فكلّلهما بعنايته، وأحاطهما برعايته، ومنع عنهما الشيطان الأكبر من ولادتهما إلى

نهايتهما، فلم يستطع أن يمسّهما بسوء، وخاصة أن للشيطان لمسة، وأن له لعصرة عندما يلد المولود: قال تعالى ﴿ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ آل عمران 26.

فاستجاب الله – تعالى – لدعوتها، فلم يمسَّ الشيطانُ مريمَ، ولا ابنها عيسى عليهما السلام؛ قال رسول الله ﷺ " كل مولود من بني آدم يمسه الشيطان بأصبعه؛ إلا مريم بنت عمران، وابنها عيسى ". [1]

وعن أبي هريرة: قال رسول الله ﷺ: ما من مولود إلا وقد عصره الشيطان عصرة، أو عصرتين، إلا عيسى بن مريم ومريم، ثم قرأ رسول الله ﷺ ﴿ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ آل عمران 36.

فلما وضعت مريم عليها السلام وهي محزونة قيل لها ﴿ أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴾ مريم 24، فكان الرطب «التمر» يتساقط عليها، وذلك في الشتاء [2]، يقول الطبري بعد ذلك:

فأصبحت الأصنام التي كانت تُعبَد من دون الله حين ولدت بكل أرض مقلوبة منكوسة على رؤوسها، ففزعت الشياطين، وراعها، فلم يدروا ما سبب ذلك، فساروا عند ذلك مسرعين، حتى جاؤوا إِبْلِيْس وهو على عرش له في لجَّة خضراء، فآتوه وقد خلا ست ساعات من النهار، فلما رأى إِبْلِيْس جماعتهم، فزع من ذلك، ولم يرهم جميعاً منذ فرَّقهم قبل تلك الساعة، إنما كان يراهم شتاتاً، فسألهم، فأخبروه أنه حدث في الأرض حدث، فأصبحت الأصنام منكوسة على رؤوسها، ولم يكن شيء أعون على هلاك بني آدم منها، كنا ندخل أجوافها، فنُكلِّمهم، ونُدبِّر أمرهم، فظنوا أنها التي كلَّمتهم، فلما أصابها هذا الحدث صغَّرها في عين بني آدم، وأذلها، وأدناها، وقد خشينا ألا يعبدوها بعد هذا أبداً. . واعلم أنّا لم نأتك حتى أحصينا الأرض، وقلبنا البحار، وكل شيء قوينا عليه، فلم نزدد إلا جهلاً، فقال لهم إِبْلِيْس لعنه الله: إن هذا الأمر عظيم، لقد علمتُ أني كتمتُهُ، وكونوا على مكانكم هذا، فطار إِبْلِيْس عند ذلك، فغاب عنهم ثلاث ساعات، فمرَّ فيهنَّ بالمكان الذي وُلد فيه عيسى عليه السلام،

---

(1) أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء.

(2) أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده، 2 / 523.

فلما رأى الملائكة محدقين بذلك المكان، علم أن ذلك الحدث فيه، فأراد أن يأتيه من فوقه، فإذا فوقه رؤوس الملائكة ومناكبهم تصل عند السماء، ثم أراد أن يأتيه من تحت الأرض، فإذا أقدام الملائكة راسية أسفل مما أراد إِبْلِيْس، ثم أراد أن يدخل من بينهم، فنحوه عن ذلك، ثم أخبرهم بمولد المسيح، وقال لهم: لقد كتمتُ شأنه، وما اشتملت قبله رحم أنثى على ولد إلا بعلمي، ولا وضعته قط إلا وأنا حاضرها، وإني لأرجو أن أضلَّ به أكثر مما يُهتدى به، وما كان نبي قبله أشد علي وعليكم منه [1]. والقصة نفسها - ولكن مختصرة - ذكرها ابن الأثير في الكامل في التاريخ، وزاد عليها: فلما ولدته، ذهب إِبْلِيْس، فأخبر بني إسرائيل أن مريم قد ولدت، فأقبلوا يشتدون بدعوتها ﴿فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ﴾ مريم 27. [2]

وزعم وهب بن منبه " لقي إِبْلِيْس - لعنه الله - عيسى عليه السلام على العقبة لم يطق منه شيئاً، فتمثَّل له رجلاً ذي سن، وهيئة شيخ، وخرج معه شيطانان ماردان، يتمثَّلان كما تمثَّل إِبْلِيْس، وخالطوه جماعة الناس، فلما رآه الناس في هيئة يبهر حسنها وجمالها، فزعوا له، وكان عيسى عليه السلام قد اجتمع عليه الناس؛ يداوي ويشفي مَنْ يشفي بإذن الله تعالى، فجعل إِبْلِيْس يخبرهم بالأعاجيب، فكان في قوله " إن شأن هذا الرجل لعجب، تكلَّم في المهد، وأحيا الموتى، وأنبأ عن الغيب، وشفى المريض، فهذا الله. فقال أحد صاحبيه (من الشيطان): جهلتَ - أيها الشيخ - وبئس ما قلتَ، لا ينبغي لله أن يتجلى للعباد، ولا يسكن الأرحام، ولا يسكن أجواف الناس، ولكنه ابن الله، وقال الثالث: بئس ما قلتما، كلاكما قد أخطأ وجهل، ليس ينبغي أن يتخذ الله ولداً، ولكنه إله معه. ثم غابوا حين فرغوا من قولهم، فكان ذلك آخر العهد معهم [3]. ولم يكتفِ إِبْلِيْس بجعل المسيح عليه السلام ابناً الله تعالى، أو ثالث ثلاثة، أو غير ذلك مما يدّعون أو يقولون، بل ألقى بشبهاته وضلاله على عملية صلبه، وقتله، ثم ما تبع ذلك من قيامه من الموت، وغير ذلك مما أخبرتنا به الأناجيل، ويروي لنا القرطبي في قصة انفرد بها دون سائر القَصَص المتعددة في رفع السيد المسيح عليه السلام وعن إلقاء الشبه على أحد حوارييه

---

(1) الطبري، ص 352، جـ1.

(2) الكامل في التاريخ، ص 278، جـ 1، فهذا الله.

(3) الطبري، ص 352، جـ 1.

وهي – في رأينا – الأقرب إلى العقل والتصور، والله أعلم، قال الضحَّاك:. . القصة بعد القصة. ونجد – أيضاً – أن ابن الأثير قد أفرد لنا روايات كثيرة متعددة عن رفع السيد المسيح، وإلقاء الشبه على أحد من الناس، وواحدة منها أقرب إلى رواية القرطبي. . وروى القرطبي قصة انفرد بها دون سائر القَصَص عن شبه المسيح عليه السلام وقتله هي الأقرب إلى التصور والعقل، والله أعلم. قال الضحاك: كانت القصة لما أرادوا قتل عيسى، اجتمع الحواريون في غرفة اثني عشر رجلاً، فدخل عليهم المسيح من مشكاة الغرفة [1]، فأخبر إِبْلِيْس جميع اليهود، فركب منهم أربعة آلاف رجل، فأخذوا باب الغرفة، فقال المسيح للحواريين: أيكم يخرج ويُقتَل ويكون معي في الجنة؟ فقال: أنا، يا نبي الله. فألقى إليه مدرعة من صوف، وعمامة من صوف، وناوله عكازه، وألقى عليه شبه عيسى، فخرج على اليهود، فقتلوه، وصلبوه، وأمَّا المسيح؛ فكساه الله – سبحانه – الريش، وألبسه النور، وقطع عنه لذة المطعم والمشرب، فطار مع الملائكة. [2]

من المؤسف حقاً أننا نجد – الآن – أناساً أو علماء كما يدعون يحاولون تفسير المعجزات الإلهية على أنها ظاهرات طبيعية، بغية إنكار النبوءات، أو التقليل من قدر الأنبياء ورسالاتهم، ويقول صموئيل هوك في كتابه منعطف المخيلة البشرية: من الممكن تفسير " معجزات العهد القديم والعهد الجديد (أي التوراة) والإنجيل بمصطلح الظاهرات الطبيعية، وقد جرت بعض المحاولات في هذا الخصوص، ففُسِّرت أوبئة مصر العشرة بأنها ظاهرة طبيعية، استغلَّها موسى عليه السلام لإحداث صدع خرافي في ذهن فرعون وشعبه، كما فسر انهيار " أسطورة أريحا " في التوراة على يد يوشع بن نون أنه نتيجة هزَّة أرضية، كما أن عبور بني إسرائيل كان نتيجة هزَّة أرضية سبَّبت يباس قاع نهر الأردن، ممَّا أتاح لبني إسرائيل العبور فوق المخاوض الجافة. [3]

ويقدِّم الكاتب لنا عرضاً للأناجيل المعترف بها، فيقول: هناك إنجيلان لضمان ولادة وطفولة يسوع هما مَتَّى ولُوْقَا، وهناك تباين واسع بين العرضين.

---

(1) مشكاة = نافذة.

(2) القرطبي، جـ4، سورة آل عمران، ص 100.

(3) منعطف المخيلة البشرية، ص 122-135.

يبين لنا لُوْقَا في مقدمته أنه استقى معلوماته (من الناس) الذين كانوا منذ البدء ممانعين، وينطوي عرضه على قدر من المسحة الأسطورية يقلُّ عمّا في مَتَّى.

ويتوصل الكاتب - في النهاية - إلى أن هناك لمحات أسطورية في الإنجيلين؛ الهدف منها دعم نبوءات العهد القديم عن مجيء عيسى عليه السلام حيث يجد الكاتب أنه تمَّ الاستشهاد بها لا يقلُّ عن خمسة مقاطع من العهد القديم " التوراة " باعتبارها نبوءات تحقَّقت ضمن حوادث حياة المسيح المبكِّرة[1].

لقد كانت طهارة يسوع تقام على أسس لاهوتية، يضمنها مفهومه عن عملية الروح القدس، دون تدخُّل من أب بشري، فلم تنتقل بذلك خطيئة آدم إليه هذه الحجة اللاهوتية طبقت فيما بعد ولادة مريم باعتبارها " أم الله "، وعلى جمود المفهوم المقدَّس للعذراء المباركة مريم، الذي تطوَّر خلال العصور الوسطى، حتى ترسَّخ كمادَّة في الإيمان عام 1854، بالأمر البابوي (الله الذي يفوق الوصف)، ولسوف يلوح إغفال وجود أم بشرية كمريم للسيد المسيح.

ثانياً: لقد عدَّ العديد من الباحثين أن الوجود الراهن لعدة أساطير تتصل بالولادة الإلهية لمختلف أبطال الأزمنة القديمة مثل هرقل والإسكندر وغيرهما لعب دوراً في تطور الإيمان بولادة يسوع الإلهية، ومسألة تأثير الأساطير المجوسية على الكُتَّاب المسيحيين واليهود؛ قابلة للأخذ والرد.

وأخيراً، يجب الانتباه إلى التأثير الوثني للرومان الوثنيين والقبائل التي كانت على الوثنية والتي آمنت بالمسيحية، واعتبار أن البحث السائد على نطاق واسع في أوساط الجماهير البسيطة عن موضوع مؤنث للعبادة عن آلهته أم هذا الدافع تعاظمت قوته بعد انخراط الإمبراطورية الرومانية في الدين المسيحي، ودخول أعداد هائلة من البرابرة أنصاف الأميين أو الأميين في الكنيسة [2].

---

(1) منعطف المخيلة البشرية، ص 14.

(2) منعطف المخيلة البشرية، ص 142 - 143.

في الإنجيل:

لقد تعرَّض إبْلِيْس – عليه اللعنة – لسيدنا عيسى عليه السلام في قصة مشهورة في الإنجيل، كما تعرَّض لبعض الأنبياء عليهم السلام، ولكنْ؛ هنا نجد أن الشيطان قد وقف وجهاً لوجه أمام عيسى عليه السلام: أورد مَتَّى في الإصحاح الرابع: [**ثُمَّ أُصْعِدَ يَسُوعُ إلى الْبَرِّيَّةِ مِنَ الرُّوحِ لِيُجَرَّبَ مِنْ إِبْلِيسَ. 2 فَبَعْدَ مَا صَامَ أَرْبَعِينَ نَهَارًا وَأَرْبَعِينَ لَيْلَةً، جَاعَ أَخِيرًا. 3 فَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ الْمُجَرِّبُ وَقَالَ لَهُ:«إِنْ كُنْتَ ابْنَ الله فَقُلْ أَنْ تَصِيرَ هذه الْحِجَارَةُ خُبْزًا». 4 فَأَجَابَ وَقَالَ:«مَكْتُوبٌ: لَيْسَ بِالْخُبْزِ وَحْدَهُ يَحْيَا الإِنْسَانُ، بَلْ بِكُلِّ كَلِمَةٍ تَخْرُجُ مِنْ فَمِ الله». 5 ثُمَّ أَخَذَهُ إِبْلِيسُ إلى الْمَدِينَةِ الْمُقَدَّسَةِ، وَأَوْقَفَهُ على جَنَاحِ الْهَيْكَلِ، 6 وَقَالَ لَهُ:«إِنْ كُنْتَ ابْنَ الله فَاطْرَحْ نَفْسَكَ إلى أَسْفَلُ، لأَنَّه مَكْتُوبٌ: أَنَّه يُوصِي مَلاَئِكَتَهُ بِكَ، فعلى أَيَادِيهِمْ يَحْمِلُونَكَ لِكَيْ لا تَصْدِمَ بِحَجَرٍ رِجْلَكَ». 7 قَالَ لَهُ يَسُوعُ:«مَكْتُوبٌ أيضاً: لا تُجَرِّب الرَّبَّ إِلهَكَ». 8 ثُمَّ أَخَذَهُ أيضاً إِبْلِيسُ إلى جَبَل عَال جِدًّا، وَأَرَاهُ جَمِيعَ مَمَالِكِ الْعَالَمِ وَمَجْدَهَا، 9 وَقَالَ لَهُ: «أُعْطِيكَ هذه جَمِيعَهَا إِنْ خَرَرْتَ وَسَجَدْتَ لِي». 10 حِينَئِذٍ قَالَ لَهُ يَسُوعُ:«اذْهَبْ يَا شَيْطَانُ! لأَنَّه مَكْتُوبٌ: لِلرَّبِّ إِلهِكَ تَسْجُدُ وَإِيَّاهُ وَحْدَهُ تَعْبُدُ». 11 ثُمَّ تَرَكَهُ إِبْلِيسُ، وإذا مَلاَئِكَةٌ قد جَاءَتْ فَصَارَتْ تَخْدِمُهُ.**](1 – 11 إنجيل مَتَّى).

راجع – أيضاً – إنجيل لُوْقَا والإصحاح الرابع (1–3) تجد القصة نفسها، باختلاف الترتيب، كما نجد كثيراً من المواقف في الأناجيل.

كيف أراد السيد المسيح عليه السلام قد عرض للشياطين الذين يسكنون أجساداً بشرية. ولديهم عاهات سبَّبتها الشياطين؛ كالخرس، والمجانين، والصرع، وغيرها. ..وقد أخرج هذه الشياطين منهم، فعادوا أصحَّاء، لا، بل إن رؤساء اليهود يتَّهمون المسيح عليه السلام بأنه هو إبْلِيْس؛ [**3 فَلَمَّا أُخْرِجَ الشَّيْطَانُ تَكَلَّمَ الأَخْرَسُ، فَتَعَجَّبَ الْجُمُوعُ قَائِلِينَ:«لَمْ يَظْهَرْ قَطُّ مِثْلُ هذا في إِسْرَائِيلَ!» 34 أَمَّا الْفَرِّيسِيُّونَ؛ فَقَالُوا:«بِرَئِيسِ الشَّيَاطِينِ يُخْرِجُ الشَّيَاطِينَ!**](الإصحاح التاسع،24 مَتَّى).

وقد سمّاه الفريسيون بَعْلزَبُـولَ رئـيس الـشياطين، [22 حِينَئِـذٍ أُحْـضِرَ إِلَيْـهِ مَجْنُـونٌ أَعْمَـى وَأَخْرَسُ فَشَفَاهُ، حَتَّى إِنَّ الأَعْمَى الأَخْرَسَ تَكَلَّمَ وَأَبْصَرَ. 23 فَبُهِتَ كُلُّ الْجُمُوعِ وَقَالُوا:«أَلَعَلَّ هذا هُوَ ابْنُ دَاوُدَ؟» 24 أَمَّا الْفَرِّيسِيُّونَ فَلَمَّا سَمِعُوا قَالُوا:«هذا لا يُخْرِجُ الشَّيَاطِينَ إِلَّا بِبَعْلَزَبُـولَ رَئِيسِ الشَّيَاطِينِ](الإصحاح الثاني عشر 22- 25 متَّى).

[أَلاَ يَحُلُّ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ ثَوْرَهُ أَوْ حِمَارَهُ مِـنَ الْمِـذْوَدِ وَيَمْـضِي بِـهِ وَيَـسْقِيهِ؟ 16 وهذه، وهي ابْنَةُ إِبْراهِيمَ، قد رَبَطَهَا الشَّيْطَانُ ثَمَانِيَ عَشْرَةَ سَنَةً، أَمَا كَانَ يَنْبَغِي أَنْ تُحَلَّ مِـنْ هـذا الرِّبَاطِ فِي يَوْمِ السَّبْتِ؟](الإصحاح الثالث عشر، لُوْقَا).

المسيح يشفي امرأة من الشيطان:

وكان يُعلّم في أحد المجامع، وإذا امرأة كان بها روح ضعف ثماني عشرة سنة، وكانت تنحيه، ولم تقدر أن تنتصب البتَّة: 12 فَلَمَّا رَآهَا يَـسُوعُ دَعَاهَـا وَقَـالَ لَهَـا:«يَـا امْـرَأَةُ، إِنَّـكِ مَحْلُولَـةٌ مِـنْ ضَعْفِكِ!». 13 وَوَضَعَ عَلَيْهَـا يَدَيْـهِ، فَفِـي الْحَـالِ اسْـتَقَامَتْ وَمَجَّـدَتِ اللهَ. 14 فَأَجـابَ رَئِـيسُ الْمَجْمَعِ، وَهُوَ مُغْتَاظٌ لأَنَّ يَسُوعَ أَبْرَأَ فِي السَّبْتِ، وَقَالَ لِلْجَمْعِ:«هي سِتَّةُ أَيَّام يَنْبَغِي فِيهَا الْعَمَـلُ، فَفِي هذه ائْتُوا وَاسْتَشْفُوا، وَلَيْسَ فِي يَوْمِ السَّبْتِ!».(الإصحاح الثالث عشر، 12 – 13).

إِبْلِيْس وقَتْل زكرياء عليه السلام:

لَمَّا قُتل يحيى، وسمع أبوه بقتله، فرَّ هارباً، فدخل بستاناً عند بيت المقـدس، فيـه أشـجار، فأرسل الملك في طلبه، فمرَّ زكرياء بالشجرة، فنادتْهُ: هلمَّ إليَّ، يا نبيّ الله، فلَمَّا أتاهـا انـشقَّت، فانطبقت عليه، وبقي في وسطها، فأتى عدوُّ الله إِبْلِيْسُ، فأخذ هدب ردائه، قطـع منـه قطعـة كانت زائدة خارج الشجرة، فأخرجه من الشجرة؛ ليُـصدِّقوه، ثـم لقـى الطلـب، فـأخبرهم، فقال: لهم ما تريدون؟ فقالوا: نلتمس زكرياء، فقال: إنه سحر هـذه الـشجرة، فانـشقَّت لـه،

فدخلها، فقالوا: لا نُصدِّقكَ. قال: فإن لي علامة تُصدِّقوني بها، فأراهم طرف ردائه، فأخذوا الفؤوس، وقطعوا الشجرة باثنتين، وشقّوها بالمنشار، فمات زكرياء فيها، فسلَّط اللهُ عليهم أخبثَ أهل الأرض، فانتقم به منهم، وقيل إن السبب في قتله أن إِبْلِيْسَ جاء إلى مجالس بني إسرائيل، فقذف بمريم، وقال لهم: ما أحبلها غيره، وهو الذي كان يدخل عليها، فطلبوه، فهرب، وذكر من دخوله الشجرة نحو ما تقدَّم [1].

سيدنا محمد ﷺ:

ما بين رسالة السيد المسيح عيسى عليه السلام ورسالة سيدنا محمد ﷺ فترة من الزمن تقارب ستّة قرون، استشرت فيها الضلالة على يد الشيطان، وأضل الشيطان كثيراً من الناس بالمسيح عليه السلام، على الرغم من انتشار ديانته عبر البلاد كافة، وطال الزمان، وباض الشيطان، وفرَّخ في الجزيرة العربية، فكانت الأصنام تُحمَل مع القبائل في حُرمة، في تجوالها، وامتلأت الكعبة المشرّفة بالأصنام شريكة الله - تعالى - في حَرَمه وبيته. فبُعث رسول الله محمد ﷺ بعد ستة قرون من رسالة السيد المسيح عليه السلام.

بعد أن انتشر الفساد، وعمَّت الفوضى، واقتتلت القبائل، وجاء الناس بالمنكرات، بُعث سيدنا محمد ﷺ حرباً على الشرك بالله، وعلى الشيطان، وعلى عبادة الأصنام، بُعث بالحقّ والهدى، بعد أن حُرِّف دينُ إبراهيم عليه السلام، الدِّين الحنيف الذي كان سائداً في مكّة المكرّمة وما حولها من القبائل، واستبدل بها عبادة الشيطان، ومخالفة الفطرة الإلهية في التوحيد.

كان بَعْثُ الرسول الكريم الضربةَ الصاعقة الساحقة الماحقة للشيطان وجنوده في مكّة المكرّمة وبيت الله الحرام وما حولها والجزيرة العربية بأجمعها. لكنْ؛ هل يسكت الشيطان وهو يرى النور قد أشرق وانتشر ضياؤه بين الناس؟!.

(1) الكامل ابن الأثير، ص 272.

خوف حليمة السعدية رضي الله عنها:

عندما كان سيدنا محمد ﷺ مسترضعاً في بني سعد، وعمره حوالي الخامسة، حدَّثتْ حليمة، فقالت: بعدما رجعنا به إلى مكّة المكرّمة حيث خافت والدته عليه وباء مكّة بأشهر مع أخيه أنه (لفي البهم لنا = الصغار من الغنم) إذا أتانا أخوه يشتدّ، فقال لي ولأبي: ذاك أخي القرشي قد أخذه رجلان عليهما ثياب بيض، فَأَضْجَعَاهُ، فشقَّا بطنه، فهما يسوطانه. قالت: فخرجتُ أنا وأبوه نحوه، فوجدناه قائماً ممتقعاً وجهه. قالت: فالتزمتُهُ والتزمَهُ أبوه. فقلنا: ما لكَ يا بني؟ قال: جاءني رجلان عليهما ثياب بيض، فَأَضْجَعَاني، وشقَّا بطني، فالتمسا فيه شيئاً، لا أدري ما هو، فرجعنا به إلى خبائنا، وقال لي أبوه: يا حليمة؛ لقد خشيتُ أن يكون هذا الغلام قد أُصيب فَأَلحقيه بأهله قبل أن يظهر ذلك به. قالت: فاحتملناه، فقدمنا به إلى أمه، فقالت: ما أَقْدَمَكِ به يا ظئر، وكنت حريصة [1]عليه وعلى مُكثه عندكَ ؟ قالت: فقلتُ قد بلغ الله بابني، وقضيت الذي عليّ، وتخوّفتُ الأحداثَ عليه. قالت: ما هذا شأنكِ، فَأَصْدِقِيْني خبركِ. قالتْ: فلم تدعني حتى أخبرتُها. قالت: أَ فَتَخَوَّفْتِ عليه الشيطان؟ قالت: قلتُ نعم. قالت: كلا، والله؛ ما للشيطان عليه من سبيل، وإن لابني لشأناً، أَ فلا أخبركِ خبره؟ قلتُ بلى. قالت: رأيتُ حين حملتُ به أن خرجَ مني نور أضاء قصور بصرى من أرض الشام. ثم حملتُ به، فو الله ما رأيتُ من حمله قطّ، كان أخفَّ عليَّ ولا أيسر منه، ووقع حين ولدته وإنه لواضع يدَيْه بالأرض رافع رأسه إلى السماء، دعيهِ عنكِ، وانطلقي راشدة[2].

---

(1) الظئر = العاطفة على ولد غيرها، المُرضعة له.

(2) السيرة النبوية، ابن هشام، ص 16، ابن الأثير، جـ 1، ص419 في نهاية الأرب، تاريخ الإسلام، وعيون الأثر.

أول محاولة للشيطان إِبْلِيْس:

أول ما تعرَّض إِبْلِيْس - لعنه الله - لرسول الله ﷺ عندما كان رسول الله في أشدّ محنة، فقد اشتدّ عليه أذى قريش، وخاصة بعد مقاطعة قريش لبني هاشم، ومن الهجرة إلى الحبشة، وكان عليه السلام حريصاً على صلاح قومه، وأن يهديهم الله تعالى، محبّاً مقاربتهم بما وجد إلى ذلك الطريق، وكان يتمنى في نفسه عليه السلام أن يأته الله - تعالى - ما يقارب بينه وبين قومه، وأن يلين له بعض ما قد غلظ من أمرهم، حتى حدَّث نفسه بذلك، وتمنَّاه، وأحبَّه. [1] وهذا قول الطبري. فأنزل الله - تعالى - بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ **وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٧ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ۝١٠ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ۝١١ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ۝١٢ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٣ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ۝١٤ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ۝١٥ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ۝١٦ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ۝١٧ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ۝١٨ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ۝١٩ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ** ﴾ النجم 1 - 19، فألقى الشيطان على لسانه ما كان يحدّث به نفسه، ويتمنى أن يأتي به قومه، **تلك هي الغرانيق العُلى، وإن شفاعتهنَّ لترجى** [2]. فلمَّا سمعت قريش خرجوا، وسرّهم، وأعجبهم ما ذكر به آلهتهم، فأصاخوا له والمؤمنون مُصدّقون بنبيّهم في ما جاءهم من ربّهم، ولا يتَّهمونه خطأً أو زللاً، فلما انتهى إلى السجدة منها، وختم السورة، سجد فيها المسلمون بسجود نبيّهم عليه السلام ، وسجد من المشركين من قريش وغيرهم لمَّا سمعوا ذِكْر آلهتهم، فلم يبقَ في المسجد مؤمن، أو

---

(1) الطبري، ص 550، جـ1.

(2) إن الإمام الجصّاص في أحكام القرآن قد نفى هذه الحادثة، والإمام البيهقي في دلائل النبوة قال إن هذا الكلام ضعيف جداً، ويمكن أن تكون هذه الرواية غير صحيحة، وقد تمّت الإشارة إليها.

كافر من المشركين من قريش وغيرهم إلا الوليد بن المغيرة، فإنه كان شيخاً كبيراً، فلم يستطع السجود، فأخذ بيده حفنة من البطحاء، فسجد عليها. وانتشر خبر ذلك في قريش، حتى بلغ ذلك مَنْ كان في الحبشة من المؤمنين، فرجع بعضهم [1].

فنزل جبرائيل عليه السلام فقال: يا محمد، ماذا صنعتَ؟! لقد تلوتَ على الناس ما لم آتكَ به عن الله عز وجل، وقلتَ ما لم يُقَلْ لكَ ! فحزن رسول الله ﷺ عند ذلك حزناً شديداً، وخاف من الله خوفاً كثيراً، فأنزل الله عز وجل ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾ الإسراء 66، يعزّيه، ويخفف عليه الأمر، ويخبره أنه لم يكن قبله من نبي ولا رسول تمنّى كما تمنّى، ولا أحبّ كما أحبّ، وإلا والشيطان ألقى في أمنيّته، وأنزل الله - تعالى - قوله: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ الحج 52.

فلمّا جاء ما نسخ الله، قالت قريش: ندم محمد على ما ذكر من منزلة آلهتكم عند الله.

عن ابن عَبَّاس رضي الله عنهما: سجد النبي ﷺ وسجد معه [2] المسلمون والمشركون والجنّ والإنس. البخاري، باب فاسجدوا لله، واعبدوا، رَقْم 4862 [3].

عن عبد الله عليه السلام قال: أول سورة أُنزلت فيها سجدة والنجم، فسجد رسول الله ﷺ ، وسجد مَنْ خلفه إلا رجلاً واحداً، رأيته أخذ كفّاً من تراب، فسجد عليه، فرأيته بعد ذلك قُتِلَ كافراً وهو أمية بن خلف [4].

---

(1) نهاية الأرب، تاريخ الإسلام والعرب، سيرة عيون الأثر، ابن الأثير، الكامل، جـ1- ص 419.

(2) الطبري، جـ1، ص 551 - 552.

(3) البخاري: باب فاسجدوا الله، واعبدوا، رَقْم 4862 - 4863.

(4) البخاري: باب فاسجدوا الله، واعبدوا، رَقْم 4862 - 4863.

ثاني محاولة للشيطان إِبْلِيْس:

نجد الموقف الثاني بين رسول الله ﷺ وبين إِبْلِيْس في أثناء بيعة العقبة الثانية، حين حاول إِبْلِيْس ثَنْيَ أهل يثرب عن مبايعة رسول الله ﷺ.

" قال: كان أول مَنْ ضرب على يد رسول الله ﷺ البراء بن معرور، ثم بايع القوم. فلما بايعنا رسول الله، خرج الشيطان من رأس العقبة بأنفذ صوت سمعته قطّ: يا أهل الجباجب " المنازل "؛ هل لكم في مذمم والصبأة معه اجتمعوا على حربكم، قال: فقال رسول الله ﷺ: هذا أزب العقبة، هذا ابن أزيب. قال ابن هشام: ويقال ابن أزيب. [1] أتسمع أيْ عدو الله، أما والله لأفرغنَّ لكَ.

ثالث محاولة للشيطان إِبْلِيْس في هجرة رسول الله ﷺ:

لابد لإِبْلِيْس من التعرّض للحقّ، وحتى وهو يعلم أنه خاسر ومفلس، وإن ما يتمناه لن يفلح أبداً، لكنْ؛ هذا من طبيعته الشيطانية التي مُسخ فيها. قال ابن هشام في السيرة:

لَمَّا رأت قريش أن رسول الله ﷺ قد صارت له شيعة وأصحاب من غيرهم بغير بلدهم، وأصابوا منهم منعة، فحذروا خروج رسول الله ﷺ، وعرفوا أنهم قد أجمع لحربهم، فاجتمعوا له في دار الندوة، وهي دار قصي بن كلاب، التي كانت قريش لا تقضي أمراً إلا فيها، يتشاورون فيها ما يصنعون في أمر رسول الله ﷺ حين خافوه.

---

(1) أزيب: اسم الشيطان، ملاحظة: ذكر الإمام الجصّاص في أحكام القرآن أن هذه الرواية غير صحيحة، كما أن الإمام البيهقي خفَّف أحاديثها، وكثير من السلف ضعّف، وأنكر حدوث هذه الحادثة.

غدوا في اليوم الذي استعدّوا فيه، وكان ذلك اليوم يُسمّى يوم الزحمة، فاعترضهم إِبْلِيْس في هيئة شيخ جليل عليه بتلة [1] ، فوقف على باب الدار، فلما رأوه واقفاً قالوا: مَن الشيخ؟ قال: شيخ من أهل نجد، سمع بالذي استعدّيتم له، فحضر معكم ليسمع ما تقولون، وعسى أنْ لا يفوتكم منه رأي ونصح.

ثم يمضي الأمر كما هو معروف، فاقترِحَت الآراء، وتضاربت فيما بينهم، قال قائل منهم: احبسوه في الحديد " أيْ محمد ﷺ "، وأغلقوا عليه باباً، ثم تربّصوا به ما أصاب أشباهه من الشعراء الذين قبله، زهير، والنابغة ؛ فقال الشيخ النجدي: لا، والله؛ ما هذا لكم برأي، والله؛ لئن حبستموه كما تقولون ليحرضنَّ أمره من وراء الباب الذي أغلقتُم دونه إلى أصحابه، فلأوشكوا أن يثبوا عليكم، فينزعوه من أيديكم، ثم يكاثروكم به حتى على أمركم، ما هذا لكم برأي. قال قائل: نخرجه من بين أظهرنا، فننفيه من بلادنا، فإذا أُخرج عنا فو الله؛ ما نبالي أين ذهب، ولا حيث وقع. فقال الشيطان " الشيخ النجدي ": ما هذا لكم برأي، أَلم تروا حُسْنَ حديثه، وحلاوة منطقه، وغَلَبَتَهُ على قلوب الرجال بما يأتي به. والله؛ لو فعلتم ذلك ما آمنتم أن يحلَّ في العرب، فيغلب عليهم بذلك من قوله وحديثه، حتى يتابعوه، ثم يسير بهم إليكم، حتى يطأكم بهم في بلادكم. قال أبو جهل ابن هشام: والله؛ إن لي فيه لرأياً ما أراكم وقعتُم عليه بعد. قالوا: وما هو يا أبا الحكم؟ قال: أرى أن نأخذ من كلّ قبيلة فتى شاباً، جَلداً نسيباً وسيطاً فتياً، ثم نعطي كلّ فتى منهم سيفاً صارماً، ثم يعمدوا، فيضربوه ضربة رجل واحد، فيقتلوه، فنستريح منه، فإذا فعلوا ذلك تفرّق دمه بالقبائل جميعاً، فلم يقدر بنو عبد المناف على حرب قومهم جميعاً، فرضوا منا بالعقل " الدية ".

فتابع الشيطان " النجدي ": القول ما قال الرجل، هذا الرأي الذي لا رأي غيره. فتفرّق القوم على ذلك وهم مجمعون[2] . فخذله الله – تعالى – هو وأصحابه من قَتْل رسول الله ﷺ ، وخرج ﷺ سائحاً معافى بإذن الله تعالى.

---

(1) البتلة:الكساء الغليظ.

(2) السيرة النبوية، ابن هشام، ص 482، جـ1.

ولكنْ؛ هل يستكين الشيطان وهو يرى رسالة الهدى قد انتشرت وعمّت البلاد كالضوء الباهر يعمّ الأرجاء؟! أَليس له أساليب أخرى يحرّض فيها أولياءه على قَتْل النبي ﷺ وحزبه؟!

ها هو ذا - مرة أخرى - يظهر في بداية معركة بدر، يحثُّ المشركين، ويعطيهم الأمان لبدء حرب رسول الله ﷺ.

فقد تزيَّا بزيّ سراقة بن مالك، وأخذ يضمن لقريش خروجها إلى حرب رسول الله ﷺ، بعد أن خافت أن تثور عليهم بكر وكنانة من شيء يكرهونه، يقول ابن هشام: " أجمعت قريشُ المسيرَ، فذكرت الذي كان بينها وبين بكر، فكاد ذلك يثنيهم، فتبدَّى لهم إبْلِيْس في صورة سراقة بن مالك جعثم المذحجي، وكان من أشراف بني كنانة، فقال لهم: " إني جار لكم من أن تأتيكم كنانة من خلفكم بشيء تكرهونه، فخرجوا سراعاً [1]". وكان القوم يُسرعون إلى لقاء الموت بأرجلهم، وإلى مصارعهم في بدر.

وذكر الله جلّ وعلا القصّة في معركة بدر ﴿ وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَعْمَـٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّى جَارٌ لَّكُمْ ﴾ الأنفال 48، فذكر سبحانه استدراج إبْلِيْس إياهم بصورة سراقة بن مالك.

﴿ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ ۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ الأنفال 48، قال ابن هشام: إن المشركين كانوا يرونه في صورة سراقة في منزل من المنازل التي يقفون بها، فلما كانت معركة بدر نكص على عقبيه، فأوردهم حياض التهلكة، وأسلمهم إلى الموت. وقد شاهد أحدهم أنه رأى إبْلِيْس حين نكص على عقبَيْه يوم بدر، فقال: أين أيْ سراق، فلطئ بالأرض " نزل ولاحس الأرض، واختفى ".

وقد ذكر الشاعر حسان بن ثابت الصحابي الجليل تغرير إبْلِيْس لهم في شعر، فقال: [2]

---

(1) السيرة النبوية، ابن هشام، ص 612، جـ1.

(2) السيرة النبوية، ابن هشام، ص 664، جـ (1-2).

سررنـــا وســـاروا إلى بـــدر لحيـــنهم	لـو يعلمــون يقـين العلــم مـا ســاروا
ودلهـــم بغـــرور ثـــم أســـلمهم	إن الخبيـــث لَمَــــنْ ولاه غـــرار
وقــال إني لكـــم جـــار، فـــأوردهم	شرّ المــوارد فيـــه الخـــزي والعـــار
ثـــم التقينـــا، فولّـــوا عـــن سراتهـــم	مـــن منجـــدين، ومـــنهم فرقـــة غـــاروا

صراخ الشيطان يوم أحد على جبل عينين:

قال الواقدي: لم يكن مع المسلمين يوم أحد من الخيل إلا فرساً لرسـول الله ﷺ وفرسـاً لأبي بردة.

قال ابن إسحاق: قال رسول الله ﷺ " مَنْ يأخذ هذا السيف بحقّه "، فقام إليـه رجـال، فأمسكه عنهم، ثم قام أبو دجانة سماك بن حرب، فقال: وما حقّه، يا رسـول الله؟ قـال: " أن تضرب به حتى ينحني ". قال: أنا آخذه بحقّه. فأعطاه إياه، وكان أبو دجانـة رجـلاً شـجاعاً عند الحرب، ويتابع فيقول: وقاتل مصعب بن عمير دون رسول الله ﷺ حتـى قُتِـل، وكـان الذي قتله ابن قميئة الليثي، وهو يظنّه رسول الله ﷺ ، فأعطى الراية علياً، وقال ابن سـعد: قُتِلَ مصعب، فأخذ اللواء ملك في صورة مصعب، وحضرت الملائكة الهزيمة لا شـكّ فيهـا، وصرخ صارخ لَمَّا قُتل مصعب بن عمير: ألا إن محمداً قد قُتـل، ونـادى إِبْلِـيْس أن محمـداً قـد قُتل، واختلط المسلمون، فصاروا يقتلون على غير شعار. (1)

وذكر ابن إسحاق قول النبي ﷺ حين سمع الصارخ يصرخ بقَتْله: "هو، أزب العقبة". قال السهيلي: يقال للموضع الذي خرج فيه الشيطان جبل عينين.

---

(1) آكام الرجان للشبلي ص 277 - 278.

إبْلِيْس يريد قطع صلاة رسول الله ﷺ:

من محاولات إبْلِيْس إفزاع النبي الكريم، ومحاولته قطع صلاته، ومحاولة حرق وجه النبي عليه الصلاة والسلام بالنار، وقد ذكر حديثين؛ أحدهما ذكره مسلم في كتاب المساجد ومواضيع الصلاة: باب لعن الشيطان في أثناء الصلاة (1211)، والنسائي في كتاب السهو 3/ 13، بلعن إبْلِيْس، والتعوّذ بالله منه، والصلاة.

قام رسول الله ﷺ يصلي، فسمعناه يقول: أعوذ بالله منكَ. ألعنكَ بلعنة الله. وبسط يده كأنه يتناول شيئاً، فلما فرغ من الصلاة، قلنا: يا رسول الله؛ قد سمعناكَ تقول في الصلاة شيئاً لم نسمعكَ تقوله من قبل ذلك، ورأيناكَ بسطتَ يدكَ؟ قال:" إن عدو الله إبْلِيْس جاء بشهاب من نار؛ ليجعله في وجهي، فقلتُ: أعوذ بالله منكَ ثلاث مرات، ثم قلتُ ألعنكَ بلعنة الله التامة. فلم يستأخر ثلاث مرات، ثم أردتُ أَخْذه، والله؛ لولا دعوة أخينا سُلَيْمان لأصبح مُوثقاً، يلعب به ولدان أهل المدينة[1]. وذكر البخاري في باب الأنبياء قوله تعالى: ﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَـٰنَ ﴾ ص 30.(الحديث 3423) ما يلي: عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ أن عفريتاً من الجنّ تفلّت عليَّ البارحة، ليقطع علي صلاتي، فأمكنني الله فيه، فأخذتُهُ، فأردتُ أن أربطه على سارية من سواري المسجد، حتى تنظروا إليه كلّكم، فذكرتُ دعوة أخي سُلَيْمان ﴿ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ﴾ ص 35، فرددته خاسئاً.

وعن أبي سعيد الخدري، ذكر أحمد في مسنده حديثاً آخر عن إبْلِيْس، لعنه الله، عن النبي ﷺ قام، فصلى الصبح وهو خلفه " أيْ أبي سعيد "، فقرأ، فالتبست عليه القراءة، فلما فرغ من صلاته، قال: " لو رأيتُمُوني وإبْلِيْس، فأهويتُ بيدي مازلتُ أخنقه، حتى وجدتُ برد لُعابه بين أصبعي هاتَيْن: الإبهام والتي تليها، ولولا دعوة أخي سُلَيْمان لأصبح مربوطاً بسارية من سوراي المسجد يتلاعب به صبيان المدينة، فما استطاع منكم أنْ لا يحول بينه وبين القبلة أحد، فليفعل[2].

---

(1) قَصَص الأنبياء، ابن كثير، ص 478.

(2) رواه أحمد في مسنده، قَصَص الأنبياء ص 478.

الجن والشياطين وأشكالها عند العرب:

مما لا شك فيه أن للطبقة الجَغرافية لشبه الجزيرة العربية القاحلة ذات الصحاري والبوادي والكثبان الرملية المتنقّلة أو طبيعة العربي البدوي الباحثة عن الماء والمرعى في المسافات البعيدة الشاسعة بينها وبين مضارب البدو ومساكن الحضر، وبُطء السير، والسفر على الجمال، وطبيعة الإنسان البدوي البسيط، أثر كبير في انعكاساتها النفسية والعقلية عليه، وقدرته على التأثّر بالأساطير والحكايات في وضع بيئوي، أدّت إلى زخم من هذه الأساطير عن الجن والشياطين والسعالي والغول في التراث العربي الجاهلي قبل الإسلام، وأعطته بُعْدَاً كاملاً عن الحقيقة الكاملة.

لقد ظهرت لنا هذه الحكايات في الروايات فيما بعد، وفي أشعار العرب الجاهلين، ولكن هذا لا يعني أن بعضاً من هذه القَصَص والحكايات ليست صحيحة، وخاصة تلك المتعلقة بالجن والشياطين. فالأسطورة العربية القديمة صوّرت كافّة أشكال المُحال والممكن والحقيقي ضمنها، فالغول أسطورة نُسجت حولها الأساطير الخيالية الواسعة حتى كادت تصبح حقيقة أكيدة، وأكثروا في وصفها، وأنواعها، وأشكالها، وإلى مُؤاكلتها، فعدّوا منها الغول والغيلان: وهي التي تتغوّل في الخلوات، فخاطبها العرب، وربما ضيّفوها كقول تأبّط شراً:

فأصبحت والغول لي جارة   فيا جارتي أنت ما أهولا

ويزعمون أن لها رجلي عنز، وهي ترى في الليل والخلوات، فتزيل المسافرين عن الطريق، وتُضيّعهم، كما كانوا يزعمون أن الغيلان توقد النيران بالليل للعبث والتحيّل واختلال السابلة (1)، ومنها - أيضاً - السعلاة: وهي تشبه الغول، ولكن عينيها مشقولة بالطول، وقد وصفها بعضهم:

وحافر العنز في ساقه مدلجة   وجفن عين خلاف الإنس بالطول

---

(1) انظر المسعودي، مروج الذهب، جـ2، ص 162.

كما نجد أن المسعودي يذكر لنا نوعاً من الشياطين الذين ينكحون الإنسان، فيموت. ويظهر ذلك في بعض أنحاء اليمن، وأعالي صعيد مصر، وقد قسموا الشياطين إلى أنواع منها " الغيلان - الشياطين - المَرَدَة - الجنّ - القطرب - الغدار " [1].

ويرى المسعودي - ونحن معه - أن كثيراً من الإسرائيليات والخرافات الباطلة التي انتشرت بين الناس وأهل التواريخ والمصنّفين لكُتُب البدو كوهب بن منبه وابن إسحاق وغيرهم قد نقلوا هذه الخرافات إلى الناس، وساعدوا على انتشارها.

ويذكر منها ما يلي:

أن الجان خُلِقَت من نار السموم، وخُلق منه زوجته، كما خُلقت حواء من آدم، وأن أنثى الجان حملت، فباضت إحدى وثلاثين بيضة، كل بيضة أنتجت نوعاً من أشكال وأنواع الشياطين؛ منها: القطارب مفردها قطربة، ومنها الأبالس؛ فهم الحارث بن مرّة، والمَرَدَة، والغيلان، والسعالي، والدواسق، والحماميص، والوساويس، كما يرى أن هذه الأمور من الأمور الطريفة والأخبار الظريفة " أيْ أنها قَصَص تُروَى، وأنها أدعى للشكّ بصحتها. ويأتي الجاحظ المعتزلي المذهب، الذي يُحكِّم العقل والمنطق فيما يسمع ويقرأ، فيقول في كتابه الحيوان: إن تلك التصوّرات تنتمي إلى الثقافة العامة وإلى البدو من الأعراب، وإن هذا لفي شكّ ممَّنْ يُروى عن البدو [2]. ويُفرد لكلّ نوع من الجن وصفاً حسب ما ورد من الحكايات والأساطير عن البدو، فالسعلاة هي: " الواحدة من النساء، والجن إذا لم تتغوّل لتفتن السَّفّار "، والغول: فإنها تتحوّل إلى جميع صور المرأة، ولباسها بكل شكل، إلا ساقيها، فلا بد أن تكون رجلي حمار.

والعامة تزعم أن الغول إذا ضربت ضربة واحدة ماتت، إلا أن يُعيد عليها الضارب قبل أن تقضي ضربة أخرى، فإنْ فعل ذلك لم تمت. [3]

إن ما ورد ذكره سابقاً عالم قائم بذاته مبني على الحكايات والأساطير التي تناقلتها الألسن عن عالم متوحّش خفي، لعب فيه الخيال والتوهّم والسَّير في الصحراء ليلاً، والخوف أحياناً،

---

(1) المسعودي، مروج الذهب، جـ2، ص 162.

(2) المسعودي، 163.

(3) أساطير العرب، ص 21 - 22، محمد عجينة.

والطبقة القاسية والبُعْد عن العمران اليد الطولى، فأنتج لنا وهماً حقيقياً، تناقلته كُتُب الأدب عبر التاريخ، فوصل إلينا بهذا الشكل، ولكن هذا لا يعني أنْ ليس هناك جزء بسيط من الحقيقة، فلربما رأوا الجن بأشكال متنوّعة، وبصور مختلفة، وبنوا على ذلك الكثير من الحكايات والقَصَص والخرافات التي انتشر بعضها في زمنها، واندثر، وبعضها استمرّ إلى أيامنا هذه، تتناقله الأجيال جيلاً بعد جيل، وزمناً بعد زمن، حتى دخل في تركيبة عقولنا.

أصناف الجن:

لقد جاء في الآثار السابقة وبدون دليل من القرآن أو السُّنَّة أو مشاهدة أو رؤيا وإنما نقلاً عن نقل عن القدماء أن الجنَّ أصناف وأنواع؛ فقد صنَّف المسعودي - في كتابه أخبار الزمان - الجان بأنها أنواع متعدّدة؛ قد تتقمّص وتلبس أجساد بعض الحيوانات والحشرات، وذكر منها بعض الزواحف والحشرات والكلاب، وخاصة النوع الأسود، وصنف آخر على شكل ريح طيّارة، أو هفافة، ذات أجنحة، وزاد بعضهم، فأضاف صنفاً آخر هم السعالي.

ويصف الزمخشري صنفاً آخر هو الشقّ؛ نصف إنسان يعرض إذا كان وحده، وربما أهلكه.

وهناك العوّامر، أو العمّار، مفردها عامر، وهؤلاء لا يسكنون مع الناس. وبعضهم يعرض للصبيان، فهم أرواح، وإنْ خبث وتعرّم، فهو شيطان، وإن زاد على ذلك، فهو مارد، فإذا زاد في القوة، فهو عفريت، وإنْ ظهر أو نظف ونقي وصار خيراً كله، فهو ملك[1].

(1) أساطير العرب، عن القزويني، ص 21 - 22.

قدرة الجنّ على التشكّل في صور مختلفة:

إن للجن قدرة كبيرة للتشكّل في صور مختلفة من صور الحيوانات والطيور، وحتى الإنسان. راجع كتاب أساطير العرب، ص 21 – 22، محمد عجينة.

فهم يتشكّلون ويتقمّصون أجساد الإبل، والبقر، والغنم، والخيل، والحمير، والطيور، وفي صور بعض الحشرات، والزواحف، وغيرها، وفي صور الحيَّات نوع خاص منها، والعقارب، كما تشكَّل إِبْلِيْس في صورة إنسان على هيئة شيخ نجدي في دار الندوة أثناء هجرة رسول الله ﷺ، ثم في صورة سراقة بن مالك الذحجي من كنانة قبل معركة بدر.

كما نجد أن بني سهم قد شنّوا حملة على الجنّ في مكّة المكرَّمة، وذلك عندما تعرَّض أحد بني سهم إلى جنيّ، فقتله، فدارت معركة بينهم وبين الجنّ المطالبين بالثأر، فلم يترك بنو سهم حيَّة، ولا عقرباً، ولا عضاية، ولا خنفساً، ولا شيئاً من الهوامّ إلا قتلوه، حتى طلب الجن تدخُّل قريش، والدعوة إلى الصلح بين الطرفَيْن، واستوثق بعضهم من بعض؛ لذلك سُمّوا " الفياطلة قَتَلَة الجنّ ". ومنهم الكاهنة التي جاءت تُخبر قتلى بدر وأحد قبل وقوعها حسب رواية ابن هشام قال: إن امرأة من بني سهم يُقال لها الغيطلة، كانت كاهنة في[1] الجاهلية، جاءها صاحبها " أيْ الجنّ " ليلة من الليالي، فانقض تحتها، ثم قال: أدْرِ ما أدرِ يوم عقر ونحر، فقالت قريش حين بلغها ذلك: ما يريد " أيْ الجني "؟ ثم جاءها ليلة أخرى، فانقض تحتها " أيْ سقط "، ثم قال: شعوب! ما شعوب تصرع فيها كعوب لجوب، فلما بلغ ذلك قريش قالوا: ماذا يريد؟ إن هذا الأمر هو كائن، فانظروا ما هو ؟ فما عرفوه حتى وقعت بدر وأُحُد بالشعب، فعرفوا أنه الذي كان جاء به على صاحبته[2].

---

(1) وهي الكاهنة التي جاءت قتلى بدر وأُحُد قبل وقوعها.

(2) السيرة النبوية، جـ 1 - 2، ص 208.

وقد يتشكّل الجني أو الشيطان في صور كلب أسود، ونجد ذلك في قصة عائشة رضي الله عنها حدّثتْ، فقالت: إن امرأة جاءت تسأل عن رسول الله ﷺ بعد أن انتقل إلى جوار ربه تبارك وتعالى، وهي تبكي وتسرد قصتها، فتقول: غاب عني زوجي، فاشتقتُ إليه، فجاءتها امرأة عجوز، فشكت إليها أمرها، فقالت: إنْ فعلتِ ما آمركِ به، فأجعله يأتيكِ، فلما كان الليل جاءتْني بكلبَيْن أسودَيْن، فركبتُ أحدهما، وركبت هي الآخر، فطارا بهما إلى بابل في العراق. وقد أوردنا القصة كاملة في " باب السِّحْر "، وقد سجَّل لنا النيويري في كتابه نهاية الأرب قصة الصحابي عبد الله بن ذباب مع صنم يُقال له فراض، وكيف أهدتْ إليه الجنّ كلباً خلاسياً " أيْ جنيّ في شكل كلب " كان يصيد عليه. وقد روى الحادثة حين أسلم على رسول الله ﷺ وعلى الصحابة، انظر القصة في " هواتف الجنّ ". وقد يتشكّل الجني في صورة طائر من الطيور كما في القصة التي أوردها الشبلي عن امرأة في المدينة لها تابع من الجنّ يأتيها في صورة طائر، وعن الحسن البصري ووهب بن منبه أيضاً عن جان في صورة طائر كانا يصادفانه في موسم الحج، يجمع بين خصائص الهرّ والطائر، قال وهب: فكنت ألقى ذلك الجني في المواسم في كل عام، فيسألني، فأخبره، وقد لقيتُهُ في الطواف، فلمّا قضينا طوافنا قعدتُ أنا وهو في ناحية المسجد، فقلت له: ناولني يدكَ، فمدَّ يده إلي فإذا هي مثل الهرّ، وإذا عليها وبر، ثم مددتُ يدي حتى بلغت منكبه، فإذا مرجع جناح؛[1]" أيْ جناح طير ". ثم القطّ الأسود من الحيوانات التي تشكَّل بها الجن، وفي بعض الروايات يخبر بموت أمير المؤمنين علي ابن أبي أبي طالب عليه السلام قادماً من العراق إلى الشام[2].

وهكذا نجد أن الجنّ يتشكّلون في صور الحيوانات والطيور ما عدا إِبْلِيس، الذي تشكَّل في صورة الشيخ النجدي، وسراقة بن مالك، وهذا ما أثبته القرآن الكريم في معركة بدر، وربما أن لهم هيئة تخيف بني آدم، أو ربما هو محرّم عليها الظهور بهيئتهم الحقيقية أمام الناس، أو أنه عالم كُتِبَ عليه الخفاء، فلا يظهر للإنسان لحكمة يعلمها الله.

---

(1) نهاية الأرب، جـ18، ص 18.

(2) الشبلي، آكام المرجان، ص 35.

مراكب الجن على الرغم من الظنّ الشائع بين الناس:

إن للجنّ القدرة الخارقة على كل شيء. فنجد أن الجن يستخدمون المطايا للركوب، ويستخدمونها في تجوالهم، كما ذكر الأقدمون. فمن الحيوانات التي يستخدمونها نجد اليربوع، والقنفذ، والنعام، والظباء، والثيران، والعضرفوط = ضرب من العظاء ، والجمل من مطايا الجن، فمن الأخبار السائرة " أن العرب تذكر راكباً على جمل في قدر الشاة وفد عليهم بسوق عكاظ، ونادى: ألا مَنْ يهبني ثمانين بكرة هجاناً وآدماً؟ فلم يجبه أحد. فلما رأى ذلك ضرب جمله، وطار بين السماء والأرض كالبرق، فعجبوا منه. وفي حديث عبد الله بن قلابة عن النبي ﷺ قال: " لولا أن الكلاب أمَّة؛ لأمرتُ بقتلها، ولكنْ خفتُ أُبيد أمَّة، فاقتلوا كل أسود بهيم، فإنه جنّها. وقال أبو يعلى في قول النبي ﷺ في الكلب الأسود أنه شيطان، ومعلوم أنه مولود منكلب، وكذلك قوله في الإبل إنه جن، وهي مولودة من الإبل قال: أشرّ الكلاب وأقلّها نفعاً، والإبل تُشبه الجن في صعوبتها، كما يقال ذلك عن طريق التشبيه لها بالجنّ؛ لأن الكلب الأسود أشرّ الكلاب، وأقلّها نفعاً، والإبل تشبه الجن في صعوبتها كما يقال إن فلاناً شيطان إذا كان صعباً[1].

هواتف الجن والشياطين:

لاشك أن العرب عبدوا الأصنام قبل بعثة رسول الله ﷺ في الجزيرة العربية وبلاد الشام، وأن الشياطين والجن قد سكنت بعضاً من هذه الأصنام، وكانوا يخاطبون الناس من خلالها؛ ليصرفوهم عن عبادة الله سبحانه وتعالى. وكانت هذه الأصنام منتشرة في الكعبة

---

(1) المسعودي، أخبار الزمان، ص 37.

الشريفة، وما حولها، كما أنها منتشرة بين القبائل العربية؛ حيث كانت كل قبيلة تختصُّ بصنم لها تقيم عنده عبادتها، وتذبح له ذبائحها، وتُوفي نذورها، وكان سَدَنَةُ هذه الأصنام أشبه بالعرَّافين والمُتنبِّين للناس عن لسان هذه الأصنام أو شياطين الأصنام، كما اشتهر في الجزيرة العربية المُتنبّئون والعرّافون، وأشهرهم كان شقاً وسطيحاً وكاهنة باهلة وعزى سلمى، والأبلق الأسدي عرّاف نجد، والأجلح الزهري، وعروة بن زيد الأسدي، وعرَّاف اليمامة رباح بن كحلة. ويحتوي التراث الإسلامي على كثير من القَصَص التي تخبرنا عن هذه الهواتف من الجن والشياطين قبيل البعثة النبوية الشريفة؛ منها ما هو حقيقي كما أوردته المصادر، ومنها ما لبس لباس الأسطورة، أو يجنح بالخيال والوهم، فنجد - على سبيل المثال - القَصَص التي تُروى عن الاستجارة بزعيم الوادي أو المكان الذي ينزل فيه المسافر ليلاً للاستراحة، وقد أوردها القرآن الكريم في سورة الجن ؛ قال تعالى: ﴿ وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴾ الجن 6.

وتلك التي تأتي بالأخبار عمّا سيأتي في المستقبل قبل البعثة النبوية والأخبار عن بعثة الرسول ﷺ ومبعثه في مكة المكرمة؛ ومنها ما حدَّث الشبلي: أن الإنسيَّ كان إذا نزل مكاناً يقول: أعوذ بعظيم هذا الوادي من سُفهائه. ورُوي أن حجاج بن علاط السلمي قدم مكّة في ركب، فأجنّهم الليل بوادي مخوّف موحش، فقال له الراكب: قُمْ، فخذْ لنفسكَ أماناً، ولأصحابكَ، فجعل يطوف بالركب ويقول:

أعيذ نفسي وأعيذ صحبي   من كل جني بهذا القب

حتى أؤوب سالماً وركبي

فسمع طارئاً ﴿ يَـٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ ﴾ الرحمن 33، فلمّا قدم مكّة أخبر كُفَّار قريش بما سمع، فقالوا: صبأتَ يا أبا كلاب؛ إن هذا يزعم أن محمداً أُنزل الله عليه، قال: والله؛ لقد سمعتُهُ، وسمعه هؤلاء معي، ثم أسلم، وحَسُنَ إسلامه، وهاجر إلى المدينة.

ونجد أن لهؤلاء العابرين وظائف شتى ومتنوعة؛ منها قصة ذبح أبي رسول الله ﷺ عبد الله، كما نجد في ذلك أن عبد المطلب جدّ رسول الله ﷺ ما نذر أن يذبح أحبّ أولاده إليه إنْ أصبح عنده عشرة أولاد. فوقعت القرعة على عبد الله والد رسول الله ﷺ، فقام ليذبحه بين إساف ونائلة. يقول ابن هشام: " أخذ عبد المطلب بيده، وأخذ الشفرة، ثم أقبل به إلى إساف ونائلة ليذبحه، فقامت قريش من أنديتها، فقالوا: ماذا تريد يا عبد المطلب؟ قال: أذبحه! فقالت له قريش: والله؛ لا تذبحه أبداً، حتى تعذر فيه، لئن فعلتَ هذا لا يزال الرجل يأتي بابنه حتى يذبحه ".

وكان ممَّا أشاروا عليه أن يأتي كاهنة في الحجاز اسمها " قطبة، وقيل سجاح "، فأتوها، وقصوا عليها القصة، فقالت: ارجعوا عني، حتى يأتيني تابعي، فأسأله، ولما عادوا إليها قالت: قد جاءني الخبر. كم الدية فيكم؟ قالوا: عشرة من الإبل، وكانت كذلك. قالت: فارجعوا إلى بلادكم، ثم قربوا عشراً من الإبل، ثم اضربوا عليها بالقداح، فإنْ خرجت على صاحبكم، فزيدوا من الإبل حتى يرضى ربكم، وإنْ خرجت على الإبل، فانحروها، فقد رضي ربكم، ونجا صاحبكم [1]. كانت الأحبار من اليهود والرهبان من النصارى قبل البعثة بفترة طويلة تعرف أن رسولاً سوف يظهر في هذا الزمان، وقد تقارب زمانه، وحان أوانه، وأما الأحبار من اليهود والرهبان النصارى؛ فما وجدوا في كتبهم من صنعته وصنعة زمانه، وما كان من عهد أنبيائهم إليهم فيه، وأمَّا الكهان من العرب؛ فأتتهم به الشيطان من الجن تسترق السمع، إذا كانت هي لا تحجب عن ذلك، بالقذف بالشهب، وكان الكاهن والكاهنة لا يزال تقع منهما ذكر بعض الأمور والحوادث، وذكر الرسول ﷺ، ولكن العرب لم تكن تلقي بالاً لذلك، حتى بعثه الله تعالى، ووقعت تلك الأمور التي يذكرون، فعرفوها.

ولقد اشتهر منهم كاهنان هما شقّ وسطيح حين تنبأ ببعثة رسول الله عليه الصلاة والسلام قبل فترة طويلة منها في قصة طويلة بعد خراب سدّ مأرب؛ حيث رأى ربيعة بن نصر ملك اليمن رؤيا أفزعته، فأرسل إلى شقّ وسطيح ليخبراه تأويلها، فقال سطيح من حديث طويل: قال: يليه إرم بن ذي يزن، يخرج عليهم من عدن، فلا يترك أحداً منهم باليمن. قال:

---

(1) السيرة النبوية لابن هشام، جـ1 – 2، ص154.

بني ذكي يأتي الوحي من قِبَل العلي، قال: أيها الملك؛ ومَنْ هذا النبي؟ قال: رجل يأتي من ولد غالب بن فهر بن مالك بن النضر، يكون الملك في قومه إلى آخر الدهر. قال: وهل للدهر من آخر؟ قال: نعم؛ يوم يُجمَع فيه الأولون والآخرون، يسعد فيه المُحسنون، ويشقى فيه المُسيئون. ثم قال له شقّ في تأويل نفس الرؤيا:

قال شق: غلام ليس بدنيّ، ولا مدني، يخرج عليهم من بيت ذي يزن، فلا يترك أحداً منهم باليمن، قال: أَ فيدوم سلطانه، أم ينقطع؟ قال: بل ينقطع برسول مُرسَل يأتي بالحقّ والعدل بين أهل الدّين والفضل، يكون الملك في قومه إلى يوم الفصل. .

هذا؛ وقد عاش سطيح زماناً طويلاً بعد هذا الحَدَث، حتى أدرك [1]مولد النبي ﷺ وحتى رأى كسرى أنوشروان وارتجاس الديوان وخمود النيران في أرض فارس كما تنبّأ هو بذلك. راجع قصته مع كسرى في تاريخ الطبري، جـ1، ص 459. وقد سُمّي سطيحاً لأنه كالبضعة الملقاة على الأرض، فكأنه سطح عليها. ويُروى عن وهب بن منبه أنه قال: قيل لسطيح: أنى لكَ هذا العلم؟ فقال: بي صاحب من الجنّ، استمع أخبار السماء من طور سيناء حين كلّم منه موسى عليه السلام، فهو يؤدّي إلي من ذلك ما يؤدّيه !!. وأظن هذا الحديث فيه شكّ، وفيه ما لا يقبله العقل، فالله – جلّ وعلا – أسمى وأعظم من أن يترك كائناً من الجنّ يستمع إلى وحيه إلى موسى عليه السلام، والله أعلم. وعن تكلّم الشياطين من الأصنام يروي لنا: عن كعب مولى عثمان أنه حدث أن عمر بن الخطاب بينما هو جالس في مسجد رسول الله ﷺ، إذ أقبل رجل من العرب داخل المسجد يريد عمر، فلما نظر إليه عمر قال:[2] إن الرجل لعلى شركه بعد فارقه، أو كان كاهناً في الجاهلية، هل كنتَ كاهناً في الجاهلية؟ ثم جلس، فقال له عمر: هل أسلمتَ؟ فقال: نعم. فقال: هل كنتَ كاهناً في الجاهلية؟ فقال الرجل: سبحان الله؛ لقد استقبلتني بأمر ما أراكَ قلته لأحد من رعيتكَ منذ وُلِّيتَ! فقال عمر: اللّهمَّ غفرانكَ، قد كنا في الجاهلية على شرّ من ذلك، نعبد الأصنام، ونعتنق الأوثان، حتى أكرمنا الله بالإسلام.

---

(1) السيرة النبوية، ابن هشام، ص 18.

(2) الرجل اسمه سواد بن قارب.

فقال: نعم، والله؛ يا أمير المؤمنين، لقد كنتُ كاهناً في الجاهلية. قال: فأخبرنا ما أعجبَ ما جاءكَ به صاحبكَ. قال: جاءني قبل الإسلام بشهر أو سنة، فقال لي: أَلم ترَ إلى الجنّ وإبلاسها وإياسها من دينها، ولحقوها بالقلاص وأحلاسها!. فقال عمر بن الخطاب يحدّث الناس: والله؛ إني لعند وثن من أوثان الجاهلية في نفر من قريش قد ذبح له رجل من العرب عجلاً، فنحن ننتظر قسمة ليقسم لنا؛ إذْ سمعتُ من جوف العجل صوتاً ما سمعتُ قطّ أنفذ منه، وذلك قبل الإسلام بشهر، أو سمعه يقول: يا آل ذريح أمر بجيح ورجل يصيح يقول لا إله إلا الله[1].

وعن محمد بن جبر بن مطعم عن أبيه قال: كنا جلوساً عند صنم ببوابة قبل أن يُبعَث رسول الله ﷺ بشهر، فنحرنا جزوراً " إبلاً " فإذا صائح يصيح من جوف واحدة: اسمعوا إلى العجب! ذهب استراق الوحي، وترمى بالشهب لنبي بمكة اسمه أحمد، مهاجره إلى يثرب. قال: فأمسكنا، وتحجّبنا. وخرج رسول الله ﷺ. ولقد ذكر ابن الأثير نفس القصة في الكامل في التاريخ[2]. إن حوادث الهواتف من جوف الأصنام أو في البوادي والفلوات حوادث كثيرة ظهرت قبل البعثة النبوية الشريفة التي كان أكثرها يبشّر بمجيء رسول الله ﷺ وبرسالته وبمهبط الوحي، وحتى كما رأينا بمهاجره إلى مدينة يثرب. ولدينا قصة تجمع هذه العناصر جميعاً؛ وهي قصة إسلام عبد الله بن ذباب. قال: عبد الله بن ذباب أحد بني سعد العشيرة " كنتُ مولعاً بالصيد، وكان لنا صنم فراض، كنتُ كثيراً ما أذبح له، ولم أكن أتخذ جارحاً للصيد إلا أصابه مرض وأشفى على الهلاك، فجئتُ الصنمَ فراض، فذبحتُ له ذبيحة، ولطّخته من دمها، وقلتُ شعراً:

فراض أشكو نكد الجوارح	من طائر ذي مخلب ونابح
وأنت للأمر الشديد الفادح	فافتح فقد أسهلت المفاتح

(1) تاريخ الطبري، ص 529 - 531.

(2) تاريخ الطبري، جـ1، ص 530، وابن الأثير في الكامل، جـ1، ص 647.

فأجاب هاتف من داخل الصنم:

دونـــك كلبـــاً جارحـــاً مباركـــاً　　أعـــدّ للـــوحش ســـلاحاً شـــابكاً

" فذهبت إلى أخطائي، فإذا بـه كلـب خـلاسي عظـيم المنظـر، واسـع الـشدقين، شـابك الأنياب، شعره مهول المنظر، فصفّرتُ له، فأتاني ". فشبع عبـد الله مـن صـيده، وأشـبع مَـنْ حوله، وكان يقدّم جزءاً ممَّا يصيد إلى الصنم، ويقري الضيف من حصيد هذا الكلب.

ثم بُعث رسول الله ﷺ: فزاره رجل كان قد سـمع مـن الرسـول ﷺ. فحـدّثني عنـه، ورأيتُ الكلب، وقد أسماه حياض؛ كأنه ينـصت لحـديث الرجـل. وذهبـتُ بعـدها للـصيد، فجعل يحاول الإفلات مني، ويأبى أن يذهب معي، ورفض أن يـصيد أي شيء، عـلى الـرغم من وجود الصيد من فرخ نعامة وحمير الوحش، فقلتُ أشكو:

ألا مـــا بحيـــاض يحيـــد كـــأنما رأى　　الـــصيد ممنوعـــاً بـــزرق اللهـــازم

فأجابني هاتف لا أراه:

يحيـــد لأمـــر لـــو بـــدا لـــكَ عينـــه　　لكنـــتَ صـــفوحاً عـــادلاً غـــير لائـــم

وبينما أنا راجع إلى الديار، فإذا شخص عظيم الخلق قد ركب حماراً وحـشياً، وتربّـع عـلى ظهره، وهو يساير شخصاً مثله راكباً على قرهب، وخلفهما عبد أسود يقود كلباً، عظيماً، فأشار أحد الراكبين إلى حياض الكلب، وأنشد:

ويلـــكَ يـــا حيـــاض لم تـــصد　　أخـــنس وحـــد عـــما حوتـــه البيـــد

الله أعلـــــى ولـــه التوحيـــد　　وعبـــده محمـــد الـــســـديد

ســـحقاً لفـــراض ومـــا يكيـــد　　قـــد ظـــلّ لا يُبـــدي ولا يُعيـــد

قال عبد الله: فمُلئت رعباً، وذلَّ الكلب، فما يرفع رأسه. فآتيتُ أهلي وبتّ أتململ على فراشي، ثم خفتُ عن آخر الليل، فغذا نغمة " كلام خفي "، ففتحتُ عيني، فرأيتُ الكلب الذي كان مع العبد الأسود يقوده، وإذا حياض كلبي يقول له: أحسب صاحبي يقظان، قال: فتناومتُ، ثم قصدني، فتأملني، ورجع، فقال: قد نام، فلا عين، ولا سمع. قال حياض: نعم. قال: إنهما قد أسلما، واتّبعا محمداً، وقد سُلّطا على شياطين الأوثان، فما يتركان لوثن شيطاناً، وقد عذّباني عذاباً شديداً. وأخذا عليّ مُوثقاً ألا أقرب وثنياً، وأنا خارج إلى جزائر الهند، فما رأيكَ لنفسكَ؟ قال حياض: ما أمرنا إلا واحد، وذهبا، فقمتُ أنظر، فلا عين، ولا أثر. ثم انسللتُ من العشيرة، فكسرتُ الصنم، وقصدتُ المدينة، فأتيتها ورسول الله ﷺ يخطب، فجلستُ بإزاء منبره، فعقب خطبته قال: بإزار منبري رجل من سعد العشيرة قدم علينا راغباً في الإسلام، ولم يرني، ولم أره، إلا ساعتي هذه، ولم أكلّمه، ولم يكلّمني قطّ، وسيخبرني خبراً عجيباً، ونزل، فصلى، ثم قال: ادنُ يا أخا سعد العشيرة، فدنوتُ، فقال: أخبرنا عن حياض وفراض، وما رأيتَ، وما سمعتَ، قال: فقمتُ على قدمي، وقَصَصتُ القصة والمسلمون يسمعون، فسُرَّ النبي ﷺ، ودعاني إلى الإسلام، وتلا القرآن، فأسلمتُ[1]. قصة عَبَّاس ابن مرادس هنا. . وهكذا نجد من هذه القَصَص التي أوردناها: أن العرب – بشكل عام – كانت تؤمن إيماناً قاطعاً بالجنّ، وأعمالها، وقدرتها على التشكّل بأشكال مختلفة، كما ورد، ووردت به الحكايات على أنهم رأوها رأي العين، وسمعوها، وتكلّموا معها، فإذا فرزنا القَصَص الأقرب إلى العقل، واستبعدنا ما دخل فيه الخيال عند الرُّواة، وبعض الناس كمصارعة الغول، والشقّ، وغيره، نجد أن ما ورد في السيرة النبوية الشريفة عن شياطين الأوثان والأصنام وما كان يخبر مجيء رسول الله ﷺ وبالوحي والهدى وبالإسلام الذي لا يحتمل فيه الكذب أو الخيال؛ لأنه من عند الله سبحانه وتعالى، وخاصة أن القرآن العظيم قد أيّد العناصر الأساسية في قَصَص الجان كالتَّعوُّذ بسيد الوادي، والاستماع إلى الملائكة، وإنَّ من الجن شياطين كانوا يقولون على الله كذباً، وكفى بالقرآن دليلاً قاطعاً، وإثباتاً للحجة، وبرهاناً ساطعاً.

---

(1) القصة منقولة عن نهاية الأرب للنويري، جـ 18، ص 15، من كتاب موسوعة أساطير العرب، ص 24.

يقول القاضي عبد الجبار الهمداني: " اعلم أن الدليل على إثبات وجود الجنّ السَّمْعُ دون العقل، وذلك أنه لا طريق للعقل إلى إثبات أجسام غائبة "[1].

وقال الشيخ أبو العَبَّاس بن تيمية: لم يخالف أحد من الطوائف المسلمين في وجود الجنّ، وجمهور طوائف الكفّار على إثبات الجن، أمَّا أهل الكتاب من اليهود النصارى؛ فهم مُقرُّون بهم كإقرار المسلمين[2].

ويقول أيضاً: المقصود هنا أن جميع الطوائف المسلمين يُقرُّون بوجود الجن، كذلك جمهور الكفّار عامة، وكذلك أهل الكتاب، وكذلك عامة مشركي العرب، وغيرهم من أولاد سام، والهند، وغيرهم من أولاد حام، وكذلك جمهور الكنعانيين، واليونانيين، وغيرهم من أولاد يافث[3].

قصة عَبَّاس بن مرداس:

وفي قصة عَبَّاس بن مرداس السلمي نجد أن رجلاً جنيّ على نعامة بيضاء، قال: كنتُ في لقاح لي نصف النهار إذا طلعتْ نعامة بيضاء عليها راكب عليه ثياب مثل اللبن، وإن ذلك الراكب قال: يا عَبَّاس؛ أَلم ترَ أن السماء بثَّتْ أحراسها، وأن الذي نزل بالبر، والتقى يوم الاثنين والثلاثاء صاحب الناقة القصوى؟ قال: فخرجتُ مرعوباً، قد راعني ما رأيتُ وسمعتُ، حتى جئتُ فدخلتُ عليه، فكنستُ ما حوله، وقمتُ وتمسَّحتُ، وقبَّلتُهُ، فإذا صائح يصيح من جوفه:

قل للقبائل من سليم كلها   هلك الضمار وفاز أهل المسجد

(1) الشبلي، ص 12، آكام المرجان.

(2) الشبلي، ص 13 - 14، آكام المرجان.

(3) الشبلي، ص 13 - 14، آكام المرجان.

الصور الحقيقية للجن والشياطين في القرآن الكريم:

لقد أخبرنا القرآن الكريم عن الجنّ ممَّ خلقهم تعالى، خلقهم من نار السموم، وهم أمم وقبائل متنوعة كأمثال الإنسان، يأكلون، ويشربون، ويسكنون، ويتناسلون، ولكنهم يتفوّقون على الإنسان بالقدرة على التَّخفِّي والخفاء، وبالقدرة على التَّشكُّل في صور الحيوانات والطيور كما رأينا في فصول سابقة، عدا إِبْلِيْس – لعنه الله تعالى – القادر على التَّشكُّل في صورة إنسان كما أثبته – بشكل قاطع – القرآن العظيم، وكانت لدى العرب مفاهيم مبهمة مُشوَّشة عن الجنّ، وأفكار مغلوطة كانت سائدة في المجتمع البدوي الصحراوي، وحتى الحضري قبل الإسلام، ورأينا تداخل الأساطير والحكايات مع الحقائق الرئيسية في موضوع الجنّ والجان، حتى كانت العرب تعتقد أن للجنِّ نَسَباً مع الله تعالى " سبحانه عما يشركون ويصفون، وتعتقد أن لله – تعالى – شركاء لله في العبادة؛ لأنهم كانوا يعبدون الأصنام والأوثان التي كانت الشياطين والجن تُكلِّمهم من جوفها، وعبدوها عن أمر الجنّ، وطاعتهم إياها؛ قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا ﴾ مريم 44، وكقوله: ﴿ أَلَمۡ أَعۡهَدۡ إِلَيۡكُمۡ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعۡبُدُواْ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴾ يس 60، وتقول الملائكة يوم القيامة ﴿ سُبۡحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِمۖ بَلۡ كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ٱلۡجِنَّۖ أَكۡثَرُهُم بِهِم مُّؤۡمِنُونَ ﴾ سبأ 41. لا، بل إنهم جعلوا الملائكة بنات للرحمن، تعالى الله عما يصفون ويقولون؛ بأن جعلوا رُواة الجنّ، وهم وُجهاء ووجيهات الجنّ بنات الرحمن، وكانت لهم توابع تأتيهم ببعض الأخبار من السماء قبل البعثة النبوية الشريفة، وحيث إن الشعر فخر العرب كانت لهم شياطين يُعلّمونهم الشعر، وينظّمون لهم القصائد، ويُعلّمونها إلى شعرائهم، وقد سمّوا شياطين الجنّ الشعراء؛ حيث إن لكل شاعر شيطاناً، فهذا لافظ شيطان امرئ

القيس، ومسحل السكران ابن جندل شيطان الأعشى، وهبيد شيطان عبيد بن الأبرص، وحاطب شاعر النابغة، وغيرهم [1]، قال جرير:

إني ليلقـــي عـــلي الـــشعر مكتهـــل   مـــن الـــشياطين إِبْلِـــيْس الأبـــاليس

وكانوا في رحلاتهم في البوادي والصحارى يطلبون الإجارة والحماية بسيد المكان من الجن للحماية لهم ولإبلهم، حتى لا يصيبهم البلاء في النفس، والمال، والكُتُب زاخرة بأمثال هذه القَصَص، وقد أثبتها القرآن العظيم في سورة الجنّ، لا؛ بل إن أحدهم - وهو خزيم بن فاتك الأسدي - قد خرج في طلب إبل له أضلّها بابرق العزّاف [2]، قد تعوَّذ بعظيم الوادي الذي نزل فيه، فإذا بصوت هاتف يقول:

تعـــــوذ بـــــالله ذي الجـــــلال   ووحِّـــــــد الله ولا تُبـــــــالِ

ما هوّل الجن من الأهوال:

هـــــذا رســـــول الله ذو الخـــــيرات   يـــــدعو إلى الجنـــــة والنجـــــاة

ويأمر بالصـــــوم والصلاة:

فلمَّا حان الزمان، وآن الأوان، وامتلأت السماء بالشهب والنيران، وأشرقت أنوار الإسلام بالهدى والفرقان، علمت الجنُّ الأخبارَ، فمنهم مَنْ آمن، ومنهم مَنْ كفر، ونَفَرَ، واتّبع إِبْلِيْس، وأصبح مبدأ أعوانه.

لقد أخبرنا القرآن الكريم العظيم عن الجنّ، وأحوالهم، وأعمالهم، وخاصة الشياطين منهم، وما يقومون به من أفعال لردّ الإنسان إلى الضلال، والإغواء، وإيقاعه في الزلل، والمعصية، والخطايا.

---

(1) الشبلي، ص 105، آكام المرجان، موسوعة أساطير العرب، ص 52.

(2) أبرق العزاف هو مكان كانوا يُسمّون فيه عزيف الجن، وصوت الجن.

ولقد ورد في كتاب الله - تعالى - القرآن العظيم كلمة (الجنّ والجان والجنة) 35 مرة ضمن الروايات الكريمة، والتي شرح معظمها عمل الجنّ، والجان، والشياطين. وكانت معظمها تتحدَّث عن أن هناك شياطين من الجنّ وشياطين من الإنس يوحي بعضهم لبعض الإغواء والفساد والضلالة، ويعلّمونهم الكُفْر والشِّرك؛ قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾ الأنعام 112.

ولقد صدر لنا القرآن العظيم موقف الإنسان والجان في موقف الحشر العظيم؛ حيث يتّهم بعضهم بعضاً. وكيف قد استمتع الجنّ بإغواء الإنس، وإضلالهم عن الحقّ، واستمتعوا من الإنسان بالتعظيم والتبجيل إياهم، عندما كانوا يستعينون بهم، وعندما صاروا أتباعاً لهم انتفع كلّ واحد بالآخر، واستفاد الكُهَّان من معلومات الجنّ، وانتفعت الإنس بشياطين الجنّ؛ حيث دلّوهم على الشهوات، وزيّنوا لهم المُحرَّمات.

وأبلغنا القرآن العظيم عن ذلك الموقف العظيم يوم الحشر؛ حيث يُوبَّخ الجنُّ والإنسُ الذين حقَّتْ عليهم كلمة العذاب ﴿ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى ﴾ الأنعام 129.

ويُقرُّ الجنُّ يوم القيامة بإنزال الرُّسُل إليهم؛ حيث يكونون مستمعين إلى الآيات تُتلى عليهم، يعظهم لقاء هذا اليوم؛ يقول رسول الله ﷺ " كان أبو ذرّ رضي الله عنه يُصلّي يوماً، فقال النبي ﷺ: تعوَّذ يا أبا ذرّ من شياطين الإنس والجنّ. فقال: أو إنَّ من الإنس لشياطين؟ فقال رسول الله ﷺ: حيث إن شياطين الجنّ تُلقي الوحي إلى شياطين الإنس، يُضلُّون بعضهم بعضاً. [1]

وسوف تدخل شياطين الجنّ وشياطين الإنس جهنّم، ويكفر بعضهم بعضاً، ويتبرَّأ بعضهم من بعض، ويطلبون من الله - تعالى - أن يضاعف لهم العذاب، ولكنهم سيبقون فيها إلى ما شاء الله تعالى.

---

(1) راجع ابن كثير، شرح سورة الأنعام، ص 128 - 129.

وتُبيِّن لنا الآيات الأخرى إخفاق قدرة الجنّ بالذات، والإنس، على الرغم من ملكاته من قوة البلاغة والإنشاء والقوة التعبيرية، ولا ننسى أن أشهر الشعراء وأشهر القصائد كانت تُوحي بها الجنّ إلى الإنس، حسب قول الشعراء أنفسهم، ولقد عجز الاثنان معاً، حتى ولو جمعوا قدراتهم جميعاً، عجزوا أنْ يأتوا بمثل هذا القرآن العظيم، فلم يستطيعوا أبداً؛ لأن قدرة الله - تعالى - فوق الخلق، وفوق قدرات الجن والإنس، وفوق طاقاتهم، وهذا تحدٍّ عظيم، ذكره الله - تعالى - لعِلْمه المُسبَق أنه مهما بلغت قدرات الجنّ والإنس، فإنهما لن يستطيعا ذلك أبداً، كما تحدّاهم أن ينفذوا من أقطار السماوات والأرض إلا بسلطان ".

سورة الجن:

تتَّصف سورة الجنّ عن غيرها من سور القرآن العظيم بأنها تتحدَّث عن عالم الجن الحقيقي، وتنقل إلينا أقوالهم، وأفعالهم أوان بعثة رسول الله ﷺ، وما كانوا عليه قبل البعثة، فهي حجَّة بالغة، عظيمة الأثر، واضحة المعالم، بيَّنت لنا كثيراً من الأمور عن عالم سيطر عليه الوهم والخيال ضمن الحقيقة، عالم مُشبَع بالخوف من كائنات كانت تُرى - أحياناً - في خفايا الصحراء، أو يُسمَع صوتها في هدأة الليل، أو صرخة من جوف صنم، أو وثن، وتتحدَّث السورة الكريمة عن أمور غيبية خفية، ما كان باستطاعة أحد من البشر أن يعرفها، أو يراها، أو يسمعها، وصوَّرت لنا مواقف آنية وقتية في زمانها، وأقوالاً قيلت في أوانها، كما أنها بيَّنت لنا أن الجنَّ - مثلهم مثل الإنسان - خاضعون لهداية الله تعالى، وأنه يمكن أن يُضلِّلهم سفهاءهم بأكاذيب يقولونها على الله تعالى، وإن منهم المؤمنين منذ أيام موسى عليه السلام، وقد قطعوا الأمل بوجود رسول جديد من عند الله تعالى، يهدي الجنّ والإنس إلى الصراط المستقيم، فلمَّا سمعوا القرآن العظيم تُتلى آياته، تنبَّهت عقولهم إلى هداية الله تعالى، وإن ما كانوا يعتقدونه صحيحاً قبل ذلك إنما هو كذب وزُور وكُفر، وأنهم ظنوا أن الإنس والجنّ لن تجسر أن تكذب على الله - سبحانه وتعالى - بالولد والصاحبة والزوجة.

وتُبيِّن لنا السورة الكريمة بعضاً من الحقائق والأكاذيب والأساطير عمَّا كان يعتقده العرب قبل الإسلام ضمن مقولات لا نعرف حقائقها، ولا مضامينها، إلا عبر ثقة الرواة، ويأتي القرآن العظيم بالأخبار الصحيحة عنهم، فيعزل لنا الخطأ من الصواب، والحقّ من الضلال، والوهم والخيال من الحقيقة عن الجنّ والجان والشياطين، فهؤلاء نفر من الجنّ قد استمعوا إلى آيات القرآن العظيم، فوجدوا فيه الهداية والنور والحقّ، فذهبوا مُنذِرين إلى قبائلهم بنزول وحي جديد إلى الناس بعد موسى عليه السلام يدعو إلى عبادة الله تعالى، وتنزيهاً عن الشِّرْك والأصنام، فأسرعوا إلى أقوامهم مُستبشرين مُنذرين بالحقّ لما جاءهم به رسول الله ﷺ، وما رأوه من عظيم الآيات التي حدثت فيما ألفوه من صعودهم إلى السماء، واتخاذهم منها مقاعد للسَّمْع، ورميهم بالشهب، والنار لِمَنْ أراد ذلك من الشياطين والجنّ، التي كانت تطير ما بين السماء والأرض، فتنقل كلمة صحيحة عن ملائكة السماء، بعد أن تضيف إليها مائة من الكذب، وتوحي بها إلى الكُهَّان والعرَّافين وأصحاب الأصنام. فلمّا حان موعد النبوة العظيمة، وآن أنْ تشرق شمس الإسلام على الدنيا، ومنعاً لكلّ التباس من أن يكون الوحي من أخبار الجنّ الكاذبة، واختلاط بين هذه الأخبار والوحي المُنزَل من عند الله تعالى، وحتى لا يُقال هذا من هذا، حُرِسَت السماءُ، ورُمِيَت الجنُّ والشياطين بالنار والشُّهُب حفاظاً على الرسالة السماوية المُقدَّسة، وعلى الوحي الإلهي العظيم. وقد رُوي عن ابن عَبَّاس قال: بينما النبي ﷺ جالس في نفر من أصحابه؛ إذ رُمي بنَجْم؛ فقال: ما كنتم تقولون في مثل هذا في الجاهلية؟ قالوا: كنا نقول: يموت عظيم، أو يولد عظيم. فقال النبي ﷺ: إنها لا تُرمى لموت أحد، ولا لحياته، ولكن ربنا – سبحانه وتعالى – إذا قضى أمراً في السماء سبَّح حملة العرش، ثم سبَّح أهل كل سماء، حتى ينتهي إلى هذه السماء، ويستخبر أهلُ السماء حملةَ العرش ماذا قال ربكم؟ فيخبرونهم، ويخبر أهل كل سماء، حتى ينتهي الخبر إلى هذه، فتتخطَّف الجنُّ، ويرمون فما جاؤوا به، فهو حقّ، ولكنهم يزيدون فيه[1].

وذكر ابن الأثير في الكامل: عند ابتداء الوحي للنبي ﷺ وبعد نزول الوحي في الغار، والذهاب إلى ورقة بن نوفل قالت خديجة رضي الله عنها، وأرضاها، لرسول الله ﷺ فيما

(1) تفسير القرطبي، جـ19، ص 13، تفسير سورة الجنّ.

تُثبته فيما أكرمه الله به من نبوته: " يا ابن العمِّ؛ أَ تستطيع أن تخبرني بصاحبكَ هذا الذي يأتيكَ إذْ جاءكَ، قال: نعم. فجاءه جبريل، فأعلمها، فقالت: قمْ. فاجلسْ على فخذي اليُسرى. فقام ﷺ. فقالت: هل تراه؟ قال: نعم. قالت: فتحوَّل، فاقعدْ على فخذي اليمنى، فجلس عليها، فقالت: هل تراه؟ قال: نعم. فتحسَّرتْ، فألقت خمارها، ثم قالت: هل تراه؟ قال: لا. قالت: يا ابنَ العمِّ؛ اثبتْ، وأَبْشِرْ، فوالله؛ إنه ملك، وما هو بشيطان[1]. وفي الطبري: بعد رجوعه إلى البيت من غار حراء، قال: يا خديجة؛ ما أراني إلا أنه عـُرض لي أيّ من الجنّ والشياطين. قالت: كلا؛ والله، ما كان ربكَ، يفعل ذلك بكَ، ما أتيتَ فاحشة قطّ. قال: فأتت خديجة ورقة بن نوفل، فأخبرته الخبر [2].

وفي الترمذي عن ابن عَبَّاس رضي الله عنهما قال: كان للشياطين مقاعد في السماء، فكانوا يستمعون الوحي، قال: وكانت النجوم، وكانت الشياطين لا تُرمى. قال: فإذا سمعوا الوحي نزلوا إلى الأرض، فزادوا في الكلمة تسعاً، فلمّا بُعث رسولُ الله ﷺ إذْ قصد الشيطان مقعده للسمع، جاءه شهاب، فلم يخطئه، حتى يحرقه، فشكوا ذلك إلى إِبْلِيْس، لعنه الله، فقال: ما هو إلا من أمر حَدَثَ، قال: فبعث جنوده، فإذا رسول الله ﷺ قائم يصلي جبلي نخلة، قال: فرجعوا إلى إِبْلِيْس، فأخبروه، فقال: هذا الذي حَدَثَ. قالوا: هذا حديث حسن [3].

ولا شك أنه لما حصل هذا الأمر وهو حراسة السماء ورَمْي الشهب وكثرتها فزع الإنس والجنّ من ذلك، وخافوا خوفاً شديداً، وربما ظنّوا أن هذا خراب العالم، ونهايته. قال السدي: لم تكن السماء تُحرَس إلا أن يكون في الأرض نبيّ أو دين لله ظاهر، فكانت الشياطين قبل محمد ﷺ قد اتخذت المقاعد في السماء الدنيا، يستمعون لما يحدث في السماء من أمر، فلـمَّا بَعَـثَ اللهُ - تعالى - محمداً ﷺ نبياً ورسولاً، رُجموا ليلة من الليالي، ففزع لذلك أهل الطائف، فقالوا: هلك أهل السماء، لما رأوا من شدّة النار في السماء، واختلاف الشهب، فجعلوا يعتقون

---

(1) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ص 649 .
(2) الطبري، جـ1، ص 532.
(3) القرطبي، جـ19، تفسير سورة الجن، ص 2 - 3.

أرقّاءهم، ويسيبون مواشيهم. فقال لهم ابن عمر ابن عمير: ويحكم يا معشر الطائف؛ أمسكوا أموالكم، وانظروا إلى معالم النجوم، فإذا رأيتموها مستقرّة في أماكنها، فلم يهلك أهل السماء، وإنما هذا من أجل ابن أبي كبشة، يعني محمد ﷺ، وإن نظرتم، فلم تروها، فقد هلك أهل السماء، فنظروا، فرأوها، فكفّوا عن أموالهم. وقد فزعت الشياطين في تلك الليلة، فجاؤوا إِبْلِيس، فحدَّثوه بالأمر، فقال: أتوني من كل أرض بقبضة من تراب أشمّها، فأتوه يشمّ، فقال: صاحبكم بمكة، فبعث سبعة نفر من نصيبين، فقدموا مكة، فوجدوا نبي الله ﷺ قائماً يصلي في المسجد الحرام، يقرأ، فدنوا منه حرصاً على القرآن، حتى كادت كلاكلهم تصيبه، ثم سلموا، فأنزل الله - تعالى - أمرهم على رسوله ﷺ.[1]

وعن الأخبار أن رسول الله ﷺ قد اجتمع بالجن أكثر من مرة. وترد في كُتُب المُفسّرين الكثير من الروايات حول ذلك، منها:

1- عن عثمان بن شبه الخزامي: أن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ لأصحابه وهو بمكة: " مَنْ أحبَّ منكم أن يحضر أمر الجنّ الليلة، فليفعل "، فلم يحضر منهم غيري، قال: فانطلقنا حتى إذا كنا بأعلى مكة، خط برجله، ثم أمرني أن أجلس فيه، ثم انطلق حتى قام، فافتتح القرآن، فغشيته إسودة كثيرة، حالت بيني وبينه، حتى ما أسمع صوته، ثم طفقوا يتقطَّعون مثل قطع السحاب ذاهبين، حتى بقي منهم رهط، ففزع رسول الله، فأعطاهم عظماً وروثاً، ثم نهى أن يستطيب أحد بروث، أو عظم.

2- وفي رواية أخرى نجد الحادثة نفسها، مع بعض الاختلاف البسيط: ذكر أن النبي ﷺ بعد أن خطَّ خطّاً قال له: لا " تبرح منها "، فذكر مثل اللجاجة السوداء، فغشيت الرسول ﷺ، فذعر ثلاث مرات، حتى إذا كان قريباً من الصبح، أتاني النبي ﷺ، فقال أَنمتَ؟! فقلتُ، والله؛ هممتُ أن استدفيت بالناس، حتى سمعتكَ تقرعهم بالعصا، تقول: اجلسوا. فقال رسول الله ﷺ: " لو خرجتَ لم آمن أنْ يتخطَّفكَ بعضهم ". ثم قال ﷺ: وهل رأيت شيئاً؟ ". فقلتُ:

(1) ابن كثير، تفسير سورة الجن، ص 388.

نعم، رأيت رجالاً سوداً مُستشعرين ثياباً بيضاً، قال رسول الله ﷺ:" أولئك جن نصيبين، سألوني المتاع والزاد، فمتَّعتهم بكل عظم حائل، أو بعرة، أو روثة. فقلتُ: يا رسول الله؛ إنهم لا يجدون عظماً إلا وجدوا عليه لحمه يوم أُكل، ولا روثاً إلا وجدوا فيها حبها يوم أُكلت، فلا يستنقين أحد منكم إذا خرج من الخلاء بعظم، أو بعرة، أو روث " [1]

واختلف المفسرون على عددهم، والرواية الأقرب للصحة أن عددهم تسعة.

وحتى إن الطبري مع اختلاف العدد عنده إلى سبعة عرف أسماءهم؛ فهي عنده " حسا، وفسا، وشاصر، وناصر، وإنيا الأرد، وأينين، والأحقم " [2].

بينما يذكر ابن كثير أنهم تسعة، وفي رواية عن ابن لقمة عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: هبطوا على النبي ﷺ وهو يقرأ القرآن ببطن نخلة، فلمَّا حضروه، قالوا أنصتوا " قال: صه، وكانوا تسعة؛ أحدهم زروبعة، فأنزل الله سبحانه ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْ ۖ فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴾ الأحقاف 29.

وهذا يقضي أن رسول الله ﷺ لم يشعر بحضورهم هذه المرة، أو أول مرة ببطن نخلة، وإنما استمعوا قراءته، ثم رجعوا إلى قومهم، ثم بعد ذلك أوفدوا إليه أرسالاً قوماً بعد قوم، وفوجاً بعد فوج [3].

إن أمر الجن بشكل عام كما ورد لدينا من هذا البحث أن لديهم قدرات محدودة معينة؛ كالقدرة على التَّشكُّل بصور متنوّعة، ولديهم القدرة على قطع المسافات الطويلة بفترة زمنية قصيرة تفوق قدرة الإنسان على ذلك، لكنهم - قطعاً - لا يستطيعون معرفة الغيب بأيّ صورة من الصور، ولا معرفة الأرزاق، ولا الآجال، ولا الأعمار، ولا الحياة، ولا الموت؛ لأنها أمور غيبية بيد الله - تعالى - الذي خلق عباده من الإنس والجن، وحدّد مقدرة كل منهما.

---

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، جـ4، ص148.
(2) الطبري، جـ1، ص555.
(3) ابن كثير، جـ4، ص147.

كما أن الجن لا يستطيعون ضرراً بالإنسان مهما حاولوا إلا بإذن الله تعالى، لذلك؛ ولا يستطيعون معرفة عالم الغيب؛ لأن الغيب في السماء، والسماء حُرِسَت منذ البعثة المحمدية الشريفة بالشهب والنيازك، وهذه الحراسة ليست - فقط - على زمن سيدنا محمد ﷺ، وإنما بدأت ببدء الرسالة النبوية الشريفة، ونزول الوحي، وهي مستمرة إلى يوم القيامة.

وبالتالي؛ فإن الجن هم من عباد الله تعالى، فَمَنْ يعتمد عليهم في معرفة أحواله، وأخباره، ورزقه، ووضع الضرر، ورفع المرض عنه، وإزالة الأوجاع، والتوفيق في الحاجات، فقد أخطأ وضلَّ ضلالاً بعيداً؛ لأن الاعتقاد والتوكّل في كلّ ما ذُكر إنما يكون على الله - سبحانه وتعالى - دون سواه.

إن هناك كثيراً من الخرافات المنتشرة حول الجنّ والشياطين هي التي تدفعنا إلى معرفة الدوافع الاجتماعية، والثقافية، والنفسية، والتي احتواها الإطار الصحراوي البيئي الجغرافي لعرب الجزيرة العربية.

لقد خالف القرآنُ الكريم كثيراً من معتقدات العرب القديمة حول الجن وقدراتهم، والتي أكثرها من الخرافات والأساطير، وإنهم لا يعلمون الغيب " قصة موت سيدنا سُلَيْمان عليه السلام "، ولا يستطيعون حتى دفع الأذى عن أنفسهم، ولا حتى إيجاد طعامهم، " الرسول الكريم يعطيهم العظم والبعرة "، وغيره. ومع ذلك نجد أن هناك استمراراً للعقلية العربية في مخالفة القرآن الكريم بالاستعانة بالجن والشياطين، على الرغم من نهي القرآن الكريم والسُّنَّة الشريفة عن ذلك، وتأكيده على ذلك.

مع العلم أن القرآن الكريم والسُّنَّة أصبحتا ستاراً لممارسة الشعوذة والدجل والخرافة باسمهما، وباسم أحاديث رسول الله ﷺ في إثبات وجود الجن، والسِّحْر، واستخدام الضرر، ثم لنشر الجهل والأمراض، ومُؤاخاة الجنّ، وسحب الأموال من الجهلاء والبسطاء في عالم عربي يرزح تحت وطأة الظروف الاجتماعية، والاقتصادية، والثقافية، والنفسية الصعبة جداً.

وإن ما يهمّنا أن تصل هذه الجماهير إلى نوع من الوعي الثقافي والدِّيني، وخاصة النساء منهم، من التعرُّض لضروب هذه الشعوذة، والدجل، والعودة إلى الطريق الصحيح في التَّوكُّل على الله - تعالى - واحدة إلى جانب الأخذ بالأسباب والنتائج والتعليم والمعرفة.

ولايزال حتى الآن تنتشر في أكثر الأوساط العامة والخاصة إلا مَنْ رحم الله – تعالى – أنه يمكن استخدام الجنّ وتسخيرهم لمصلحة مَنْ أراد ذلك.

لا؛ بل إننا نجد كثيراً من المفكّرين القدماء أنفسهم لم يوافقوا على كثير من الآراء حول الجنّ؛ كالثعالبي، ولا الإمام الزمخشري، فالأخير ينحا نحواً آخر، فقد رفض الاعتراف بوجود هذه الخرافات، وأوَّل الآيات الدالَّة على ذلك تأويلات يتحمَّل معنى الرمز، أو المجاز، أو ما شابه ذلك[1].

الشيطان وأعماله في القرآن الكريم:

لو قارنَّا ما بين كلمة الجنّ والجان والجنة معاً والشيطان في كتاب الله تعالى، لوجدنا أن هناك فرقاً بينها من حيث أنه ربما يكون من الجن مَنْ هم مؤمنون، أو قد آمنوا سابقاً، أو اتَّبعوا الهدى من قبل رسول الله ﷺ، وأنه أسلم كثير منهم، وآمنوا بالإسلام بعد البعثة المحمدية الشريفة، كما نجد ذلك في سورة الجن، والأحقاف.

ولكننا – هنا – حتماً في ذكر كلمة الشيطان الموجودة في القرآن لا تأتي إلا مترافقة بالسوء والشّرّ والكُفْر والضلالة، فلم ترد كلمة الشيطان في القرآن الكريم إلا لتدلَّ على معنى العدوّ لله – تعالى – وعدوّ الإنسان، وكيف لا يكون العدوّ وهو طُرد ولُعن من الملأ الأعلى بسبب الإنسان، وأن الإنسان طُرد من الجنة بسبب الشيطان: قال تعالى: ﴿ **فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ** ﴾ البقرة 36، فالصراع بين الإنسان والشيطان صراع أبدي، صراع بين الخير والشَّرِّ. فالشيطان يعلم نقاط الضعف عند بني آدم، وقدراته، وشهواته، وحاجاته الإنسانية، وغفلته، وما يحبُّ، وما يكره، وهو متميّز عن الإنسان بالتَّستر والخفاء، فلا يراه الإنسان، وهو قادر على جَعْل الإنسان ينسى، وينسى أنه عدوّ مجهّز بكثير من الأسلحة ضدّه، وطبقاً لتركيب بني آدم، فهو كثير السقوط، كثير الذنوب، كثير الخطايا، بسبب الشيطان،

---

(1) دراسات في العقلية العربية " الخرافة "، د. ابراهيم بدران و سلوى خماش، نشر دار الحقيقة، بيروت، ص 29.

ولو عدَّدنا الأعمال التي يقوم بها الشيطان للإنسان فقط حسب ما ورد في الآيات القرآنية لوجدنا الكثير من هذه الأعمال، فهو- أولاً - أخرج أبانا آدم عليه السلام وزوجه من الجنة، رغم تذكير الله – تعالى – لآدم أن لا يطيع الشيطان.

وثانياً: تنبيه من الله – تعالى – أن لا يتّبعوا خطوات الشيطان؛ لأنه يقودهم إلى الضلالة والشّرّ، ولو نظرنا إلى جمال التعبير وعظمة البلاغة في الصورة القرآنية عن " تتبُّع خطوات الشيطان الذي لا يراه الإنسان " لكن معالم خطواته واضحة بارزة على الطريق المؤدّية إلى الشّرّ والهلاك.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ﴾ البقرة 168.

نجد هنا الغاية: الانتباه إلى الطبيعي والحلال من الطعام؛ لأن من الطعام حرام، وهناك كسب حرام.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ﴾ البقرة 208.

الحضّ على الدخول في الإسلام بكامله، والعمل بجميع أحكامه:

ولا تُنافقوا واحذروا وساوس الشيطان، ولا تطيعوا ما يأمركم به، مَنْ يتبع خطوات الشيطان ترافقه الضلالة والحيرة.

﴿ ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغۡفِرَةٗ مِّنۡهُ وَفَضۡلٗاۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ﴾ البقرة 268.

الشيطان يعلم حبّ بني آدم للمال:

لذلك يأتيهم من حيث يحبّون، فلا تنفقوا في سبيل الله، لا تدفعوا الزكاة، ولا تعطوا الصدقات، ولا تصرفوا على أهليكم، وأسركم، اقبضوا أيديكم - اسرقوا - ارتشوا، تعاملوا بالربا، ولا تتركوا سبيلاً من سُبُل الحرام إلا واسلكوه، مخافة أن تكونوا فقراء، وبذلك تخلص لكم أموالكم، وتزداد، وتكثر، وإذا أردتُم صرف هذا المال، فاصرفوه على الملذّات، والشهوات.

الغاية من عمل الشيطان:

الكذب والأمر بالبُخل من أجل الحفاظ على المال:

﴿ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّ ﴾ البقرة 275.

صورة مُفزعة رهيبة للإنسان الذي يمسُّه الشيطان، فهو يقوم، ويقع، ويأتي بحركات كأنها الصرع؛ فقط من مَسِّ الشيطان، هذا مثل الإنسان في المال الحرام الرّبا.

﴿ قَالَتۡ رَبِّ إِنِّي وَضَعۡتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا وَضَعَتۡ وَلَيۡسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلۡأُنثَىٰۖ وَإِنِّي سَمَّيۡتُهَا مَرۡيَمَ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ آل عمران 36.

أستعين بكَ من أعمال الشيطان المطرود من رحمة الله تعالى.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ مِنكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ إِنَّمَا ٱسۡتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِبَعۡضِ مَا كَسَبُواْۖ وَلَقَدۡ عَفَا ٱللَّهُ عَنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٞ ﴾ آل عمران 155.

إن الذين انهزموا يوم معركة أحد من المؤمنين والمشركين إنما هذا من قِبَل الشيطان الذي أوقعهم في الخطيئة والزلّة، وذلك بسبب مخالفتهم لأمر النبي ﷺ، ولقد صفح الله - جلّ وعلا - عنهم، وتاب عليهم، والله كبير عظيم، كثير المغفرة.

استغلال الشيطان لأخطاء الإنسان لدفعه إلى ذنوب أكبر، وأخطاء أعظم:

﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ آل عمران 175.

إنما الشيطان يخوِّف المؤمنين من أنصاره، وأوليائه المشركين؛ لتخافوهم، فلا تخافوا الكُفَّار، فهم أصحاب الشيطان، فخافوا الله، ولا تخالفوه أمره.

استعمال الشيطان الخوف وسيلة لإفساد المؤمنين:

﴿ وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۗ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ قَرِينًا ﴾ النساء 38.

إن الشيطان يصاحب الكافرين والمنافقين والمشركين، الذين يستخدمون أموالهم رياء وإقراراً للباطل، هؤلاء إخوان الشياطين، وأعوانهم، وهؤلاء هم والشياطين في النار، خالدين فيها.

صحبة الشرّير لا تعطي إلا شرّاً، والضالّ إلا ضلالاً، والفاسد إلا فساداً، وهذا من عمل الشيطان:

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴾ النساء 60.

قصة مَنْ زعموا أنهم آمنوا، ومع ذلك لا يقبلون حُكْم الله ورسوله، ويريدون الاحتكام إلى الكُهَّان، وغير حُكْم الله، وقد أمروا أن يكفروا بكلّ مَنْ لم يحكم بأمر الله تعالى، ويريد الشيطان من ذلك أن يُوقعهم في الضلالة، والابتعاد عن أمر الله – تعالى – ورسوله.

﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱلطَّٰغُوتِ فَقَٰتِلُوٓاْ أَوۡلِيَآءَ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ إِنَّ كَيۡدَ ٱلشَّيۡطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ﴾ النساء 76.

أمر من الله - تبارك وتعالى - بقتال الكافرين الذين يقاتلون دفاعاً عن الكُفر والضلالة والأصنام، وطلباً للفخر والغلبة والباطل، فقاتلوا أيّها المؤمنون أنصار الشيطان؛ لأن الشيطان وأصحاب الشيطان أعمالهم وأمرهم وكيدهم هزيل ضعيف، وأنتم الأقوياء بالله تبارك وتعالى.

الشيطان بكلّ وسائله وحيله ضعيف:

﴿ وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴾ النساء 83.

إن الشيطان بالمرصاد ينتظر الفُرص، ويثب عند وجود الثغرات للإفساد والإغواء والضلالة والتخويف، ولولا رحمة الله وفضله لأغوى الشيطانُ أكثرَكُم.

الشيطان بالمرصاد بكامل أسلحته:

﴿ وَلَأُضِلَّنَّهُمۡ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمۡ وَلَأٓمُرَنَّهُمۡ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ وَلَأٓمُرَنَّهُمۡ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلۡقَ ٱللَّهِۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيۡطَٰنَ وَلِيّٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدۡ خَسِرَ خُسۡرَانٗا مُّبِينٗا ﴾ النساء 119.

الشيطان يُبيِّن هنا لنا خطّته، ويرينا أسلحته وطُرُقه في جَلْب الشَّرِّ والفساد والكُفر، وما يُغضب الله - تعالى - على الإنسان، ومَنْ يتبعه، فهو منه، وإليه، والنهاية هي الخسران المبين.

تحدّ سافر للإنسان، وما سوف يفعله به:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَـٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَـٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾ المائدة 90-91، فوسائل الشيطان للشّرّ والخطيئة كثيرة متعدّدة؛ منها الخمر، والقمار، والأوثان، وجميعها تؤدّي إلى أن ينسى الإنسان ذِكْرَ الله - تعالى - وينسى حتى نفسه، فيقع في الخطيئة، وفيها يُغضب الله تعالى.

تحذير من الله - تعالى - لوسائل إغواء عند الشيطان، واستخدام أسلحته:

﴿ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ وَلَـٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ الأنعام 43، حتى إذا رأى الناس بوادر غضب الله - تعالى - سارعوا إلى الاستغفار والتذلّل إلى الله - تعالى - ليرحمهم، فيأبى الناس ذلك، بسبب تزيين الشيطان لأعمالهم، فَقَسَتْ قلوبهم، فنالوا العقاب.

قساوة القلب من الشيطان، والشيطان لا يهمّه الأمر ما يقع على الإنسان من عقوبة إلهية:

﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَـٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَـٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ الأنعام 68.

عدم مجالسة المشركين والكافرين والملحدين، وقد يُنسيك الشيطان ذلك، فلا تجلس، ولا يجلس الإنسان بعد الذكرى.

النسيان:

﴿ وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ حَمُولَةً وَفَرْشًا ۚ كُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ الأنعام 142.

خَلَقَ لكم من الأنعام وهي الأصناف الثمانية المذكورة في القرآن الكريم، فيها طعام، ومتاع، تحمل لكم أثقالكم، وتحملكم إلى مسافات بعيدة، كُلُوا منها حلالاً طيباً، ولا تتبعوا طريق الشيطان، وآثاره بالتحليل والتحريم، إنه لكم واضح العداوة.

الشيطان يصرف الإنسان عن كافة أنواع الحلال، ويدفعه إلى الحرام:

﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِىَ لَهُمَا مَا وُۥرِىَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴾ الأعراف 20.

الوسوسة والكذب على آدم وزوجه:

﴿ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ ۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ الأعراف 22.

نتيجة عمل الشيطان وإطاعته عاقبة وخيمة وسيئة:

﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝٢٠٠ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴾ الأعراف 200 – 201.

دواء عمل الشيطان ووسوسته الاستعانة بالله - تعالى - منه:

﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآ﴾ الأعراف 27.

نداء للبشرية والإنسانية من خداع الشيطان، وطاعته:

﴿ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ﴾ الأعراف 175.

هذا الإنسان الذي أكرمه الله - تعالى - فاتّبع الشيطان، فأخذه إلى الهاوية:

﴿ إِذۡ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنۡهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذۡهِبَ عَنكُمۡ رِجۡزَ ٱلشَّيۡطَٰنِ وَلِيَرۡبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمۡ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلۡأَقۡدَامَ ﴾ الأنفال 11.

نزلت هذه الآية الكريمة في غزوة بدر؛ حيث أصابهم فزع وخوف في مواجهة خطر كبير لم يتدبّروا أمره، ويُعدّوا العدّة له. فأرسل الله - تعالى - عوناً ومساعدة، وأزال عنهم عمل الشيطان.

" إفساد عمل الشيطان " مع المؤمنين:

﴿ وَإِذۡ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلۡيَوۡمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّي جَارٞ لَّكُمۡۖ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلۡفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكُمۡ إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوۡنَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴾ الأنفال 48.

بعد أن دفع قريشاً، وحرَّضهم على محاربة رسول الله ﷺ، وأزال خوفهم من إحدى القبائل التي بين قريش وبينها ثأر.

الكذب لتحقيق أهدافه ومآربه:

﴿ قَالَ يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴾ يوسف 5.

أنبياء الله – تعالى – وأولياؤه يعلمون حقيقة الشيطان كاملة، وإنه عدوّ للإنسان؛ أيّ إنسان، وخاصة الأنبياء والمرسلين.

" عباد الله المخلصون ليس لكَ عليهم من سلطان ":

التحذير من الشيطان:

﴿ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٖ مِّنۡهُمَا ٱذۡكُرۡنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ ذِكۡرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِي ٱلسِّجۡنِ بِضۡعَ سِنِينَ ﴾ يوسف 42.

النسيان من الشيطان إذا كان في ذلك فعل خير، وحتى يتوكَّل الإنسان على الله – سبحانه وتعالى – وحده، وأنْ لا يعتمد على أحد في قضاء حاجته.

﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيۡهِ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدٗاۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَٰيَ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّٗاۖ وَقَدۡ أَحۡسَنَ بِيٓ إِذۡ أَخۡرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجۡنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلۡبَدۡوِ مِنۢ بَعۡدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بَيۡنِي وَبَيۡنَ إِخۡوَتِيٓۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٞ لِّمَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ﴾ يوسف 100.

دبّ الخلاف والنزاع بين الأخوة بسبب مطامع الدنيا أو غيرها:

﴿ وَقَالَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ وَوَعَدتُّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُكُمۡۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوۡتُكُمۡ فَٱسۡتَجَبۡتُمۡ لِيۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُمۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصۡرِخِكُمۡ وَمَآ أَنتُم بِمُصۡرِخِيَّۖ إِنِّي كَفَرۡتُ بِمَآ أَشۡرَكۡتُمُونِ مِن قَبۡلُۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾ إبراهيم 22.

يقول إِبْلِيْس في الآخرة للكافرين والمشركين: إن الله – تعالى – وعدكم بالبعث والحساب والجزاء والعقاب، فأنفذ وعده، ووعدتُكم، فكنتُ كاذباً، ولا تلوموني لم أفعل شيئاً سوى أن هتفتُ لكم، وناديتُكم، فجئتُم مسرعين، فلا تلوموني، ولُومُوا أنفسكم لتصديقكم إيَّاي، والآن؛ لن أنفعكم، ولن تنفعوني.

تنصُّل الشيطان من أفعاله في الآخرة:

﴿ وَحَفِظْنَـٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَـٰنٍ رَّجِيمٍ﴾ الحجر 17.

وحفظنا السماء من الشياطين، تُرجَم بالنار والنيازك والشهب لِمَنْ أراد أن يستمع، والله سبحانه هو خير الحافظين ".

تنصُّت الشيطان على الملائكة:

﴿ تَٱللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَعْمَـٰلَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ النحل 63.

سيرة الشيطان في ابن آدم الشّرّ والضلالة وتزيين الكُفر والشِّرْك والباطل للإنسان إلى يوم القيامة.

عمل الشيطان لا يتغير:

﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ النحل 98.

استعنْ بالله، وبذِكْر الله، لا بعبَّاد الشيطان العدوّ الأكبر للإنسان.

الغاية تهيئة الجوّ بذِكْر الله ضدّ الشيطان.

﴿ وَكَانَ ٱلشَّيْطَـٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴾ الإسراء 27.

إِبْلِيْس ومَنْ تبعه من الشياطين كفّار ضالّون عاصون لأمر الله تعالى.

حقيقة الشيطان:

﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُواْ ٱلَّتِى هِىَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ يَنزَغُ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴾ الإسراء 53.

إن الشيطان يستغل كل الفرص، فيستغل كلام المؤمنين فيما بينهم؛ ليزرع بينهم الشقاق والخصومة، فليكن كلامهم أحسن ما يكون، حتى لا يدعو للشيطان ثغرة، يبذر فيها الخلاف.

كيفية استخدام الشيطان للكلام لبذر الشقاق والخلاف بين المؤمنين سلاح آخر من أسلحة الشيطان:

﴿ وَٱسۡتَفۡزِزۡ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتَ مِنۡهُم بِصَوۡتِكَ وَأَجۡلِبۡ عَلَيۡهِم بِخَيۡلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكۡهُمۡ فِى ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِ وَعِدۡهُمۡۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴾ الإسراء 64.

واجلبْ مَن استطعت من قوة لكَ من جنود وأعوان وأسلحة ووسوسة عندكَ؛ لتجذب أكبر عدد من بني آدم، وعلِّمهم الحرام من المال والزنى، وشجِّعهم على الكفر، وعلى الإشراك بالله، وأنه لا آخرة، ولا حساب، وشفاعة الأصنام، ووعدهم بالأماني الكاذبة؛ لأن كلام الشيطان كاذب.

بيان كافة وعدَّة وجيش الشيطان المستخدم ضد بني آدم:

﴿ قَالَ أَرَءَيۡتَ إِذۡ أَوَيۡنَآ إِلَى ٱلصَّخۡرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلۡحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيۡطَٰنُ أَنۡ أَذۡكُرَهُۥۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلۡبَحۡرِ عَجَبًا ﴾ الكهف 63.

" النسيان أحد أسلحة الشيطان ":

﴿ يَٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيًّا ﴾ مريم 44 – 45.

عبادة الأصنام هي عبادة للشيطان؛ لأنها عن أمره. والشيطان عدوّ الله تعالى، وعاص وكافر، ومَنْ يعبد الشيطان والأصنام يكون عدوّاً لله - تعالى - وصاحباً للشيطان.

التحذير من الشيطان:

﴿ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴾ طه 120.

وسوسة الشيطان سلاح من أسلحته:

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾ لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴾ الحج 52 - 53.

دائماً الشيطان عدوّ لكلّ إنسان؛ صغيرهم، وكبيرهم، وخاصة الأنبياء والمرسلين؛ أصحاب النور والهدى والوحي المبين؛ لأنهم الدواء لدائه، ولأنهم السّدّ المنيع في وجه طوفان شرّه، يحاول دائماً دسّ كلامه وسمومه بين كلامهم، وهديهم، وما كلامه إلا كُفْر وضلالة ضمن أمانيهم وتمنّياتهم، لكن الله - تعالى - بالمرصاد، فيبطل عمل الشيطان، ويحفظ وحيه وكُتُبه ورُسُله منه.

يتحقّق - لفترة - دسُّ الشيطان، لكن الله - تعالى - يُبطل عمله دائماً:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۚ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ النور 21.

خطاب للمؤمنين أنْ لا يتّبعوا خطوات الشيطان؛ لأن طريق الشيطان طريق تقود إلى الخطيئة والرذيلة والمنكر السيئ، ولولا رحمة الله - تعالى - لأصابكم من الشيطان شيء، وكنتم في طريق الفساد والشّرّ، ولكن الله - تعالى - بفضله ورحمته عليكم وفّقكم إلى التوبة، وطهَّركم من الذنوب لما يشاء، وهو عليم بنواياكم.

التحذير من اتّباع خطوات الشيطان، وإن فعلتم، فباب التوبة مفتوح لكم:

﴿ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴾ الفرقان 29.

لقد خدعني الشيطان عن الإيمان، وعن عبادة الله - سبحانه وتعالى - ومن عادات الشيطان أنه يخذل الإنسان دائماً.

الشيطان - دائماً - كثير الخذلان لعدوّه الإنسان:

﴿ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴾ النمل 24.

قصة بَلْقِيْس ملكة اليمن التي تعبد وقومها الشمسَ من دون الله، هذه العبادة من عمل الشيطان، وتزيينه لهؤلاء أن عبادتهم هي الحقّ، فأبعدهم بوسوسته، ومكره، عن طريق الحق، فسلكوا طريق الباطل.

الشيطان يأمر بعبادة المخلوقات من دون الله تعالى:

﴿ وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ۖ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴾ القَصَص 15.

إن الغضب الشديد من فعل الشيطان، فهو يدفع الإنسان إلى التصرُّف السيئ، الذي له نتائج وعواقب وخيمة، كما حدث مع سيدنا موسى عليه السلام.

الغضب من فعل الشيطان، وأحد أسلحته:

﴿ وَعَادًا وَثَمُودَاْ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُواْ مُسْتَبْصِرِينَ ﴾ العنكبوت 38.

وكباقي الأمم؛ فعاد وثمود زيَّن لهم الشيطان أعمالهم السيئة كعبادة الأصنام، فظنوها صحيحة وحسنة، فأبعدهم ذلك عن الطريق المستقيم، وصدَّهم عن الحقّ بما أرسل به الأنبياء، وكانوا يملكون عقولاً وبصائر قادرين على استعمالها استعمالاً حسناً لتميز الحقّ عن الباطل، ولكنهم اتّبعوا الشيطان، وأهملوها كبراً وصلفاً وعناداً.

ضلالة الأمم من فعل الشيطان:

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ لقمان 21.

وإذا جاءت رُسُلُهُم بالحقّ والهداية، وقالوا لهم: هذا مصباح الهدى ومنهاج الحقّ رفضوا ذلك، وقالوا: بل نتبع دين آبائنا، وأجدادنا، الذين كانوا يعبدون الأوثان والأصنام، وذلك من فعل الشيطان.

الشيطان يدعوالإنسان إلى عذاب النار:

﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ فاطر 6.

الشيطان عدوّ للإنسان على مرّ الزمان والمكان، وهو يدعو أصحابه إلى عذاب جهنّم.

عاقبة إطاعة الشيطان جهنّم:

﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ يس 60.

تحذير من الله - تعالى - عن اتّباع الشيطان وعبادته:

﴿ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ﴾ الصافات 7.

حفظ السماء من الشياطين بالشُّهُب والنيازك:

﴿ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴾ ص 41،

توجّه سيدنا أيوب إلى الله – تعالى – بالاستعاذة بالله من عمل الشيطان.

الاعتماد على الله - تعالى - لصدِّ الشيطان:

﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ فصلت 36.

وإن حاول الشيطان بوسوسته أن يصدك عن سبيل الله فاستعن بالله والتجئ إلى الله – تعالى – ولا تطع الشيطان فالله يسمع استغاثتك.

الاستعانة بالله - تعالى - من الشيطان:

﴿ وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ الزخرف 62.

لا يُبعدكم الشيطان عن الله تعالى:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ۙ ٱلشَّيْطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴾ محمد 25.

إن الذين كفروا وعادوا إلى عبادة الأصنام بعد إيمانهم، فقد زيّن لهم الشيطان هـذا الفعـل وهذا الارتداد والرجوع إلى الكُفْر، فأطاعوه. فالمرتدّ من فعل الشيطان.

﴿ إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴾ المجادلة 10.

إنما النجوى وهي التَّحدُّث سرَّاً بالإثم والعدوان هي من فعل الشيطان؛ لكي يحزن المؤمنون، ولكنْ؛ ليس باستطاعة الشيطان إيذاء أحد بفعله إلا بإذن الله – تعالى – ومشيئته وإرادته.

أحد وسائل الشيطان النجوى:

﴿ ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَـٰنِ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴾ المجادلة 19.

امتلكهم الشيطان بكاملهم، بنفوسهم، وعقولهم، وقلوبهم، فأصبحوا خاسرين؛ لأنهم أصبحوا من جنوده، وحزبه.

الخسران المبين لَمنْ أخذه الشيطان:

﴿ كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَـٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَـٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ سورة الحشر 16.

أكبر كذب وأكبر خذلان وأكبر تخلٍّ من تبعة أعمال الشيطان، فالشيطان إذ يجرّ الإنسان إلى الكفر والضلالة، فإذا فعل ذلك تركه، وانسحب، وأنكر عليه فعله قائلاً: أتركك لعملك وفعلكَ، فأنا أخافُ اللهَ ربَّ العالمين.

الشيطان أكبر كاذب في الدنيا:

﴿ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَـٰنٍ رَّجِيمٍ ﴾ التكوير 25.

تنزيه القرآن أن يكون من عمل الشيطان:

﴿ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ البقرة 102.

الفاتحة: الشياطين تُعلِّم السِّحْر.

﴿ قُلْ أَنَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى ٱلْهُدَى ٱئْتِنَا ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۖ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ الأنعام 71.

قل إن عبادة الأصنام والمخلوقات التي لا حول لها ولا قوة لهي عبادة الشرّ، وعبادة الشياطين، وهذا يشبه كالذي استدعتْهُ الشياطين حيران متردّد وتائه لا يعرف إلى أيّ جهة يدعوه أصحاب رفاق مهتدون إليهم، فلا يعرف الطريق إليهم، ولا يعرف كيف يجيبهم؟.

كل عبادة من دون الله حيرة وتخبُّط من الشيطان:

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾ الأنعام 112.

إن الشياطين الأعداء لكلّ طبقات البشر وخاصة الصفوة الطاهرة، وخاصة الأنبياء والمرسلون عليهم السلام، فهي معركة قائمة ما بين الخير والشّرّ والهداية والضلالة على مرّ الزمان إلى يوم القيامة، فعلى الرغم من انجذاب بعض الناس إلى أفعال الشياطين وأعمالهم وتزيين بعضهم لبعض أقوالهم.

الشياطين أعداء الأنبياء والمرسلين بشكل خاص:

﴿ وَلَا تَأْكُلُوا۟ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسْقٌ ۗ وَإِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَـٰدِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ﴾ الأنعام 121.

هي آية خاصة بأكل الذبائح، وفيها نهي قاطع محرّم بما لم يُذكَر عليه اسم الله العظيم، ومجادلة كفَّار قريش لرسول الله ﷺ عن الذبائح، وإن الشياطين ليُوسوسوا إلى أصحابهم ليجادلكم بهذا الكلام، وإن لبَّيتُم وأطعتُم إنكم مثلهم - إذاً - مشركون.

نهاية الشيطان وأتباعه:

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَـٰطِينَ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴾ مريم 83.

الكافرون المشركون هم أصحاب الشياطين، يؤيّد بعضهم بعضاً، فتغوي الشياطين الكافرين، وتُزيِّن لهم المعاصي.

المؤمن محفوظ من كيد الشيطان بإذن الله تعالى:

﴿ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَكُنَّا لَهُمْ حَـٰفِظِينَ ﴾ الأنبياء 82.

تسخير الشياطين لسيدنا سُلَيْمان، فهم يقومون بالأعمال العجيبة بأمر الله تعالى.

تسخير الله - تعالى - الشياطين لسيدنا سُلَيْمَان الإنسان عليه السلام:

﴿ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَـٰطِينِ ﴾ المؤمنون 97.

الاستعانة بالله - تعالى - من الشياطين ووسوساتهم الشّرّيرة:

﴿ وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَـٰطِينُ ﴾ الشعراء 210.

كُفّار مكّة والجاهلون والمشركون الذين يدّعون أن هذا القرآن تنزَّلَتْهُ الـشياطين الكُهَّـان والعرَّافون.

تنزيه القرآن العظيم من الشياطين:

هل أُنبِّئكم عن مَنْ تنزَّلت الشياطين؟!

هل أدلّكم على مَنْ تنزَّلت الشياطين؟! على الكافرين الفاسدين والمشركين.

الشياطين تصحب الكافرين والمشركين:

﴿ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴾ الصافات 65.

قمّة في الإبداع اللغوي والتصوير الخالي عن شجرة الزقوم، فنحن لا نعرفها، فشبَّه ثمارها برؤوس الشياطين، التي - أيضاً - لا نعرفها، وإنما نتخيّلها كلّ حسب مخيلته، والحقيقة تكون أسوأ من الخيال.

﴿ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴾ ص 37.

تسخير الشياطين لسُلَيْمان عليه السلام.

قدرة الله - تعالى - على تسخير الشياطين للأنبياء والمرسلين:

﴿ وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ﴾ الملك 5.

الشُّهُب والنيازك هي دواء الشياطين لَمَنْ أراد الاستماع إلى الملائكة في السماء.

حفْظ السماء من الشياطين:

﴿ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴾ النساء 177.

ادَّعوا أن اللات والعزّى ومناة هنَّ بنات لله تعالى، وهي كبرى الأصنام التي كان كفار مكـة يعبدونها، كما كان بعضهم يعبد الجنّ، فيكذبهم الله - تعالى - قائلاً إنْ تعبدون إلا الشياطين.

تكذيب المشركين والشياطين:

﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴾ الزخرف 36.

ومَنْ أغفل قلبه عن ذِكْر الله - سبحانه وتعالى - يعيش والشيطان ملازماً لـه ومـصاحباً كالصديق الحميم والولد للوالد.

نتيجة إطاعة الشيطان مصاحبة الشيطان:

﴿ وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴾ البقرة 14.

إن لقوا المؤمنين قالوا إنا معكم، وإذا لقوا المشركين قالوا إنـما نحـن معكـم، ولكننـا كنـا نستهزئ بالمؤمنين ".

وهي حال المنافقين في كلّ زمان ومكان، ولكن الله - تعالى - كشف أمرهم لرسول الله ﷺ.

موقف المنافقين:

آيات القرآن الكريم عن إبْلِيْس:

﴿ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾ الأعراف 11، ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴾ الإسراء 66.

﴿ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾ الحجر 31 - 32.

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴾ الكهف 50.

﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴾ طه 116.

﴿ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴾ الشعراء 95.

﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ سبأ 20.

﴿ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴾ ص 74-75.

إننا نرى في كافة الآيات تقريباً التي ورد فيها اسم الشيطان أنها تتحدّث عن قصة آدم عليه السلام واستكبار إِبْلِيْس عن السجود له ترفُّعاً وكبرياءً، إلا الآيتَيْن رَقْم 7- 8 فهما تتحدّثان عن إِبْلِيْس وجنوده، وأن فريقاً من الناس صدَّق ظنَّ إِبْلِيْس عليهم بالكُفر والضلالة.

خلاصة:

بعد قراءة كل الآيات التي ورد فيها اسم الشيطان والشياطين وغيرها والتي شرحناها سابقاً ماذا نجد؟!

نجد أن الغايات التي قصدتها الآيات الكريمة تتمحور حول أهداف معينة؛ يمكننا تقسيمها كما يلي:

1- حقيقة الشيطان. 2- غايته. 3- أسلحة الشيطان ووسائله. 4- التحذير من الشيطان ومن عمله. 5- قدرة الله – تعالى – على الشيطان وأتباعه. 6- عقوبة الشيطان وأتباعه في الآخرة.

حقيقة الشيطان:

حقيقة الشيطان لا تتغير أبداً، وهي أنه عدوّ للإنسان منذ آدم عليه السلام إلى يوم القيامة.

غاية الشيطان:

جرّ الإنسان إلى الضلالة والكُفْر والإشراك بالله - تعالى - والإلحاد والنفاق؛ لكي يـؤدّي به في النهاية إلى نار جهنم.

وسائله وأسلحته:

وهي متنوّعة وكثيرة جداً؛ منها: **صرف الإنسان الحلال إلى الحرام. الوسوسة. الاستغلال. الخوف. الشقاق بين الناس. الغضب. ضلالة الأمم السابقة. النجوى. الارتـداد عـن الإيـمان والإسلام. السِّحْر. الحيرة والتخبُّط. المجادلة. الاختفاء عن أعـين النـاس. التبـذير. الغـرور. الاستماع إلى الملائكة. الوَهْم. الأمر بالبُخل.**

التحذير من الشيطان:

ورد في كثير من الآيات التحذير من الله - تعالى - الاستماع إلى اتّباع خطـوات أو طريـق الشيطان.

قدرة الله - تعالى - على الشياطين:

طلب منا الله - سبحانه وتعالى - الاستعانة به ضدّ الشيطان وجنوده وأعمالهم وهمـزاتهم، سواء تحقّقت أعمال الشيطان، أم لم تتحقّق، وإن قدرة الله - تعالى - تقف مع المؤمنين لإبطـال وإفساد أعمال الشيطان.

عاقبة الشيطان وأتباعه:

عاقبة أتباع الشيطان أن يصبح الشيطان للإنسان قريناً ومصاحباً له على الإسلام، يجرُّه في النهاية إلى عذاب النار؛ حيث يتنصّل الشيطان في النهاية من عاقبة أعماله، وعاقبة جرّ الإنسان إلى الضلالة والكُفر وعذاب جهنّم، ولا يهمّه أبداً ما سوف يحدث له أبداً.

النهاية: عاقبة الشيطان وأتباعه إلى جهنّم؛ حيث الخسران المبين، لقد وجدنا في هذا البحث أن الشيطان هو العدوّ الأكبر للإنسان، هدفه الأوحد أن يجرَّ الإنسان بوسائله إلى اقتراف الذنوب والكبائر التي تؤدّي إلى غضب الله عليه.

ولكنْ؛ إذا استعان الإنسانُ بالله - تعالى - على دَفْع الشيطان، فإن الله - تعالى - يُقوِّيه، ويعطيه القدرة والقوة إلى صدّ الشيطان، ودحره؛ لأن كيد الشيطان كان ضعيفاً.

الشيطان في الأحاديث النبوية:

لقد أوردت لنا الأحاديثُ النبويةُ الشريفةُ الكثيرَ من الأحاديث التي تُبيِّن لنا عمل الشيطان وأفعاله لبني آدم، وقد حذّرنا نبيّ الرحمة ﷺ من أعمال الشيطان وأفعاله في كلّ موقف من مواقف الحياة لندرأ عنها خطر الشيطان، ووسوسته، وإغواءه لنا، وأن نستعين بالله تعالى:

عند الخلاء: عن أنس: كان النبي ﷺ إذا دخل الخلاء قال: (اللهمَّ؛ إني أعوذ بكَ من الخبث والخبائث). البخاري ومسلم.

عند الآذان: عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: إذا نُودي للصلاة أدبر الشيطان، وله ضراط حتى لا يسمع التأذين، فإذا قضى أقبل، حتى إذا ثوب بالصلاة، أدبر، حتى إذا قضى التثويب أقبل يخطر بين المرء ونفسه يقول: اذكر كذا، اذكر كذا، عمّا لم يكن يذكر، حتى يظلَّ الرجل لا يدري كم صلى.

عند دخول المسجد: عن عبد الله بن عمر بن العاص عن النبي ﷺ أنه كان إذا دخل المسجد يقول: (أعوذ بالله العظيم، وبوجهه الكريم، وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم)، قال: فإذا قال ذلك، قال الشيطان: حُفظ مني سائر اليوم عند الخروج من المسجد). البخاري ومسلم ، الحديث 608، باب التأذين.

عند الخروج من المسجد: عن أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: وإن أحدكم إذا أراد أن يخرج من المسجد تداعت جنود إِبْلِيْس، وأجلبت، واجتمعت كما تجتمع النحل على يعسوبها، فإذا قام أحدكم على باب المسجد، فليقل: اللهمَّ؛ إني أعوذ بكَ من إِبْلِيْس وجنوده، فإنه إذا قالها لم يضرّه.

قبل القراءة في الصلاة: أن النبي ﷺ قال قبل القراءة في الصلاة: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، من نفخه، ونفثه، وهمزه، وفي رواية أخرى: أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، من همزه، ونفخه، ونفثه. رواه أبو داود والتزمدي والنسائي، وابن ماجة والبهيقي.

باب الأذكار بعد الصلاة:

في سُنن أبي داود والنسائي: عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: خصلتان أو خلّتان لا يحافظ عليهما عبد مسلم إلا دخل الجنة هما يسير، ومَنْ يعمل بهما قليل، يُسبِّح الله - تعالى - دبر كلّ صلاة عشراً، ويحمد عشراً، ويُكبِّر عشراً، فذلك خمسون، ومائة باللسان، وألف وخمسمائة في الميزان، ويُكبِّر أربعاً وثلاثون إذا أخذ مفجعة، ويحمد ثلاثاً وثلاثين، ويُسبِّح ثلاثاً وثلاثين، فذلك مائة باللسان، وألف بالميزان، قال: فلقد رأيتُ رسول الله ﷺ يعقدها بيده، قالوا: يا رسول الله؛ كيف هما يسير، ومَنْ يعمل بهما قليل ؟ قال: يأتي أحدكم يعني الشيطان في منامه، فيُنوّمه قبل أن يقوله، ويأتيه في صلاته، فيذكره حاجة قبل أن يقولها [1].

(1) الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار ﷺ، ص68، باب الأذكار بعد الصلاة للنووي، طبعة 4، مصر 1955.

في كتاب ابن السني عن جابر ﵁ أن رسول الله ﷺ قال: إن الرجل إذا آوى إلى فراشه ابتدره ملك وشيطان، فقال الملك: اللهمَّ؛ اختمْ بخير، فقال الشيطان: اختمْ بشرّ، فإذا ذكر الله - تعالى - ثم نام بات الملك يكؤه.

عن ابن السني قال رسول الله ﷺ: إذا أويتَ إلى فراشكَ، فقلْ: أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه، ومن شر عباده، ومن همزات الشياطين، وإذا يحضرن.

في كتاب الترمذي وغيره عن أبي ذرّ ﵁ أن رسول الله ﷺ قال: مَنْ قال من دبر صلاة الصبح وهو ثان رجليه قبل أن يتكلّم لا إله إلا الله وحده، لا شريك له، له الملك، وله الحمد، يحيي ويميت، وهو على كل شيء قدير عشرات مرات، كتب له عشرات حسنات، ومُحي عنه عشر سيئات، ورفع له عشر درجات، وكان يومه في حرز من كل مكروه، وحرس من الشيطان، ولم ينبغ لذنب أن يدركه في ذلك اليوم إلا الشرك بالله تعالى. قال الترمذي: هذا حديث حسن.

وفي الإسناد والصحيح في سنن أبي داود والترمذي عن أبي هريرة ﵁ أن أبا بكر الصديق ﵁ قال: يا رسول الله؛ مُرني بكلمات أقولهنَّ إذا أصبحتُ، وإذا أمسيتُ، قال: قلْ: اطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة، ربّ كل شيء ومليكه، أشهد أنْ لا إله إلا أنتَ، أعوذ بكَ من شرِّ نفسي، وشرِّ الشيطان، وشركه، قال: قُلها إذا أصبحتَ، وإذا أمسيتَ، وإذا أخذتَ مضجعكَ. قال الترمذي: حسن صحيح.

وفي سنن أبي داود وابن ماجة بأسانيد جيدة عن أبي عياش بالشين المعجمة ﵁ أن رسول الله ﷺ قال: مَنْ قال إذا أصبح: لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، كان له عدل رقبة من ولد إسماعيل، وكتب له عشر حسنات، وحطَّ عنه عشر سيئات، ورُفع له عشر درجات، وكانَ في حرز من الشيطان حتى يمسي، وإن قالها إذا أمسى كان له مثل ذلك حتى يصبح.

وعن السني عن عمر بن عتبة ﵁ عن رسول الله ﷺ قال: ما تستقلّ الشمس، فيبقى شيء من خلق الله - تعالى - إلا سبّح الله عزّ وجلّ، وحمد، إلا ما كان من الشيطان، وأعتاء بني آدم، فسألتُ عن أعتاء بني آدم، فقال: شرار الخلق.

عن السني قال: عن الرسول ﷺ أنه قال: إذا رأى أحدكم رؤيا يكرهها، فليتفل ثلاث مرات، ثم ليقل: اللهم إني أعوذ بكَ من عمل الشيطان، وسيئات الأحلام، فإنها لا تكون شيئاً .

الوسوسة:

في صحيحَي البخاري ومسلم: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: يأتي الشيطان أحدكم، فيقول مَنْ خلق كذا؟ ومَنْ خلق كذا؟ حتى يقول: مَنْ خلق ربكَ؟ فإذا بلغ ذلك، فليستعذ بالله، وفي رواية أخرى: لا يزال الناس يتساءلون حتى يقال خَلَقَ اللهُ الخلقَ، فَمَنْ خَلَقَ اللهَ؟ فَمَنْ وجد ذلك، فليقلْ آمنتُ بالله ورُسُله.

وفي صحيح مسلم عن عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه قلتُ يا رسول الله: إن الشيطان قد حال بيني وبين صلاتي وقراءتي يلبسها عليّ، فقال رسول الله ﷺ: ذلك شيطان يُقال له خزب، فإذا أحسسته، فتعوّذ بالله منه، واتفلْ عن يساركَ ثلاثاً، ففعلتُ ذلك، فأذهبَهُ الله عني.

باب دخول قرية:

في كتاب ابن السني أن النبي ﷺ لم يرَ قرية يريد دخولها إلا قال حين رأها: اللهمّ ربّ السموات السبع، وما أظللنَ، والأرض السبع، وما أقللنَ، ربّ الشياطين، وما أضللنَ، وربّ الرياح وما ذرتن، أسألكَ خير هذه القرية، وخير أهلها، وخير ما فيها، ونعوذ بكَ من شرّها، وشرّ أهلها، وشرّ ما فيها.

باب التسمية عند الطعام والشراب:

في صحيح البخاري:عن جابر رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: إذا دخل الرجل بيته، فذكر الله - تعالى - عند دخوله، وعند طعامه، قال الشيطان: لا مبيت لكم،

ولا عشاء، وإذا دخل فلم يذكر الله - تعالى - عند دخوله، قال الشيطان: أدركتم المبيت، وإذا لم يذكر الله - تعالى - عند طعامه، قال: أدركتُم المبيت والعشاء.

في صحيح البخاري عن حذيفة ﷺ: كنا إذا حضرنا مع رسول الله ﷺ طعاماً لم نضع أيدينا حتى يبدأ رسول الله ﷺ فيضع يده، وإنا حضرنا معه مرة طعاماً، فجاءت جارية كأنها تدفع، فذهبت لتضع يدها في الطعام، فأخذ رسول الله ﷺ بيدها، ثم جاء أعرابي كأنه يدفع، فأخذ بيده، فقال رسول الله ﷺ: إن الشيطان يستحلّ الطعام أنْ لا يُذكَر اسم الله عليه، وأنه جاء بهذه الجارية ليستحلّ بها، فأخذتُ بيدها، فجاء بهذا الأعرابي ليستحلّ به، فأخذتُ بيده، والذي نفسي بيده إن يده في يدي مع يدهما، ثم ذكر اسم الله - تعالى - وأكل.

في سُنن أبي داوود والنسائي عن أمية بن الصحابي ﷺ قال: وكان رسول الله ﷺ جالساً ورجل يأكل، فلم يُسلّم حتى لم يبقَ في طعامه إلا لقمة، فلما رفعها إلى فيه، قال: بسم الله أوله وآخره، فضحك النبي ﷺ، ثم قال: مازال الشيطان يأكل معه، فلما ذكر اسم الله استقاء ما في بطنه.

باب ما يقوله عند الجماع:

في صحيح البخاري ومسلم عن ابن عَبّاس رضي الله عنهما من طريق كثيرة عن النبي ﷺ قال: لو أن أحدكم إذا أتى أهله قال بسم الله، اللهمَّ جَنِّبْنَا الشيطان، وجَنِّبْ الشيطان ما رزقتنا. فقضى بينهما ولد، لم يضرّه الشيطان أبداً.

في حالة الغضب:

في صحيح البخاري ومسلم عن سُلَيْمان بن جرد الصحابي ﷺ قال: كنتُ جالساً مع النبي ﷺ ورجلان يستبّان، وأحدهما قد احمرّ وجهه، وانتفخت أوداجه، فقال رسول الله ﷺ:

إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد، لو قال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ذهب عنه ما يجد. فقالوا له: إن النبي ﷺ قال: نعوذ بالله من الشيطان الرجيم فقال: وهل بي من جنون؟!

وفي سنن أبي داوود عن عطية بن عروة السعدي الصحابي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:إن الغضب من الشيطان، وإن الشيطان خُلقَ من النار، وإنما تُطفأ النارُ بالماء، فإذا غضب أحدكم فليتوضّأ.

دعاء:

عن أبي اليسر الصحابي رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ كان يدعو: اللهـمَّ أعوذ بكَ من الهدم، وأعوذ بك من التردّي، وأعوذ بكَ من الغرق والحرق والهرم، وأعوذ بكَ أن يتخبّطني الشيطان عند الموت، وأعوذ بكَ أن أموت في سبيلكَ مُدبراً، وأعوذ بكَ أن أموت لويغاً).

ملاحظة: كافة هذه الأحاديث مأخوذة عن كتاب الأذكار للإمام النووي. [1]

إننا إذا تحقّقنا النَّظَر في السُّنَّة النبويةِ الشريفة، وقرأنا أحاديث رسول الله ﷺ المتنوّعة التي أوردناها لوجدناها عظيمة الفائدة، وتبين لنا - بجلاء ووضوح - كيف ونحن نجد في هذه الأحاديث إمّا تحذيراً للمؤمنين من الوقوع في مصائد الشيطان، وما يعدّه للإنسان من فخاخ ومكائد جذباً له للذنوب والوقوع في الخطيئة قبل وقوعها، أو هونها، وكيفية الخلاص منه، والواجب على العاقل أن يأخذ حذره من هذا العدو، الذي قد أظهر لنا العداوة من زمن آدم عليه السلام، وقد بذل نفسه وعمره وحياته وذُرِّيَّته في جَرِّنا إلى الفساد، وإلى النار.

عن ابن عَبَّاس رضي الله عنهما قال: والله؛ ما أظنُّ على ظهر الأرض اليوم أحد أحبُّ إلى الشيطان هلاكاً مني. فقيل: وكيف؟ فقال: والله؛ إنه ليُحدث البدعة في مشرق أو مغرب، فيحملها الرجل إليّ، فإذا انتهت إليَّ قمعتُهَا بالسُّنَّة، فتُردّ عليه كما أخرجها[2].

---

(1) انظر النووي.

(2) تلبيس إِبْلِيْس.

لقد جاء رسول الله ﷺ بالبنيان الكافي والدواء الشافي لكافة الأمراض النفسية والروحية البشرية، فأقبل الشيطان يحيط هذا بهذا، والصحيح بالخطأ، والحق بالباطل، والدواء بالسم، يلعب بالنفوس والعقول، فكان القرآن العظيم والسُّنَّة الشريفة السبيل إلى حماية المسلم من شرور خبط هذا الشيطان، ومن طرائقه، ومن عبثه في نفس الإنسان وعقله.

لقد أوضح لنا رسول الله ﷺ في أحاديثه الشريفة عن الشيطان كافة السُّبُل والطُّرُق والحِيَل والمكائد والمصائد التي يتبعها ليفتن المسلم عن دينه وعقله ونفسه، وبيَّن لنا أن رسول الله ﷺ قد احتاط لأمر الشيطان، وحذّرنا منه نبّينا عليه السلام، وأوضح لنا ما يجب على المسلم أن يفعله في يومه وليله، من حيث يضع رأسه على فراشه إلى الليل الثاني، كيف ينام، وماذا يقول، وماذا يفعل إذا رأى حلماً، إذا استيقظ فزعاً، إذا استيقظ صباحاً، إذا أكل وشرب، إذا نظر في المرآة، إذا توضأ وصلى، إذا ذهب إلى السوق، عند الوسوسة، وفي حال الغضب، وطلب منا الاستعانة بالله - تعالى - لإبعاد هذا الشيطان عنا في كافة أحوالنا.

الأحاديث النبوية الشريفة في كتاب تلبيس إبْلِيْس:

مادام موضوع بحثنا وجنوده من الشياطين أعداء الإنسان على مرّ الزمان والعصر والدهر، فلابد لنا من أن نمرَّ على كتاب ابن الجوزي تلبيس إبْلِيْس لنرَ فيه كتاباً جميلاً قيماً فيما أورده عن طرق وحيل ووسائل ومصائد إبْلِيْس لعنه الله - تعالى - وجنود، ليس فيما يقتصر على عناصر الشر والذنوب، التي هي - بحد ذاتها - معلومة لدى الإنسان المسلم كالشِّرْك والسِّحْر والخمر والزنا وغيرها، وإنما فيما يتلبَّس على الإنسان المسلم، فيظنّ أن ما يفعله هو الصواب والخير.

يورد لنا ابن الجوزي موقف إبْلِيْس منذ أن خَلَقَ اللهُ - سبحانه - آدم عليه السلام، ورفض الشيطان السجود لآدم تكبراً وغروراً وصلفاً وحسداً له على منزلته، ثم تعهُّده بالإغواء والإفساد لبني آدم ليوم القيامة. ويبين لنا دور إبْلِيْس في الديانات السماوية، واختلافها،

وانحرافها عن الحقّ الذي جاء به الأنبياء عليهم السلام جميعاً، وتلبية على ما في المذاهب والمِلَـل من التاريخ القديم، وحتى انقسام الناس إلى فئات في الدين الإسلامي، وكيف تأتّى لإِبْلِيْس أن يفعل ذلك ؟ وكيف دخل بين الناس بهذه الآراء.

ويمكننا لفائدة الكتاب موضوع البحث أن نُثبت بعضاً من هـذه الآراء التـي أوردهـا ابـن الجوزي في كتابه.

يقول الكاتب: معنى التلبيس والغرور: التلبيس إظهار الباطـل في صـورة الحـقّ، والغـرور نوع من الجهل، يوجب اعتقاد الفاسـد صـحيحاً، والـرديء جيـداً، وقـد سـبقه وجـود شـبهة أوجبت ذلك، ومما يدخل إِبْلِيْس على الناس بقدر ما يمكنه، ويقلّ على مقدار يقظتهم وغفلـتهم وجهلهم وعلمهم، ويذكر الكاتب كافة الأصناف والملل من الملحدين والكـافرين والفلاسـفة وطُرُق تلبيس إِبْلِيْس عليهم، ونورد بعضاً منها:

1 - تلبيس على الدهرية:

قد أوهم إِبْلِيْس خلقاً كثيراً أنه لا إله، ولا صانع، وأن هذه الأشياء كانت بلا تكوُّن.

2 - تلبيس على الطبائعيين:

لما رأى إِبْلِيْس قلّة موافقته على جحد الـصانع؛ أيْ الله - سـبحانه وتعـالى - لكـون العقـل شاهد بأنه لابد للمصنوع من صانع، حسَّن للأقوام أن هـذه المخلوقـات فعـل الطبيعـة، وقـال - أيْ إِبْلِيْس - ما من شيء يُخلَق إلا من اجتماع الطبائع الأربعة [1] فيه تدلُّ على أنها الفاعلة.

3 - تلبيس على الثنوية:

هم أقوام قالوا صانع العالم اثنان: فاعل الخير نور، وفاعـل الـشرّ ظلمـة، وهمـا قـديمان، لم يزالا قويين حساسين سمعين بصرين، أيْ قالوا بوجود إلهين: إله للخير، وإله للشر.

---

(1) الطبائعيين: نسبة إلى الطبائع الأربعة؛ وهي الماء، والتراب، والنار، والهواء. ويعتقدون أنها الفاعلة لكل شيء.

4 - تلبيس على الفلاسفة وتابعيهم:

يقول إنما تمكَّن إِبْلِيْس من التلبيس على الفلاسفة من جهة أنهم انفردوا بآرائهم وعقولهم بمقتضى ظنونهم من غير التفات إلى الأنبياء، ومن ثم يورد آراء الفلاسفة تباعاً من أرسطاطاليس، إلى أرسطو، إلى الدهرية، أفلاطون وغيره، ويبين نظرياتهم، وتلبيس إِبْلِيْس عليهم، ورد ابن سينا عليهم، ويرد هو عليهم.

5 - تلبيس على أصحاب الهياكل:

قالوا بأن لكل جرم سماوي كالكواكب السبعة زحل ـ المشتري ـ المريخ ـ الزهرة ـ عطارد ـ القمر ـ الشمس روحاً من الروحانيات تناسب هذه الأجرام، فتكون هي المدبّرة والمتصرّفة، وقالوا: لكل هيكل سماوي شخص من الأشخاص السفلية على صورته وجوهره، فعملوا لها الصور، ونحتوا لها الأصنام، وبنوا لها بيوتاً، وعبدوها. وبيّن المؤلف أن إِبْلِيْس يأتي تلبُّساً على الناس، من حيث هواهم، ونفوسهم، وميولهم، وما يحبون، ويشتهون، وكل محنة لبس بها إِبْلِيْس على الناس فسببها الميل إلى الحس، والأعراض من مقتضى العقل، ولمَّا كان الحسُّ يأنس بالمثل، دعا إِبْلِيْس – لعنة الله – خلقاً كثيراً إلى عبادة الصور، وأبطل عمل العقل، فمنهم مَنْ حسَّ له أنها الآلهة، ومنهم مَنْ وجد فيه فطنة، فعلم أنه لا يوافقه على هذا، فزيّن له أن عبادة هذه تُقرِّب إلى الخالق، فقالوا: ﴿ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ ﴾ الزمر 3.

6 - تلبيس على عابدي النار والشمس والقمر:

قال المؤلّف، لبَّس إِبْلِيْس على جماعة، فحسَّ لهم عبادة النار، وقالوا: هي الجوهر الذي لا يستغني العالم عنه، ومن هنا؛ زيَّن لهم عبادة الشمس. وقد حسَّ إِبْلِيْس – لعنه الله – لأقوام عبادةَ القمر ولآخرين عبادة النجوم. قال ابن قتيبة: وكان قوم في الجاهلين عبدوا الشعرى

والعبور، وفُتنوا بها، وزيَّن إِبْلِيْس عبادةَ الملائكة لآخرين، وقالوا: هي بنات الله تعالى، تعالى الله عن ذلك، ولآخرين عبادة الخيل، والبقر، وغيره.

7 - تلبيس إِبْلِيْس على جاحدي النُّبُوَّات:

قد لبَّس إِبْلِيْس على البراهمة، والهندوس، فزيّن لهم مجد النبوات؛ ليسدَّ طريق ما يصل من الإله تعالى، ويستعرض المؤلّف ستَّ شبهات لإِبْلِيْس أُلقيت على جاحدي النُّبُوَّة، وهو ردّ مهمّ جداً. فنقول عن ردّ علماء الإسلام على الملحدين العرب كصالح بن عبد القدوس، وابن اللاوندي صاحب كتاب الزمردة، وقد أورد أكثر العلماء الحجّة في الردّ على هذه الشبهات على كتاب الزمرة لابن الراوندي. [1]

8 - تلبيس إِبْلِيْس على اليهود:

لبَّس إِبْلِيْس على اليهود كثيراً من الأشياء؛ **أولها تشبيههم الخالق بالخلق**، وزعموا أن الإله المعبود رجل من نور على كرسي، على رأسه تاج من نور، وله أعضاء كالآدميين.

ثانيها: قولهم عزيز ابن الله.

ثالثاً: **جهلهم بالخالق**، ولولا جهلهم بالخالق، ما اجترؤوا عليه بالكلمات القبيحة؛ كقولهم ﴿ **إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ** ﴾ آل عمران 181، وقولهم ﴿ **يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ** ﴾ المائدة 64، ﴿ **سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ** ﴾ الإسراء 43، وقولهم ﴿ **لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً** ﴾ البقرة 80. وغير ذلك من الأشياء.

---

(1) انظر الملحدون في الإسلام، عبد الرحمن البدوي.

9 - تلبيس إِبْلِيْس على النصارى:

وذلك أن إِبْلِيْس أوهم أن الخالق - سبحانه وتعالى - جوهر، فقالت اليعقوبية والملكية والنسطورية: إن الله - تعالى - جوهر واحد، له أقانيم ثلاثة، فهو واحد في الجوهرية، ثلاثة في الأقنومية، وهي الأب ـ الابن ـ الروح القُدُس. ثم قال بعضهم: إن المسيح هو الله، سبحانه عما يقولون، ثم جحدهم رسولنا محمد ﷺ.

10 - تلبيس على الصابئين:

وهو مذهب مختلف فيه، فمنهم مَنْ يقول: إن هناك هيولى كان لم يزل، ولم يزل يصنع العالم من ذلك الهيولى، وقال أكثرهم: إن العالم مُحدَث، وسمّوا الكواكب ملائكة، وسمّاها قوم آلهة، وزعموا أن الأرواح الخيِّرة تصعد إلى الكواكب الثابتة، وإلى الضياء، والشرّيرة تنزل إلى أسفل الأرضين، وإلى الظلمة، وبعضهم يقول إن الثواب والعقاب في الناسخ والتناسخ.

11 - تلبيس على المجوس:

فذلك أنهم إلهان، وقالوا أحدهم نور حكيم، لا يفعل إلا الخير، والآخر شيطان مُحدَث، لا يكون منه إلا الشّرّ، وزعم بعضهم أن الإله والشيطان جسمان قديمان، بينهما فضاء، وكانت الدنيا سليمة من الآفات، والشيطان بمعزل عنها، فاحتال إِبْلِيْس حتى خرق السماء بجنوده، فهرب الرّبّ من فعلتهم، وتقدَّس عن عقولهم، فاتَّبعه إِبْلِيْس حتى حاصره، وحاربه، ولا يصلان إلى بعضهما البعض، ووضعا معاهدة، ووضعا شروطاً بينهما، وأشهدا عدلين، ودفعا سيفيهما إلى الشاهدين العدلين، وقالا مَنْ نكث، فاقتلاه.

ثم تلبَّس على النجمَيْن، وأصحاب الفَلَك، وجاحدي البعث، والقائلين بالتناسخ؛ حيث لبَّس عليهم أن أرواح أهل الخير والصلاح إذا خرجتْ دخلت في أبدان خيِّرة، فاستراحت، وأرواح أهل الشرّ إذا خرجتْ دخلت في أبدان شرّيرة، فيتحمّل عليها المشاقّ.

12 - ذكر إبْلِيْس على أمّتنا في العقائد والديانات:

دخل إِبْلِيْس على أمّتنا في عقائدها عن طريقَيْن:

أولاً: التقليد للآباء والأسلاف، قال تعالى: ﴿ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴾ الزخرف 23، ﴿ إِنَّهُمْ أَلْفَوْاْ ءَابَآءَهُمْ ضَآلِّينَ ﴿٦٩﴾ فَهُمْ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ يُهْرَعُونَ ﴾ الصافات 69 – 70.

والثاني: الخوض فيما لا يُدرَك بُعْده ويُعجَز عن الوصول إليه. فأوقع أصحاب هذا النوع من التخليط والتخبّط. وذلك أن إِبْلِيْس دفع بعض الناس ممَنْ لهم فطنة وذكاء إلى الخوض في علم الكلام، والنظر في أوضاع الفلاسفة، فأفضى بأكثرهم إلى الإلحاد والشكوك، حتى قال فقهاء الأمة كالشافعي رحمه الله: (لأن يُبتلى الإنسان بكلّ ما نهى الله عنه ما عدا الشِّرْك خير له من أن ينظر في أهل الكلام). وقال أحمد بن حنبل: (لا يُفلح صاحب كلام أبداً، وعلماء الكلام زنادقة). ثم يتابع ابن الجوزي في نقده لعلماء الكلام، وفي مقدّمتهم المعتزلة، وينقد آراءهم شيئاً فشيئاً كأبي هذيل العلاف، والمشبّهة، والجبرية، وهم يُؤوِّلون أحاديث الرسول ﷺ تأويلاً يناسب آراءهم، وأقوالهم:

فقالوا: قال رسول الله ﷺ:(ينزل الله إلى السماء الدنيا). قالوا: لا ينزل إلا مَنْ هو فوق، وفَهِمَ مَنْ يقول في قوله تعالى: ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ﴾ الرحمن 27، يقولون إن الله – جل ثناؤه – له وجه، هو صفة زائدة على صفة ذاته، وله أصبع، لقول رسول الله ﷺ: يضع السموات على أصبع. وقوله ﷺ:قلوب العباد بين أصبعين.

13 - تلبيس على الخوارج:

قال ابن الجوزي عند توزيع ما جاء به عليّ – كرم الله وجهه – من اليمن أن رسول الله ﷺ وزّع الغنائم بين أربعة هم زيد الخيل، والأقرع بن جابس، وعينية بن حصن، وعلقمة بن علاثة،

وعامر بن الطفيل، فوجد بعض أصحابه والأنصار وغيرهم، فقال رسول الله ﷺ: ألا تـأمنوني، وأنا أمين مَنْ في السماء، يأتيني خير السماء صباحاً ومساء، ثم أتـاه رجـل نمائـر العينـين، مـشرق الوجنتين، ناتئ الجهة، كثّ اللحية، مشمّر الأزار، محلوق الرأس، فقال: (اتـقِ الله، يـا رسـول الله؛ فرفع رأسه إليه، وقال: ويحكَ أَ ليس أحقّ الناس أن يتَّقي الله أنا)، ثم أدبر، فقال خالد: يا رسول الله؛ ألا أُخرّب عنقه؟! فقال رسول الله ﷺ: فلعلّـه يـصلي؟! فقـال خالـد: إنـه ربَّ مُصلٍّ يقول بلسان ما ليس في قلبه، فقال رسـول الله ﷺ:إني لم أُومـر أن أُنقِّـب عـن قلـوب الناس، ولا أشقّ بطونهم، ثم نظر النبي ﷺ وهو واقف، فقال: (إنه سيخرج من هـذا قـوم يقرؤون القرآن، لا يجاور حناجرهم، يمرقون من الدِّين كما يمرق الـسهم مـن الرقيـة). هـذا الرجل هو ذو الخويصرة التميمي، وفي لفظ قال: (اعدل). فقال رسول الله ﷺ: ويلكَ ومَنْ يعدل إذا لم أعدلْ؟! فهذا أول خارجي خرج في الإسلام؛ لأنه خرج عن رأي رسول الله ﷺ وأتباع هذا الرجل هم الذين قاتلوا عليّ بن أبي طالب كرّم الله وجهه، وذلك في الحرب ما بـين معاوية وعليّ، رضي الله عنهما في معركة صفّين.

14 - تلبيس على الرافضة:

لقد لبَّس إِبْلِيْس على طائفة من الناس، لبَّس عليهم في أفكارهم، ومعتقدهم، وقـد أظهـر الكاتب أفكارهم، ومذهبهم في كتابه، ويحدّد طـوائفهم التـي انقرضـت؛ منهـا الإسـحاقية، ومنها الذمامية، فَمَنْ أراد الاستزادة، فليرجع إلى كتابه التحكيم، وما نـتج عنهـا محـاورة عـليّ كرّم الله وجهه للخوارج وابن العَبَّاس رضي الله عنهما، ثم تابع من انشقاق في جيش علي كـرَّم الله وجهه، وما تبعهما من معركة النهروان، ثم ما تبع ذلك من قتل علي كرم الله وجهه على يـد عبد الرحمن بن ملجم.

ولَمَّا أراد الحسن عليه السلام أن يصالح معاوية، خرج عليه من الخوارج الجَرَّاح بن سنان، وقال: أشركتَ كما أشركَ أبوكَ، وطعنه في أصل فخذه، وما زالت الخوارج تخرج على الأمراء، ولهم مذاهب مختلفة، يمكن للقارئ مراقبة كتاب الفرق بين الفِرَق والمِلَل والنِّحَل للشهرستاني.

ويظهر إِبْلِيْس وحيله عليهم في تطوُّر مذاهبهم في قَصَص تطول، حتى أن هؤلاء الحمقى عملوا بآرائهم، واعتقدوا أن علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه - على خطأ، ومَنْ معه من المهاجرين والأنصار على الخطأ أيضاً، وأنهم هم على الصواب، واستحلُّوا دماء الأطفال، ولم يستحلُّوا أكل ثمرة بغير ثمنها، وتعبوا في العبادات، وسهروا، وقد جزع ابن ملجم عند قطع لسانه من فوات ذِكْر الله سبحانه وتعالى، واستحلَّ قتل علي كرم الله وجهه.

ولبَّس على العلماء في فنون العلم، وعلى القرَّاء في قراءة القرآن العظيم، وعلى أصحاب الحديث، وعلى الفقهاء، وعلى أهل اللغة والأدب، والشعراء، وعلى الوُلاة والسلاطين، وعلى العباد في العبادات، وحتى في الوضوء، فذكر تلبيسه على الناس بكثرة استعمال المياه، وتضييع العمر فيما ليس بواجب، والتغاضي عن الشريعة إذا لم يقنع بما قنعت به الأمة من استعمال الماء القليل، وربما أطال الوضوء، ففات وقت الصلاة، ويذكر حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؛ حيث قال: للوضوء شيطان يقال له الولهان، فاتقوه، أو قال: احذروه.

وعن الحسن رضي الله عنه قال: شيطان الوضوء يُدعى الولهان، يُضحك الناسَ في الوضوء (أخرجه ابن حاجة في باب الطهارة، والترمذي)، ثم تلبيس إِبْلِيْس في الآذان، وفي الصلاة، وفي ترك السُّنن، وفي الإكثار من صلاة الليل، وفي قراءة القرآن، وفي الصوم، وفي الحج، وفي التوكُّل، وفي الغزاة، وعلى الآمرين بالمعروف، والناهين عن المنكر، وعلى الزهَّاد والعبَّاد، وعلى الصوفية، وعلى الصبر، وعلى الفقر، والمرض، والزهد في اللباس للصوفية، ولبس المرفعات، ولبس الصوف، والمبالغة في تقصير الثياب، وعلى الصوفية في الطعام والشراب والامتناع عن أكل اللحم، وكل ماله علاقة بحياة الصوفيين، وعلى المتديِّنين بما يشبه الكرامات: قال رجل للحسن البصري: أَينام إِبْلِيْس؟ قال: لو نام لوجدنا راحة.

الشيطان ودوره في حياة الإنسان:

لابد لنا من وقفة طويلة مع الشيطان وسيرته الذاتية ودوره على مر الزمن بما يمثِّله لنا من قوة شريرة معادية، تضرب في أرجاء الأرض، وتزيِّن للإنسان أعماله الشرّيرة والسيئة، أو تهوي به إلى الزلل والخطايا، ولكنْ؛ هل لهذا الشيطان هذه القوة المدمِّرة والفاعلة، والتي يقف الإنسان عندها عاجزاً عن فعل أيِّ شيء تجاهه؟ هل كل ما يرتكبه الإنسان من خطأ، أو صواب، أو ذنب، يمكن أن ننسبه إلى الشيطان، أو الشياطين، أو الجان، أو غيرهم.

أَليس هناك تأثير لتركيب الإنسان النفسي والجسدي، وما يحيط به من عوامل طبيعة واجتماعية واقتصادية تدفعه إلى ارتكاب الحماقات والفساد من دون تدخُّل الشيطان؟!

هل النفس البشرية كاملة خيرة؟! أو أنها نفوس تحتوي على بذور الشر التي تنمو بفعل المؤثِّرات المناسبة لها، والمحيطة بها؟! إنه حتى الآن من فصول الكتاب السابقة تبيِّن لنا - بوضوح - ما أوردناه والجن وقَصَص الأنبياء عليهم السلام أن لإِبْلِيْس دور المحرِّض، وما يرمز إليه من فعل الشرّ؛ بحيث يستطيع أن يحرِّك في نفس الإنسان عوامل الفساد وبذور الشر. فإذا استثنينا الأنبياء عليهم السلام وأولياء الله الصالحين لوجدنا أن الناس يقعون في حبائل الشيطان لكثرة هذه الحبائل وتنوُّعها.

ولكن هذه المشكلة ما بين بذور الشر والطاقة الكامنة في الإنسان والمحرِّض الذي هو الشيطان ليست جديدة على النفس البشرية، وخاصة أننا نعلم أن الإنسان منذ أن خُلق قد خُلق منه الخوف، والخوف عنصر متأصِّل في طبيعته الإنسان، الخوف دائماً من شيء ما يتبدَّل بتبدُّل الظروف والعوامل المحيطة بالإنسان، فالإنسان القديم كان يخاف من قوى الطبيعة التي لا يفهمها، من الموت القوة التي لا يستطيع التغلب عليها.

لقد درس علماء الاجتماع وعلماء النفس بقايا الشعوب القديمة والعادات والمعتقدات القديمة، فوجدوا أن الإنسان البدائي كان يخاف من الأموات؛ لأن هذه الأموات - في رأيه -

كانت تتحوَّل إلى أرواح شريرة، وحسب رأيه أن هـذه الأرواح تنـشد الانتقـام، وإنهـا تحـسد الأحياء، وأنها تتمنَّى إماتتهم عن طريق الأمراض؛ كي تتحد معهم[1].

إن باستطاعة الإنسان أن يقف للشر وللشيطان وجنوده وأتباعه، وأن يصدَّه هو ووسائله وخداعه، وذلك بالتماسه الخير في حياته وتوكُّله على الله تعالى، وأن يقضي على بـذور الـشر في نفسه، ويسدّ على الشيطان طريقه.

لقد حاولت الشعوب القديمة من إغريق ورومان وشعوب ما بـين النهـرين محاربـة فكـرة الشر المتمثِّلة بالشيطان، وذلك عن طريق المنافذ التي يتسرَّب منها، واعتقدوا أن ذلك يمكـن أن يتمَّ طرد هذا الشر، وهذا الشيطان. وتمثِّـل لنـا الحـضارة المـصرية القديمـة ذلـك في البرديـات المكتشفة الموجودة في المتاحف الآن، والتي بُحثت من قِبل العلماء؛ حيث نجد أن الشيطان يمثِّل القوة المضادَّة للآلهة المصرية القديمة. لقد كان المصريون القدماء يعتقدون بـأن الأرض والعـالم السفلي العالم الآخر والهواء والسماء مـسكونة كلهـا بكائنـات متنوِّعـة مختلفـة مـن المخلوقـات اللامرئية والخفية الصديقة منها أو العدوة للإنسان، وإنها تشبهه من كافـة النـواحي، فالإنـسان كان يعتقد أن هذه المخلوقات تملك كافة المشاعر والعواطف الإنسانية مـن خـير وشر، ونقـص وضعف، وأن هذه الكائنات يسهل اختراقها وتملُّقها وتمجيدها باسم تعويذة، أو اسم سري، أو صورة، أو تمثال يردُّ ضرر هذه الكائنات عنه[2]. ولقد نسخ كهنة نصوصاً تُتلى في ساعات محددة بالليل والنهار، وبها توجيهات لتأدية الطقوس السِّحْرية الهدف المعترف بـه هـو منـع الـشيطان (أبيب) من هزيمة إله الشمس، الذي ربما تغلَّب عليه أبيب، واستطاع هزيمته، فالإنسان يساعد إله الشمس بفضل هذه التعاويذ من أن يستردَّ إله الشمس قوته، أو سيولد من أبيب مرة أخرى، ولن يستطع المطر والسحب ولا الضباب أن يمنع ضـوءه عـن إنـارة الأرض، وإن تأديـة هـذه الطقوس فعلاً تستحقُّ الشكر والجزاء[3]، وقد بين فصول كتاب متأخِّر يُـدعى (كتـاب سـحق أبيب) نجد فصلاً بعنوان باب حرق (أبيب)؛ أيْ الشيطان يقول:

---

(1) الطوطم والتابو: فرويد، ص 82.

(2) السِّحْر في مصر القديمة، ص 24.

(3) السِّحْر في مصر، ص 87.

تذوَّق الموت أبيب، تراجعْ، وانسحبْ، يا عدوّ رعْ - اسقطْ، ولترتد، ولتسحب، لقد جعلتكَ تتراجع، ومزَّقتكَ إرباً، يفوز رعْ على أبيب، تذوَّق الموت أبيب، عدداً من المرات، تتلو ذلك وفق طقس معين. وإذا أردتَ أن تحطِّم أبيب، اقرأ هذا الفصل على صورة أبيب المرسومة باللون الأخضر على شريحة من ورق البردي، وعلى تمثال شمعي له، ثم تضعه في النار.

لقد كانت بعض الشعوب القديمة كالشعوب اليونانية والرومانية تعد آلهة على شاكلة الإنسان، ففيها الآلهة الجيدة الصالحة، وفيها الآلهة الشريرة، لا؛ بل إنه حتى الآلهة الصالحة نجد فيها جزءاً من الشر الذي يجب على الإنسان استرضاؤه بأشكال مختلفة؛ إمَّا ببناء المعابد، أو التضحيات بأشكالها المتنوِّعة، أو بسكب الخمور، ووضع التماثيل للآلهة؛ لإرضاءها، وإبعاد غضبها وشرروها عن عالم الإنسان.

إن القرآن العظيم قد أبان لنا صورة الشيطان بكافة وكامل جوانبها؛ بحيث لن يصعب على الإنسان المسلم أن يتَّقي شروره بكل بساطة، بغير حاجة إلى ممارسة الشعوذة والسِّحْر والدجل، التي هي نقص في دين الإنسان.

ولو رجعنا إلى منابع الدين الأولى الصافية، وإلى الإسلام في مراحله الأولى، لما وجدنا الآن الأفكار السائدة عن الجن والشياطين والسِّحْر والشعوذة المنتشرة بين الناس، والتي هي ردُّ فعل طبيعي من إنسان يجعل كل الشر مُعلَّقاً على السِّحْر والجن والشياطين، فالمشاكل النفسية والجسدية والاقتصادية للإنسان مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بنفسية وعقلية المواطن العربي، الذي تجاهل القرآن العظيم، وتجاهل الأسس السليمة للدين الحنيف، ومنها التوكُّل الكامل على الله - تعالى - في كل أموره، ولما وجدنا هذا الكمَّ الهائل من مُدَّعي السِّحْر والدجَّالين والمشعوذين الذين يبتزُّون جيوب الناس بالباطل، ويُسبِّبون أضراراً فادحة في شفاء الأمراض الجسدية والنفسية لما يدعون.

لقد ذكرت محطة الجزيرة في إحدى أخبارها منذ شهور أن العالم العربي يصرف حوالي 5 مليار سنوياً على أعمال السِّحْر والشعوذة والدجل، فتصوَّر - أخي القارئ - هذا المبلغ إذا

صُرف على أعمال الخير، هل يبقى جائع؟! أو إذا بُنيت فيه المصانع والجامعات والمستشفيات وغيرها من أعمال الخير، فهل ترى مدى جهل الناس؟!

إن فكرة الشر أو الرزق أو الضرر والنفع المتمثِّلة في أعمال الجن والشياطين واستحضارها وما يمكن أن تُسبِّب لإنسان من ضرر أو نفع في حياتهم، وأجسادهم، وأولادهم، والعلاقات العامة بين الناس، وعلاقة الزوجة بالزوج وبالأولاد، وحتى معالجة العقم، والتجارة، والتعامل، والطلاق، والزواج، وكافة مشاكل الحياة الاجتماعية والاقتصادية، أدَّى إلى انتشار ظاهرة استحضار الجن والشياطين، ومعرفة الغيب لزيادة الرزق، وحماية النفس، وتسبِّب الضرر للآخرين الذين نكرههم بالتالي إلى بروز طائفة طفيلية في المجتمع من السَّحَرَة والمشعوذين والدجالين.

كما أدَّت إلى تثبيط العقل العربي وتغليفه بقشرة وهمية من الخداع والتضليل وحَرْفه عن الأسباب الخفية للمشاكل الكافية في حياته، ومعالجتها بأسلوب صحيح علمي، وحتى ديني صحيح، لا يخرج الإنسان فيه حتى عن إيمانه.

تقول الدكتورة سلوى خمَّاش والدكتور إبراهيم بدران [1]: إن سيطرة مفهوم الشيطان على العقل العربي أدَّى ويؤدِّي إلى فصل الإنسان من حيث تعليل سلوكياته ونمط حياته عن بيئة وواقعه المادي، الذي يقدِّم له تفسيراً مزيَّفاً للواقع، فبدلاً من أن يدرك أنه جزء لا يتجزأ من بيئته بكل علاقاتها، ومؤسساتها، وأن سلوكياته هي - عموماً - تعبير عن هذه البيئة، تؤكِّد فكرة الشيطان أن أعماله منفصلة عن البيئة والمجتمع، وأنه يفعل ما يفعل لأن الشيطان قد فتنه، وأغواه، أو فتن غيره، وأغواه؛ لأن إبْلِيْس قد وجد إلى نفسه سبيلاً.

لقد استُخدم الشيطانُ استخداماً ذكياً من قِبَل الملوك قديماً كسلاح ضد أعداءهم، وضد حركة الجماهير، وضدَّ كل حركة تقدمية إصلاحية، فنجد أنه حتى رجال الدين المسيحي في أوروبا قد استخدموا هذا السلاح ضدَّ العلماء والمخترعين وكافة الجماهير، وكانت تُلقي كلمة واحدة فقط لاتهام أي رجل أو امرأة لاتهامهم بالسِّحْر والشعوذة والتحالف مع الشيطان، حتى

(1) انظر دراسات في العقلية العربية، دار الحقيقة، بيروت، 1979، ص 95.

يُؤخذ إلى غرف التعذيب؛ ليقر أنه متحالف مع الشيطان، وقد انتشرت لفترات طويلة في العصور الوسطى في أوروبا محاكم التفتيش، وغطَّت العقلية الأوروبية بضلالة من الضلالة لعقود طويلة، وذهب ضحيتها كثير من الناس الأبرياء، حتى إن السكان في بعض المناطق أصبحوا هم أنفسهم محاكم تفتيش، يحاكمون مَنْ يشكُّون بتحالفه مع الشيطان، أو ممارسة السِّحْر، وينفِّذون العقاب الإلهي بأنفسهم، ففي عام 1895، اتُّهم متيشل كليرمي بحرق زوجته برجيت في 14 آذار؛ لأنها ساحرة عمرها 27 سنة، أقسمت جوهونا بوركو أنها - أيْ الزوجة - كانت تغلي الأعشاب في إناء معدني على النار، وسألها زوجها باسم الرب والابن والروح القُدُس: إن كانت زوجته حقاً؟! ثم طرحها أرضاً، وصبَّ عليها زيت البارانين، وأشعل فيها النار، وقد ساعد زوجها آخرون (ج رون، وب كنيدي، ووكنيدي) عندما أجبروها على الجلوس في النار لإخراج السِّحْر الذي تملَّكها، وكان زوجها يتلو الكلمات (اخرج معها إلى الخارج) معها يعني الشيطان، وطبعاً؛ حكمت عليهم الحكمة بالسجن [1].

لقد استُخدم - أيضاً - هذا السلاح (سلاح الشيطان) من قِبَل الأمراء والخلفاء في الدولتين الأموية والعَبَّاسية، فها هو الحجاج بن يوسف الثقفي يقول بعد معركة (دير الجماجم): (يا أهل العراق؛ إن الشيطان قد استنبضكم، فخالط اللحم والدم والعصب والمسامع والأطراف والأعضاء والشفاف، ثم أفضى إلى الأفخاخ والأصماخ)، وحين زالت دولة بني أمية رأى العَبَّاسيون أن الأمويين كانوا حلفاء للشيطان، فيقول داود بن علي من فوق منبر الكوفة: (وادعوا الله لأمير المؤمنين بالعافية، فقد أبدلكم الله بمروان عدو الرحمن وخليفة الشيطان المتتبع للسفلة الذين أفسدوا في الأرض بعد إصلاحها [2]، لا؛ بل إن الشيطان قد أصبح أداة للسياسة، ليس فقط في أمور الدولة، بل ضد الفِرَق الدينية بعضها ببعض؛ حيث كل فرقة تعلن أن الأخرى على ضلال، وخلفاء الشياطين، أو أن الشيطان أضلَّهم.

(1) السِّحْر في مصر القديمة، ص 183 - 184 .

(2) كتاب العقلية العربية، ص97 - 98 .

وخلاصة الأمر يجب علينا أن نضع الشيطان والجن في مواضعها الصحيحة كما وضعها القرآن الكريم، بدون تكبير في الصورة، وتحجيم شكلها ودورها وأعمالها في حياة الإنسان، والرجوع إلى القرآن الكريم، الذي أوضح لنا ضعف هذه المخلوقات فيما يخصُّ عالم الغيب والرزق والموت وخدمة المستقبل وغيره من الأمور التي هي بيد الله - تعالى - وحده، الذي لا يشرك في حُكمه أحداً، فنعم المولى، ونعم الوكيل.

المسُّ الشيطاني أو الامتلاك الشيطاني:

هناك كثير من المعتقدات التي كانت سائدة قديماً، وحتى في عصرنا الحالي تقول إن كثيراً من الأمراض المعروفة وغير المعروفة سببها المسُّ الشيطاني، وكلما زادت صعوبة الحالات، وجُهل سببها، ازداد الاعتقاد بالامتلاك الشيطاني؛ حيث إن بعض الأرواح الشريرة والشياطين لديها القدرة على دخول الجسم البشري، واختراقه، وتملُّكه، وإخضاعه لإرادتها الشريرة، وتأثيرها الخبيث.

وممَّا يُدهش أن الشعوب القديمة قد تطوَّرت لديها فكرة الشر المتمثِّلة بالشيطان؛ حيث نجد فكرة المس الشيطاني، والامتلاك بأكمل صورة لها، لا؛ بل قد أوجدوا لها التعاويذ والرُّقى المناسبة لذلك. ولدينا قصة جميلة منقوشة على مسلَّة في معبد الإله خنصو في طيبة، وهي تروي قصة امتلاك الشيطان لجسد أخت زوجه رمسيس التالي (رعْ نفرو) تقول الرواية:

إن أمير بختين قدَّم ابنته البكر الجميلة هدية للملك رمسيس الثاني، فلما رآها الملك أخذها كعروس ملكية، وسمَّاها السيدة الكبيرة، وتزوجها، وبعد فترة من الزمن، في السنة الخامسة عشر من حُكْم الملك، وصل سفير من الأمير بختين، الذي جلب معه هدايا كثيرة إلى الملك والملكة، وقال: لقد جئت - يا سيدي العظيم - من أجل (بنت ـ رانت ـ رشت) الأخت الصغرى لعروسكم رعْ نفرو، فقد أصابها مرض عُضال، أناشد جلالتكم؛ لترسل طبيباً يعالجها.

أمر الملك بإحضار كُتُب (بيت الحياة المضاعف)؛ أيْ المكتبة الملكية، وأن يجيء المتعلّمون (الحُكماء)، واختاروا رجلاً حكيماً اسمه (تحوتي إم حب)، وأمره بالسفر لعلاج الأميرة. وعندما

وصل الكاهن المصري المعالج وجد الأميرة قد تلبَّسها شيطان، أو روح شريرة، وليس بقدرته السيطرة عليه، فلما رأى أمير بختين ذلك، وأن الكاهن غير قادر على شفاء ابنته، أرسل إلى الملك المصري - بتوسُّل - أنْ يرسل إليه إلهاً لمساعدته. وعندما وصل السفير ذهب الملك إلى معبد (خونصو نفرحب)، فناشد الإله خونصو ليرحل إلى بختين؛ ليُخرج الشياطين التي امتلكت روح بنت الأمير، وتمَّ إرسال الإله خونصو (كتمثال) مع الكاهن تحوتب إم حب مرّة أخرى، بعد موافقة خونصو على الطلب، وتمَّ بعث قدرات سحرية مضاعفة أربعة مرات لتمثال الإله، الذي سيذهب إلى الأمير بختين.

واستُقبل التمثال استقبالاً عظيماً، وذهبوا إلى مقر الأميرة لعلاجها وتأدية الطقوس السِّحْرية فيها؛ حيث خرج الشيطان، وتعافت الأميرة تماماً، وصرخ الشيطان للإله المصري قائلاً: مرحباً بمجيئك إلينا أيها الإله العظيم، يا محطِّم سُكَّان الظلمة، بختين مدينتكَ، سُكَّانها عبيدكَ، وأنا خادمكَ، سأرحل حيث أتيتُ، أنا أُمجِّدكَ، هذه هي النهاية التي جئتُ لأجلها [1].

كما نجد في بعض الوثائق المسيحية المبكّرة عدداً من الأمثلة عن التملّك الشيطاني الذي يستسلم فيه الشيطان، الذي اخترق الجسد، وسكن فيه أمام شيطان ذي قوة أكثر من قوته، ولكن الشيطان المطرود يُعادي مَنْ طرده، ويرحل من أمامه، وبه كلّ علامات المهانة والخجل. كما نجد أن الأناجيل قد أوردت كثيراً من معجزات السيد المسيح على كلام في شفاء المسّ الشيطاني والتّملّك الشيطاني:

- ففي إنجيل مَرْقُس، الإصحاح الأول: [**38 فَقَالَ لَهُمْ: «لِنَذْهَبْ إِلَى الْقُرَى الْمُجَاوِرَةِ لأَكْرِزَ هناك أيضاً، لأَنِّي لِهذَا خَرَجْتُ». 39 فَكَانَ يَكْرِزُ فِي مَجَامِعِهِمْ فِي كُلِّ الْجَلِيلِ وَيُخْرِجُ الشَّيَاطِينَ**].

- مَتّى، الإصحاح الثامن: [**16 وَلَمَّا صَارَ الْمَسَاءُ قَدَّمُوا إِلَيْهِ مَجَانِينَ كَثِيرِينَ، فَأَخْرَجَ الأَرْوَاحَ بِكَلِمَةٍ، وَجَمِيعَ الْمَرْضَى شَفَاهُمْ، 17 لِكَيْ يَتِمَّ مَا قِيلَ بِإِشَعْيَاءَ النَّبِيِّ الْقَائِلِ: «هُوَ أَخَذَ أَسْقَامَنَا وَحَمَلَ أَمْرَاضَنَا»**].

(1) السِّحْر في مصر القديمة، ص 184 - 185 - 186 - 187 .

- مَتَّى، الإصحاح الثامن: [28 وَلَمَّا جَاءَ إلى الْعَبْرِ إلى كُورَةِ الْجِرْجَسِيِّينَ، اسْتَقْبَلَهُ مَجْنُونَـانِ خَارِجَانِ مِنَ الْقُبُورِ هَائِجَانِ جِدًّا، حَتَّى لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ يَقْدِرُ أَنْ يَجْتَازَ مِنْ تِلْـكَ الطَّرِيـقِ. 29 وإذا هُمَا قد صَرَخَا قَائِلَيْنِ: «مَا لَنَا وَلَكَ يَا يَسُوعُ ابْـنَ الله؟ أَجِئْـتَ إلى هُنَـا قَبْـلَ الْوَقْـتِ لِتُعَـذِّبَنَا؟» 30 وَكَانَ بَعِيدًا مِنْهُمْ قَطِيعُ خَنَازِيرَ كَثِيرَةٍ تَرْعَى. 31 فَالشَّيَاطِينُ طَلَبُوا إِلَيْـهِ قَـائِلِينَ: «إِنْ كُنْـتَ تُخْرِجُنَا، فَأْذَنْ لَنَا أَنْ نَذْهَبَ إلى قَطِيعِ الْخَنَازِيرِ». 32 فَقَالَ لَهُمُ: «امْضُوا». فَخَرَجُـوا وَمَـضَوْا إلى قَطِيعِ الْخَنَازِيرِ، وإذا قَطِيعُ الْخَنَازِيرِ كُلُّهُ قد انْدَفَعَ مِنْ على الْجُرُفِ إلى الْبَحْرِ، وَمَاتَ في الْمِيَاهِ].

- مَتَّى، الإصحاح التاسع: [32 وَفِيمَا هُمَا خَارِجَانِ، إذا إِنْسَانٌ أَخْرَسُ مَجْنُونٌ قَـدَّمُوهُ إِلَيْـهِ. 33 فَلَمَّا أُخْرِجَ الشَّيْطَانُ تَكَلَّمَ الأَخْرَسُ، فَتَعَجَّبَ الْجُمُوعُ قَـائِلِينَ: «لَمْ يَظْهَـرْ قَـطُّ مِثْـلُ هـذا في إِسْرَائِيلَ!» 34 أَمَّا الْفَرِّيسِيُّونَ فَقَالُوا: «بِرَئِيسِ الشَّيَاطِينِ يُخْرِجُ الشَّيَاطِينَ!»].

- مَتَّى، الإصحاح العاشر: [1ثُمَّ دَعَا تَلاَمِيذَهُ الاثْنَيْ عَشَرَ وَأَعْطَـاهُمْ سُـلْطَانًا عـلى أَرْوَاحٍ نَجِسَةٍ حَتَّى يُخْرِجُوهَا، وَيَشْفُوا كُلَّ مَرَضٍ وَكُلَّ ضُعْفٍ].

- مَتَّى، الإصحاح الثاني عشر: [22 حِينَئِذٍ أُحْضِرَ إِلَيْهِ مَجْنُونٌ أَعْمَى وَأَخْرَسُ فَشَفَاهُ، حَتَّى إِنَّ الأَعْمَى الأَخْرَسَ تَكَلَّمَ وَأَبْصَرَ. 23 فَبُهِتَ كُلُّ الْجُمُوعِ وَقَالُوا: «أَلَعَلَّ هذا هُـوَ ابْـنُ دَاوُدَ؟» 24 أَمَّا الْفَرِّيسِيُّونَ فَلَمَّا سَمِعُوا قَالُوا: «هذا لا يُخْرِجُ الشَّيَاطِينَ إِلَّا بِبَعْلَزَبولَ رَئِيسِ الشَّيَاطِينِ»].

- وفي الإصحاح الثاني عشر: [28 وَلكِنْ إِنْ كُنْتُ أنا بِرُوحِ الله أُخْرِجُ الشَّيَاطِينَ، فَقَدْ أَقْبَلَ عليكم مَلَكُوتُ الله].

- مَتَّى، الإصحاح السابع عشر: [18 فَانْتَهَرَهُ يَسُوعُ، فَخَرَجَ منه الشَّيْطَانُ. فَـشُفِيَ الْغُـلاَمُ مِنْ تِلْكَ السَّاعَةِ].

- وفي لُوقَا، الإصحاح الثامن: [1 وعلى أَثَرِ ذلك كَانَ يَسِيرُ في مَدِينَةٍ وَقَرْيَةٍ يَكْـرِزُ وَيُبَـشِّرُ بِمَلَكُوتِ الله، وَمَعَهُ الاثْنَا عَشَرَ. 2 وَبَعْضُ النِّسَاءِ كُنَّ قد شُفِينَ مِـنْ أَرْوَاحٍ شِرِّيـرَةٍ وَأَمْـرَاضٍ: مَرْيَمُ التي تُدْعَى الْمَجْدَلِيَّـةَ التـي خَـرَجَ منهـا سَـبْعَةُ شَـيَاطِينَ، 3 وَيُوَنَّـا امْـرَأَةُ خُـوزِي وَكِيـلِ هِيرُودُسَ، وَسُوسَنَّةُ، وَأُخَرُ كَثِيرَاتٌ كُنَّ يَخْدِمْنَهُ مِنْ أَمْوَالِهِنَّ].

وأخيراً؛ نجد أن الشياطين حتى وإنْ طُردت من الجسد تعود إلى الجسد نفسه مرة أخرى.

- مَتَّى، الإصحاح الثاني عشر: [43 إذا خَرَجَ الرُّوحُ النَّجِسُ مِنَ الإِنْسَانِ يَجْتَازُ في أَمَاكِنَ لَيْسَ فِيهَا مَاءٌ، يَطْلُبُ رَاحَةً ولا يَجِدُ. 44 ثُمَّ يَقُولُ: أَرْجِعُ إلى بَيْتِي الذي خَرَجْتُ منه. فَيَأْتِي وَيَجِدُهُ فَارِغًا مَكْنُوسًا مُزَيَّنًا. 45 ثُمَّ يَذْهَبُ وَيَأْخُذُ مَعَهُ سَبْعَةَ أَرْوَاحٍ أُخَرَ أَشَرَّ منه، فَتَدْخُلُ وَتَسْكُنُ هناك، فَتَصِيرُ أَوَاخِرُ ذلك الإِنْسَانِ أَشَرَّ مِنْ أَوَائِلِهِ! هكذا يَكُونُ أيضاً لِهَذَا الْجِيلِ الشِّرِّيرِ»].

ونجد ذلك - أيضاً - في لُوْقَا الإصحاح الحادي عشر: 24 - 26، مَتَّى 23، مَرْقُس الإصحاح الأول 39، لُوْقَا الإصحاح الرابع 44، مَرْقُس الإصحاح الأول 29 - 31، لُوْقَا الإصحاح الرابع 31 - 73، مَرْقُس الإصحاح الخامس 1 - 20، مَتَّى الإصحاح الثامن 28 - 34، لُوْقَا الإصحاح الثامن 26 - 39.

التَّملُّك الشيطاني في الإسلام:

وأمَّا في الإسلام؛ فقد ورد عن رسول الله ﷺ ما يفيد بأن الشيطان يمكن أن يلتبَّس الإنسان، ويدخل إلى جسده، وتظهر عليه إمارات الصرع، أو الجنون، أو غير ذلك من علامات غير طبيعية، ولقد أورد الدارقطني عن سعيد بن جبير عن ابن عَبَّاس رضي الله عنهما: (أن امرأة جاءت بابن لها إلى النبي ﷺ ، فقالت: يا رسول الله؛ إن ابني هذا به جنون، وإنه يأخذه عند غذائنا، وعشائنا، فمسح رسول الله ﷺ صدره، ودعا له، فتفتفه (تقيأ)، فخرج من جوفه مثل الجرو الأسود، فسعى). رواه الترمذي في مسنده.

وما رواه الإمام أحمد وأبو داوود وأبو القاسم الطبراني من حديث أمّ أبان بنت الوازع عن أبيها: (أن جدّها انطلق إلى رسول الله ﷺ بابن له مجنون، أو ابن أخت له، فقال: يا رسول الله؛ إن معي ابني أو ابن أخت لي مجنون، أتيتُكَ به لتدعو الله - تعالى - له. فقال: (ائتني به). قال: فانطلقتُ به إليه وهو في الركاب، فأطلقت عنه، وألقيتُ عليه ثياب السفر، وألبستُهُ ثوبَيْن حسنَيْن، وأخذتُ بيده، حتى انتهيتُ به إلى رسول الله ﷺ . فقال: أدنه مني، واجعل ظهره مما يليني. قال: فأخذ بمجامع ثوبه من أعلاه وأسفله، فجعل يضرب ظهره، حتى رأيت

بياض إبطَيْه، ويقول (اخرجْ عدوَّ الله). وأقبل ينظر نَظَر الصحيح، وليس بنظر الأول، ثم أقعده رسول الله ﷺ ، فدعا له بماء، فمسح وجهه، ودعا له، فلم يكن بعد دعوة رسول الله ﷺ يفضل عليه. رواه أحمد في مسنده.

وفي كتاب ابن عساكر في الثاني من كتاب الأربعين الطوال حديث أسامة بن زيد قال: حججنا مع رسول الله ﷺ في حجته التي حجّ فيها. فلما هبطنا بطن الروجاء، عارضتْ رسولَ الله امرأةٌ تحمل صبياً لها، فسلَّمتْ على رسول الله ﷺ وهو يسير على راحلته. ثم قالت: يا رسول الله؛ هذا ابني فلان، والذي بعثكَ بالحقِّ ما أبقى من خفق واحد من لدن إني ولدته إلى ساعته هذه. فحبس رسول الله ﷺ الراحلة، ثم اتّسع إليها، فبسط إليها، وقال: هاتيه، فوضعتْهُ على يدَي رسول الله ﷺ ، فضمَّه إليه، فجعله بينه وبين واسطة الرجل، ثم تفل في فيه، وقال: اخرج يا عدوّ الله، فإني رسول الله، ثم ناولها إياه، فقال: خذيه، فلن ترين منه شيئاً تكرهينه.

وهكذا نرى أن أحاديث رسول الله ﷺ أظهرت لنا - بشكل قاطع - عن أن الشيطان يمكن أن يمسَّ الإنسان، ويدخل جسده، ولكنْ؛ كما نرى أن الحالات هي حالات نادرة وقليلة جداً في السيرة النبوية الشريفة، وهي حوادث منفردة، لا تُشكِّل ظاهرة خطيرة، كالتي نراها الآن عند كثير من الناس.

لقد اختلف بعض علماء الأمة على هذا الأمر، فآمنت جماعة، وأنكرت جماعةٌ ذلك الأمر، فالمعتزلة أنكروا موضوع الجان، ودخول الجنّ في بدن المصروع لعدم جواز دخول روحَيْن في جسد واحد، مع إقرارهم بوجودهم، كالجبائي، وأبو بكر محمد بن زكريا الطبيب، وغيرهما.

بينما نجد أن أبا الحسن الأشعري في مقالات أهل السُّنَّة والجماعة يقول إن (الجن تدخل بدن المصروع) كما قال الله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّۚ ﴾ البقرة 275، وهكذا نجد كثيراً من الآراء حول هذه المسألة مدعومة بالبراهين عن استحالة دخول الجنّ إلى الأجسام الإنسانية مهما كانت أحوال

أجساد الجنّ رقيقة أم كثيفة. لا؛ بل إن بعضهم جعل المُنكِرَ لدخول الجن والشياطين إلى أجسام بني آدم [1] بمنزلة الكُفْر بالله تعالى.

يقول أبو عثمان عمر بن عبيد: إن المُنكِـر لـدخول الجـنّ في أبـدان الإنـس دهـري؛ أيْ لا يعترف بوجود الله تعالى، أو يجيء منه دهري؛ أيْ سوف يُولَد منه دهري.

وقال القاضي عبد الجبَّار: مَنْ أنكر هذه الأخبار كان رادَّاً، والرّادّ على الرسول ﷺ ما لا سبيل إلى علْمه إلا من جهة كافر.

وقال عبد الله بن أحمل بن حنبل: قلـتُ لأبي: إن قومـاً يقولـون إن الجـنّ تـدخل في بـدن الإنس، قال: بابني؛ يكذبون، هو ذاتيكم عن لسانه؛ أيْ مَـنْ يقـول ذلـك قـد دخلـه شـيطان يتكلّم بهذا الكلام. وأورد القاضي أبو الحسن بن القاضي أبو يعلى بن الغراء الحنـبلي في كتـاب طبقات الإمام أحمد عن أحمد بن حنبل عبد الله قال: كنتُ في المسجد مع أبي؛ أيْ مع أحمـد بـن حنبل، فأنفذ إليه المتوكّل صاحباً له يُعلمـه أن لـه جاريـة لهـا صرع، وسـأله أن يـدعو الله لهـا بالعافية. فأخرج له أحمد نعلي خشب بشراك من خوص للوضوء، فدفعه إلى صاحب له، وقال له: تمضي إلى دار أمير المؤمنين، وتجلس عند رأس الجاريـة، وتقـول لـه: يعنـي للجنـي الـذي يسكن الجارية، قال لكَ أحمد: أيّما أحبّ إليكَ، تخرج من هذه الجارية، أو تُـصفَع بهـذا النعـل سبعين؟ فمضى إليه، وقال له مثل ما قال الإمام أحمد، فقال المارد الجني عـلى لـسان الجاريـة: السمع والطاعة، لو أمرنا أحمد أنْ لا نقم بالقرآن ما أقمنا بـه، إنـه أطـاع الله، ومَـنْ أطـاع الله أطاعه كلّ شيء. وخرج من الجارية، وهدأت الجارية، ورُزقت أولاداً. فلمّا مات أحمد عاودها المارد، فأنفذ المتوكّل إلى صاحبه؛ أيْ بكـر المـروزي، وعرَّفـه الحـال، فأخـذ المـروزي النعـل، ومضى إلى الجارية، فحاكاه العفريت على لسانها: لا أخرج من هذه الجارية، ولا أطيعـكَ، ولا أقبل منكَ. أحمد بن حنبل أطاع الله، فأُمرنا بطاعته. [2]

---

(1) 1 – 2 - 3، الشبلي، ص 133 – 134 - 135.

(2) الشبلي، آكام المرجان، ص 134.

وهكذا لو بحثنا في كافة الكُتُب التراثية عبر القرون العديدة الماضية لوجدنا الكثير من القَصَص التي تُعبِّر عن ظاهرة التملّك الشيطاني. كما نجد أن الظاهرة قد عبرت إلى أوروبا، فأودت بحياة الكثير من الناس، وخاصة المفكّرين والعلماء، وقُتل كثير من الأبرياء بحجّة التملّك الشيطاني، وأُحرقت الكُتُب في الساحات العامة، وأُحرق الناس أحياء بدعوى السِّحْر والتملّك الشيطاني، وكان يكفي بلاغ صغير إلى رجال الدِّين ضدّ أيّ من الناس حتى يُؤخذ إلى غُرف التعذيب، فيرى فيها الموت أصنافاً، وأنواعاً، وما لا يخطر على بال، ولا يتحمّله جسد إنسان، فيُضطرّ إلى الاعتراف الكاذب بأنه على علاقة مع الشيطان؛ لينجو من الموت.

وماتزال هذه الظاهرة - ظاهرة المسّ والتملّك الشيطاني - موجودة في كل أنحاء العالم، ولكنْ؛ بشكل قليل وضئيل، ولا تُشكّل ظاهرة خطرة، علماً أن بعض مَنْ عالجها أو مَنْ يقوم بمعالجتها اليوم هم من رجال الدِّين الذين أثبتوا صحّتها.

لقد عبَّر البابا بولس الثاني في خطبة له عام 1972 عن معارضته للأقوال القائلة بعدم وجود الشيطان، وصرَّح - بحزم - بأن الشيطان موجود فعلاً، فقد قال: وإنَّ مَنْ يرفض الإقرار بوجود الشيطان هذه الحقيقة المرعبة المخيفة يخرج عن تقاليد العهد القديم والعهد الجديد [1] ويقول أحد الذين عالجوا بالمسّ الشيطاني الأب هو موالي الطبيب الخاص لأبرشية باريس: جاءني شابّ يرجوني في استشارة طبية. كان الشابّ وسيماً، ذا شخصية جذابة. تكلَّم معي بهدوء ورزانة كعاقل حكيم، ولكنْ؛ أُصيب بنوبة غريبة، أوقعت الذعر في نفسي، وخرائصي. لقد تحوّل الشاب الناعم الهادئ إلى عجوز رقئ في الثمانين من عمره، تجعَّد وجهه، وتهدّل، وأخذ يزعق بشكل مثير للغاية، وفجأة؛ خرج الزبد من فمه وكأنه شلال، وبطريقة لم أرَ لها مثيلاً طيلة حياتي كطبيب. ويتابع، فيقول: لقد أدرك الشيطان مؤخّراً من خلال محاولاتي لإنقاذ الشابّ بأنْ لابد أن يتخلَّى عن فريسته عاجلاً أم آجلاً، لذلك؛ فقد استدار الشابُّ فجأة، وغادر العيادة. [2]

---

(1) الجن والشياطين: رياض العبد الله، ص169.

(2) الجن والشياطين: رياض العبد الله، ص 169.

والآن؛ إن ما ورد من ظاهرة المسّ الشيطاني كما أوردناه عبر الصفحات الماضية أبرزت لنا أن الإنجيل قد أقرّ بظاهرة المسّ الشيطاني، كما أن أحاديث الرسول ﷺ - إنْ ثبت صحتها - تقرّ لنا بظاهرة المسّ الشيطاني، ولكننا بعد الإنجيل، وبعد أحاديث الرسول ﷺ يجب علينا توخّي الحذر بشدّة فيما رُوي في الكُتُب السابقة عن هذه الظاهرة، ويمكننا تعليل ظاهرة معالجة المسّ الشيطاني عند السيد المسيح عليه السلام وعند سيدنا محمد ﷺ بأنه إثبات للنبوة، وللرسالة، وإحدى المعجزات التي أيّد الله - سبحانه تعالى - رسوله المسيح عليه السلام بها، مثلها مثل إحياء الأموات وشفاء الأكمه، والأبرص، وغيرها، وكإحدى المعجزات التي أيّد الله - سبحانه وتعالى - رسوله محمد ﷺ، مثلها مثل انشقاق القمر، والنار، والطعام، وشفاء الأمراض، وغيرها، وهي ظاهرة ربما لا تتعدَّى دائرة المعجزات فقط لرُسُل الله عليهم السلام، وبعض الكرامات لأوليائه الصالحين، أمَّا أنها كظاهرة موجودة في الحياة؛ فهذه تحتاج إلى إثبات علمي وطبي مُوثّق بشكل رسمي؛ لتثبت لنا صحة هذه الظاهرة، وبالتالي؛ فيجب عدم الأخذ بها، حتى تثبت صحّتها، منعاً لاستخدام هذه الظاهرة ستاراً يتّخذه المشعوذون والدجالون والسَّحَرَة والمُدَّعون لسَلْب الناس أموالهم، والضحك على عقولهم بحجّة شفائهم من هذه الظاهرة.

وإننا نجد - منطقياً وعقلياً - أن الله - سبحانه وتعالى - لو حكَّم الشياطين في عباده من الناس لبطلت الحياة، وأُوقفت الشرائع السماوية، ولما عمرت الأرض بساكنيها.

ولقد وافقت وزارة الصحّة البريطانية على مشروع القرار الطبي القاضي بعقد جلسات لاستخراج الأرواح الشرّيرة للمصابين مع عدد كبير من الكَهَنَة والأطباء الأخصائيين، وبعد عدّة جلسات أخرجوا كثيراً من المصابين بالمسّ الشيطاني من مستشفى المجانين في بريطانيا 1980. لكنْ؛ من هذه الناحية يجب الحذر من الدّجّالين والمشعوذين الذين يمثّلون هذه الظاهرة لاستجلاب أموال الناس، والتغرير بهم.

لقد بثَّ التلفزيون المصري في إحدى محطَّاته (دريم) حلقة عن المسّ الشيطاني منذ فترة قريبة، (2005)، وحضرها أطباء وعلماء نَفْس وشيوخ دين، وجاؤوا برجل مصاب بالمسّ الشيطاني، وحاول كلّ - بدوره - أنْ يخفّف عن الرجل المسكين، الذي كان يتلوّى كمُصاب

بالصرع، ويأتي بحركات تشنّجية عنيفة. ثم جاء دور الحوار، فنُوقشت الحالة، وأعطى كلّ رأيه، وكانت المفاجأة الكبرى عندما تبيَّن أن الرجل كان يُمثِّل حالة المسّ الشيطاني، وأنه من كبار المُحتالين في مصر، الذين قاموا - على مرّ سنوات - بممارسة هذه اللعبة أمام الناس، وكانوا يُشكّلون فريقاً لهذا العمل لسحب أموال الناس من جيوبهم، وأدّى إلى اعترافات مثيرة، بعد أن أعلن هذا الرجل توبته، وأظهر طُرُق الاحتيال، وأنه احتال على كثير من الناس بهذه الطُّرُق، ووصلوا إلى صفوة المجتمع المخملي، ومارسوا عمليات لا تُوصَف إلا بالقذارة.

السِّحْر والدِّين:

السِّحْر والدِّين عند الإنسان البدائي:

يشير مالينوفكسي العالم الاجتماعي في بحثه المُهمّ عن (السِّحْر والعلْم والدِّين) تلك الخرافة التي التصقت بالإنسان البدائي، والتي يصفه بالافتقار إلى الدِّين والأخلاق والعلْم، فيقول في مستهلّ بحثه: (لا يوجد أناس مهما كانوا بدائيين دون دين أو سحْر)[1].

وأمّا عن السِّحْر؛ فيقول: إنه يفيد في عبور الثغرات الخطرة في كلّ مسعى مُهمّ، أو موقف حرج، إنه يُمكِّن البدائي من الحفاظ على توازنه وتكامله العقلي في نوبات الخطر، وفي انفعالات الكراهية، وعند اليأس والقلق، ويُعبِّر عنه في عبارة موجزة (تجسيد للحماقة المُتسامية للأمل)[2].

إن الاعتقاد في الكائنات الروحية قد نبع من التفسير الخاطئ للأحلام والرُّؤى (الهلاوس)، وحالات الغيبوبة، والظواهر المشابهة، التي حيَّرت الإنسان البدائي، ولم يجد لها تفسيراً. ثم وقد اهتدى الإنسان البدائي اللاهوتي إلى تمييز روح الإنسان عن الجسد، وأن الروح تستمرّ في الوجود بعد الموت؛ لأنها تظهر في الأحلام، كما أنها تؤثّر - بشكل ظاهر - في المصائر الإنسانية،

(1) السِّحْر والعلْم والدِّين عند الشعوب البدائية، ص1- 2، تأليف برنسيلا ومالينوفسكي، ترجمة فيليب عطية.
(2) السِّحْر والعلْم والدِّين عند الشعوب البدائية، ص1- 2، تأليف برنسيلا ومالينوفسكي، ترجمة فيليب عطية.

وهكذا نبع الاعتقاد في الأشباح وأرواح الموتى في الخلود وفي العالم الآخر، والبدائي خصوصاً لديه الميل إلى تخيّل العالم الخارجي على صورته، وحيث إن الحيوانات والنباتات والأشياء تتحرّك وتعمل وتتصرّف وتساعد الإنسان، أو تفوقه، فلابد أن لها أرواحاً. [1]

لقد كان الإنسان البدائي يعتقد اعتقاداً جازماً بأنه يستطيع أن يسيطر على الطبيعة مباشرة، ويستطيع أنْ يسيطر على عالم الغيب والجن والشياطين والرزق بواسطة السِّحْر، فقط إذا عرف القوانين السِّحْرية.

إن السِّحْر عند الإنسان البدائي ليس مجرد مذهب، أو طريقة، أو رأي، لكنْ؛ أسلوب سلوكي يمتزج بدقائق الحياة اليومية، وأعمال الصيد، والولادة، والتقاليد الاجتماعية ، ولا يتحرّر البدائي مطلقاً من تهديد الجوع حتى بأفضل الظروف؛ حيث إن الوفرة بالنسبة إلى البدائي تعطيه الإحساس أكثر بالفعالية الإلهية، لذلك نجده يشارك الآلهة بأضاحي الطعام مع أرواحه، وبالتالي؛ فإنه يشاركهم بالقوى الخيرة للعناية به.

وفيما نرى أن فرويد يقدّم في كتابة (الطوطم والكابو) [2] نظرية جديدة عن السِّحْر تختلف عما أوردناه عند الشعوب البدائية، هذه النظرية التي تُسمّى (الأرواحية والسِّحْر وطغيان الأفكار)، فهي ترى أن الشعوب البدائية كانت تنظر إلى العالم الخارجي على أنه مسكون بالأرواح الخيرة والشريرة، والتي تنتسب إلى أرواح شياطين وجنّ، وهي المسؤولة عن التّسبّب في حوادث الطبيعة، وهو يرى أن السِّحْر قد سبق مرحلة الدِّين، ثم مرحلة العِلْم.

ويُفرّق فرويد ما بين السِّحْر كحقيقة، والشعوذة كأسلوب مختلف عن السِّحْر، فيُعرّف الشعوذة على أنها هي (فنّ التأشير على الأرواح) من خلال معاملتها كالبشر في نفس الظروف، عن طريق تهدئتها، واسترضائها، وتخويفها، وسلب قوّتها، أما السِّحْر؛ فهو رَوْحَنَةُ الطبيعة.

لقد أوردنا هذه المثالَيْن على نظريات تطوُّر السِّحْر عند الشعوب البدائية، والتي تتمحور جميعها إلى وضع الإنسان القديم، وجهله بالطبيعة، وخوفه ممَّا حوله من العالم، الذي لا

---

(1) السِّحْر والعلْم والدِّين عند الشعوب البدائية، ص1- 2، تأليف برنسيلا ومالينوفسكي، ترجمة فيليب عطية.

(2) الطوطم والكابو، ص 101، ترجمة أبو علي ياسين، دار الحوار، 1983، اللاذقية، ونشأة الدِّين، علي سامي النشار، مركز الإنماء الحضاري، حلب، ص 31.

يفهمه، وخوفه - بالدرجة الأولى - من الموت، هذا اللغز الذي ليس له حلّ في نظره، ولا ينظر إلى السِّحْر إلا أنه تابع عن أفكار وتصميم الإنسان البدائي، وليس كشيء خارجي عنه.

ولكن علماء الاجتماع جاؤوا بنظريات جديدة مخالفة لفرويد وغيره من علماء النفس، واستخلصوا نتائج مختلفة عبر دراستهم كبعض الشعوب البدائية الموجودة في العصر الحديث، وقاموا بدراستها، فظهر المذهب الحيوي، وتبنَّاه العالمان تيلور وسبسر؛ حيث ذهبا إلى القول بأن أقدم دين في الوجود هو الاعتقاد في الأرواح، وعبادتها، ومنها الجنّ [1]، ثم جاء علماء المذهب الطبيعي، ويمثّله عالمان من أكبر العلماء؛ هما ماكس مولر، وموهن، بنظرية مختلفة عن المذهب الحيوي؛ حيث يعتقد مولر بأنه ينبغي أن يبدأ الدِّين بتجربة حسِّية؛ لكي يأخذ مكانه، أو لا شيء ما لم يكن من قبل في التجربة[2]. ويرى دور كايم: أن السِّحْر كالدِّين يحتوي عقائد، وعبادات، وله كل مظاهر الدِّين المختلفة؛ من حفلات قرابين، وصلوات، ثم إن السِّحْر نفسه امتزج بالدِّين امتزاجاً شديداً[3].

ويرى الدكتور ريموند برنس - الذي عاش فترة طويلة مع قبائل اليوروبا البدائية، ودرس أبناءها - أن السِّحْر عملية جماعية يشارك بها كلّ أفراد القبلية عندما يقوم الساحر - ساحر القبلية - ببعض الطقوس السِّحْرية لمعالجة رجل أصابه المسّ الشيطاني؛ حيث يشارك جميع أفراد القبلية بهذه الطقوس.

السِّحْر عند الشعوب القديمة:

لقد تطوّر السِّحْر بتطوُّر دين الإنسان البدائي قديماً من عبادة الطبيعة كما يراها، وعبادة الأسلاف، وأرواح الموتى، والخوف من الموت، بتطوُّر المجتمعات الحضارية الأولى؛ كاليونان، والرومان، وحضارات ما بين النهرَيْن، والمصريين القدماء.

---

(1) نشأة الدِّين، علي سامي النشار، ص 31.

(2) نشأة الدِّين، ص 61.

(3) نشأة الدِّين، ص 81.

فنجد أن الآلهة اليونانية القديمة والرومانية مثّلت الِّدين إلى مجتمع يشبه المجتمع الإنساني بكافة طبقاته، وشرائحه، فالآلهة اليونانية القديمة في مجتمع الأولمب تمثّل الإنسان شكلاً ومضموناً، وتحتوي على كافة نزعات الإنسان الشهوانية والغرائزية السيئة والخيِّرة على حدّ سواء، فهي تشبه الإنسان شكلاً وقالباً، وربما هي أسوأ من الإنسان في كثير من المواقف، ولا تختلف عن الإنسان سوى أنها خالدة، وتعيش في السماء.

وكان للسِّحْر طقوسه الخاصة والمؤثّرة التي يتشارك فيها مع الدِّين، ويدرأ بها عن نفسه غضب الآلهة بما يقدّمه لها من طقوس، وأضاحي؛ لكي يرضي بها هذه الآلهة، وكان أشهر مركز في اليونان كلها موجوداً في مدينة دلفي للتنبُّؤ والكَهَنَة والعرافة، وكانت كاهنة دلفي من أشهر الكَهَنَة والعرَّافين في بلاد اليونان.

لقد امتزج السِّحْر في بلاد اليونان والرومان بكافة الثقافة الموجودة عندها، حتى أصبح جزءاً من التراث الشعبي، وتُعدُّ قصة أوليس مع الساحرة (كبركة) نموذجاً مثالياً عن انتشار معتقدات السِّحْر والإيمان بها بين الناس قديماً في اليونان. وتُعدُّ (كبركة) أشهر الساحرات عند اليونان، فقد كانت ابنة هيليوس من الحورية بيرسيس، وقد مارست السِّحْر، وأتقنت صنع العقاقير والسموم والأشربة التي تحوِّل الإنسان من هيئة إلى هيئة أخرى، وطبَّقت إحدى تجاربها - كما تروي الأسطورة - على زوجها، فمات مسموماً، وهربت على عربة الشمس، حتى استقرت في جزيرة إيبا. وقد حوَّلت الملك بيكوس الذي رفض حبّها إلى طائر، ووصلت من الإتقان أنها حوَّلت الفتاة سكيلا إلى وحش فظيع؛ لأنها كانت محبوبة الإله غلوكوس. وتقول الأسطورة عن قدرتها أنها كانت تستطيع إنزال النجوم من السماء، وقد مرّ بها أوليس، ونجا بفَضْل عشب أرسله إليه الإله هرمس، ومازال، حتى أرغمها على إعادة أصحابه التي سحرتهم إلى خلقتهم البشرية، بعد أن كانوا خنازير [1]، ولقد انتشر السِّحْر في بلاد الرافدَيْن كما هي الحال في مصر القديمة انتشاراً واسعاً، وارتبط مباشرة بآلهة الشرّ؛ يقول ابن خلدون في مقدّمته: (وأمَّا وجود السِّحْر في أهل بابل؛ فكثيراً ما نطقت به الأخبار، وكان

(1) جمع الأساطير اليونانية والرومانية، إصدار وزارة الثقافة، 1982، ص 363.

للسِّحْر في بابل ومصر أزمان بعثة موسى عليه السلام أشواق نافعة، ولهذا؛ كانت معجزة موسى من جنس ما يدعون ويتناغون فيه، وبقي من آثار ذلك في براري مصر شواهد دالَّة على ذلك، ثم يصف مشاهدته شخصياً لذلك[1].

لقد انتشرت الشعوذة والسِّحْر في مصر قديماً انتشاراً كبيراً، وكان جزءاً من الديانة المصرية القديمة، لا؛ بل إنه جزء من طقوس الموتى، وكان إبعاد السَّحَرَة والسِّحْر عن أجساد الموتى؛ حيث إن الموت هو الظاهرة الأهمّ شمولية عند المصريين، ولما لها من اهتمام في كبير في حياة المصري، فيمكن القول: إن المصري قديماً (كان يعيش لكي يحضر أمر موته). لقد كشفت الآثار والدراسات التي قام بها العلماء على الآثار المصرية القديمة إيمان المصريين القدماء بالسِّحْر بشكل قوي وفعَّال ومُتعدِّد ومتطوّر من استخدام الأسماء السِّحْرية إلى الرقيات والتعويذات والأشكال والصور والرسوم السِّحْرية، وغيرها، والتي سيطرت على عقول المصريين، على الرغم من التقدّم الحضاري المادّي للحضارة المصرية القديمة.

وكان هدف السِّحْر المصري أن يعطي الإنسانَ قدرات هائلة من القوة والقدرة لإجبار القوى الصديقة والمعادية - الخيِّرة والشريرة في آن واحد - لكي تنفّذ رغبات الإنسان.

وعبر تطوُّر السِّحْر خلال الزمن تحلَّل هذا السِّحْر إلى الشعوذة والشيطانات والعرافة، وعُدَّ الذين يمارسونه أتباعاً للشيطان، وخَدَمَاً لقوى الظلام وضَّاعة للسِّحْر الأسود الضارّ، بالإضافة إلى السِّحْر الأبيض[2]، ويمكننا القول إن كثيراً من الأخطار والطقوس السِّحْرية قد تسرَّبت إلى الشعوب المجاورة من المصريين القدماء، وأثَّرت فيهم.

وربما سوف نتوسّع في دراسة السِّحْر عند المصريين لما له علاقة بالقرآن الكريم وقصة موسى عليه السلام وفرعون والسَّحَرَة. ويروي لنا كتاب الموتى عن ابن الملك خوفو (3800 ق. م) ويُدعى هيرو تاتاف، الذي يحدِّث الملك عن موضوع السِّحْر والقوى السِّحْرية التي يمتلكها

---

(1) مقدمة ابن خلدون، ص 552.

(2) السِّحْر في مصر، ص 40.

رجل اسمه تيتا سنفرو، الذي يستطيع أن يُعيد للجسم رأساً انفصل عنه، وكيف يجعل الأسد يتبعه وأنفه في الأرض، ويُعرِّف عدَّة أدوات السِّحْر[1].

وتُتابَع القصة بالبحث عن الرجل الذي يأتي إلى بلاط الملك خوفو، ويقدّم عرضه المدهش للملك، فقال خوفو: أَ تعرف كيف تُعيد الرأس المقطوعة إلى جسدها حقّاً ؟ أجاب العجوز: نعم؛ بكل تأكيد، يا سيدي الملك. فقال خوفو: أحضروا سجيناً لكي أعاقبه بنفسي، لكنَّ تيتا أجاب: كلا، يا سيدي الملك؛ لا تفعل هذا بإنسان، ولكنْ؛ ببعض الحيوانات المستأنسة، فأحضروا له أوزة، فقطعوا رأسها، وأُلقي بجسم الأوزة غرباً، ورأسها شرقاً، فوقف تيتا، وتلا بعض الكلمات السِّحْرية، فتحرَّك الجسد، وتحرَّك الرأس، واقتربا من بعضهما البعض، حتى التحمت الرأس بمكانها من جسد الطائر، ثم جاؤوا له بثور [2]، فقام بنفس الفصل. هذه القصة تُبيِّن لنا قدم انتشار السِّحْر في مصر منذ أيام السلالات الأولى، وفراعنة في مصر، وقبل سيدنا موسى عليه السلام بزمن طويل. ولقد استخدم المصريون القدماء كافة الأدوات السِّحْرية، والتي مايزال يُستخدم بعض منها في السِّحْر الأسود حتى الآن؛ كالتماثيل السِّحْرية.

وتُروى لنا قصة من خلال مؤامرة ضدّ رمسيس الثالث حوالي (1200 ق. م)؛ حيث تآمر عدد من المسؤولين الكبار ومسؤولي الخزانة الملكية وبعض الكَهَنَة ضدّ الملك؛ لتنحيته عن الحُكْم، ولكنْ؛ بدلاً من جعل الأمر كمؤامرة عسكرية استخدموا فيها السِّحْر وسيلة للتآمر؛ حيث قام أحد المساهمين في المؤامرة وحصل على قوة سِحْرية من كتاب سِحْري، وجلس يصنع تماثيل رجال من الشمع، وحمولات منقوشة بكلمات القوة السِّحْرية، وسُرِّبَت إلى القصر الملكي، وذلك لأذية الملك. تقول القصة (كلّ الأشياء المرعبة وكلّ الخبائث التي تصوّرها قلبه قام بها الساحر ككلّ جرائم عظمى في حقّ كلّ إله وكلّ الآلهة) [3]، واكتُشفت المؤامرة، وكان جزاء الجميع الموت.

---

(1) السِّحْر في مصر، ص 40.
(2) السِّحْر في مصر، ص 41.
(3) السِّحْر في مصر، ص 48.

يقول واليس بدج: إن القصة المذكورة تفيد بأن كُتُب السِّحْر كانت موجودة في مكتبة الملك نفسه، وتحتوي على كافة الممارسات السِّحْرية، واستخدم المصريون تماثيل الشمع - أيضاً - لطرد الشياطين بعد إلقاء هذه التماثيل المكتوب عليها اسم الشيطان وأبوه وأمه وأطفاله، ويُربط بها شعر أسود، ويلقيها على الأرض، ويدوسها بقدمه اليسرى، ويمزّقها بحربة حجرية، وبعدها؛ يُلقيها في النار(1).

ومن بردية في العهد البطلمي وُجِدَتْ بعض الحقائق المثيرة المهمّة عن المهارة الكبيرة في عمل السِّحْر، وعن معرفة الوصفات السِّحْرية التي امتلكها أمير يُسمَّى (ستيناو وكيم اوست)؛ حيث يُركِّب الصيغ السِّحْرية، وذلك بمعرفة كُتُب من مكتبة الكُتُب السِّحْرية، وقد كان يتحدّث عن هذه الأشياء أمام أحد رجال الملك، فضحك منه، فأجاب ستيناو: لو أردتَ أن تقرأ بنفسكَ كتاباً في القوى السِّحْرية تعالَ معي، وسوف أريكَ إياه، لقد كتبه توت بنفسه، وفيه وصفتان: الأولى تسحر السماءَ والأرضَ والجحيمَ والبحرَ والجبالَ، وسترى بها كلّ الطيور والزواحف والأسماك، وسترى الأسماك تظهر على سطح المياه، وأمَّا الوصفة الثانية؛ تجعل الإنسان إنْ كان في القبر يأخذ شكله الذي كان على الأرض حياً.

ويتبع ذلك مغامرة مثيرة بالبحث عن الكتاب السِّحْري، ذي الوصفات السحرية الهائلة، ويجده ضمن صندوق محروس من قِبَل أفاعي كبيرة هائلة الحجم، ثم يأتي بالكتاب، ويقرأ التعاويذ السِّحْرية، فيقول: ثم قرأ إحدى الوصفتَيْن اللتَيْن بداخله، فَسَحَرَ السماء، والأرض، وعرف أسرارهما(2) كما أن لمعرفة السماء أهمية كبيرة في عمليات السِّحْر والقدرات السِّحْرية، فقد اعتقد المصريون بأنه إذا عرف إنسان اسم إله، أو شيطان، فناداه به، فإن الإله أو الشيطان سيستجيب لأوامره، وكذلك معرفة أسماء الناس؛ لأن الاسم هو جزء من روحه، وجزء من قرينه (كا)، ويؤكّد ذلك نصّ منقوش على الجدران الداخلية لهرم بيبي الأول (3200 ق. م)(3).

---

(1) السِّحْر في مصر، ص 84 - 90.

(2) السِّحْر في مصر، ص 132 - 133 .

(3) نلاحظ اليوم في هذا القرن أهمية معرفة اسم الشخص، واسم أمّه لمعرفة طالعه، وبرجه، ومستقبله. ويمكن إلقاء نظرة على محطّات التلفزيون صباحاً للتأكّد من ذلك.

إن مَنْ يقرأ تاريخ مصر القديمة - ديانته، آلهته - يجد أن الشعب المصري القديم شعب مُتديّن، كان يؤمن بكافة الحكايات، والأساطير، والطقوس السِّحْرية، وغير السِّحْرية، المنتشرة آنذاك، والتي طبّقوها في عملهم، وعبادتهم، وأعطتهم شهرة واسعة بأنهم على معرفة بعُلُوم السِّحْر، الذي سمّاه المُؤرّخون الإغريق (بالعلم الغامض)، وأنهم أكثر الشعوب القديمة تعلّقاً بالوهم والخرافة، ونحن لا نستطيع مقارنة هذه المعتقدات الآن، وقياسها على زمننا هذا أبداً.

السِّحْر عند العرب في الجاهلية:

تورث السِّحْر في الشرق بشكل عامّ في بلاد الرافدَيْن، وبلاد الشام، كإشارات توارثتها الأجيال المتعدّدة عبر التاريخ، فقد كان معروفاً في هذه البلاد منذ قديم الزمن من مصر، إلى بلاد فارس، عبر بلاد الشام، فالجزيرة العربية، فاليمن؛ حيث تسرَّبت الثقافات بعضها ببعض عبر التجارة، والهجرة، وغيرها من العوامل. ولقد كان معروفاً بالجزيرة العربية قبل ظهور الإسلام، وإن عرب الجاهلية كانوا يعرفون السِّحْر والشعوذة التي كان يقوم بها الكُهَّان، والعرّافون، وغيرهم، إلا أن طبيعة الجزيرة العربية، وطريقة المعيشة فيها، وطبيعة الحياة الجغرافية الصحراوية، فرضت على القبائل العربية التنقّل والبداوة من مكان إلى آخر، لذلك؛ فإننا نجد أن العرب قبل الإسلام آمنوا بالهواتف من الجان، والشياطين، والغول، والسعلاة، وغير ذلك ممَّا شرحناه سابقاً، أكثر من استخدام هذه الشياطين في السِّحْر والشعوذة؛ حيث نجد أن السِّحْر يحتاج إلى بيئة حضارية أكثر، وينتشر في التجمُّعات السُّكَّانية في المُدُن، والقرى، وغيرها، لذلك؛ نجد أن السائد في الجزيرة العربية كان عبادة الأصنام المسكونة بالشياطين، وهواتف الجن، والكَهَانَة، والعرافة، ولكن ذلك لا ينفي معرفة عرب الجاهلين للسِّحْر، وفعله، وممارساته، وآثاره، ولا نستطيع فَصْلَ السِّحْر عن عمل الكَهَانَة والعرافة في عصر ما قبل الإسلام. هذه الممارسات التي كان يقوم بها شخص واحد هو الكاهن، أو العرَّاف، اعتماداً على تابعه من الجنّ، أو الشياطين.

كما يجب أن لا ننسى تأثير الديانة اليهودية والمجتمع اليهودي في الجزيرة العربية كالمدينة المنوّرة، وخيبر، واليمن، من تأثير من نشر قَصَص السِّحْر، والتي استمرّت حتى الإسلام، ومجيء بعثة الرسول ﷺ، وذكر سُلَيْمان بن داود في المرسلين. قال بعض أحبار اليهود: أَ لا تعجبون من محمد يزعم أن سُلَيْمان بن داود كان نبياً، والله؛ ما كان إلا ساحراً. فأنزل الله عزّ وجلّ قوله ﴿ كَفَرَ سُلَيْمَـٰنُ وَلَـٰكِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ البقرة 102، إلى آخر الآيات [1]، وكما نعلم أن رسول الله ﷺ قد سُحِرَ، وأن الذي سَحَرَهُ هو اليهودي لبيد بن الأعظم من بني زريق. هذا؛ بالإضافة إلى أن قريشاً عندما رفضت الإسلام وكذّبت برسول الله ﷺ كان أحد أسلحتها التي استخدمتها ضدّ رسول الله ﷺ بأنه ساحر، يسحر مَنْ يستمع إليه، وبأنه مُصاب بالسِّحْر (أيْ مسحور). وكانت قريش تحاول صرف أنظار القبائل العربية عن الدعوة الإسلامية بمقولة بأنه ساحر، وأن ما يأتي به هو السِّحْر، وهذا دليل على أن العرب في البادية تعلم ما هو السِّحْر، وما معنى المسحور، وما هي ممارساته. وكان رسول الله ﷺ إذا تعرّض لهم، أو لأحد، وقرأ عليه آيات من القرآن العظيم، ووجد لديهم القبول والتأثير في النفوس، نسبوه، أو نسبه أحد إلى السِّحْر، والساحر. حتى إن المغيرة أحد كفّار قريش قد حار فيما يصف به القرآن العظيم، بدليل أنه يعرف السِّحْر والسُّحَّار ونفثهم وعقدهم، وهو دليل على انتشار السِّحْر، ومعرفة العرب في الجاهلية وبداية الإسلام بالسِّحْر، وطرائقه، وفنونه، وخاصة في التجمعُّات السكنية كمكّة المكرّمة، والمدينة المنوّرة، وغيرها، أكثر من البوادي والصحاري، يقول ابن هشام في السيرة: قال لهم - أيْ المغيرة -: يا معشر قريش؛ إنه قد حضر هذا الموسم، وإن وفود العرب ستقدم عليكم فيه، وقد سمعوا بأمر صاحبكم (يقصد محمداً ﷺ)، فأجمعوا فيه رأياً واحداً، ولا تختلفوا، فيكذّب بعضكم بعضاً، قالوا: فأنت - يا أبا عبد شمس - فقل، وأقمْ لنا رأياً، نقول به. قال: بل أنتم، فقولوا، أسمع. قالوا: نقول كاهن، قال: لا والله؛ ما هو بكاهن. لقد رأينا الكُهَّان، فما هو بزمزمة [2] الكاهن، ولا سجعه.

---

(1) السيرة النبوية، ص 544.

(2) الزمزمة الكلام الخفي الذي لا يُسمَع.

قالوا: نقول مجنون. فقال: ما هو بمجنون !! لقد رأينا الجنون، وعرفناه فما هو بخنقه، ولا تخالجه، ولا وسوسة. قالوا: فنقول شاعر !! قال: ما هو بشاعر. لقد عرفنا الشعر كلّه وجزه وهزجه قريضه ومضبوطه ومبسوطه، فما هو بالشعر. قالوا: نقول ساحر. قال: ما هو بساحر. لقد رأينا السُّحَّار وسِحْرهم، فما هو بنفثهم، ولا عقدهم. قالوا: فما نقول يا أبا عبد شمس؟! قال: والله؛ إن قوله لحلاوة، وإن أصله لعذق [1]،وإن فرعة لجناة، وما أنهم بقائلين من هذا شيئاً إلا عرف أنه باطل، وإن أقرب القول فيه لأن تقولوا ساحر جاء بقول هو سِحْر، يُفرّق بين المرء وأبيه، وبين المرء وأخيه، وبين المرء وزوجه، وبين المرء وعشيرته، فتفرّقوا عنه بذلك. فجعلوا يجلسون بسيل الناس حين قدموا الموسم، لا يمرّ بهم أحد إلا حذّروه إياه، وذكروا لهم أمره[2].

لو نظرنا إلى النصّ السابق لوجدنا في قوله ما يُفرّق بين المرء وزوجه، وأخيه، وأبيه، وعشيرته، دلالة على معنى الممارسة السِّحْرية، وما يُحدثه السِّحْر من ضرر وتفريق بين الأقرباء والأحبَّاء، وبين القربى والرحم، وأنه يُحدث داءً، أو ضرراً، أو أمراضاً تصيب الجسد البشري، أو لا يستطيع الإنسان له دفعاً، ولابد له من معالج، أو طبيب، أو كاهن، أو عرّاف لإنقاذه، ومساعدته، ومن ذلك ما أورده ابن هشام في السيرة قول عقبة بن ربيعة في أمر رسول الله ﷺ وذلك حين أسلم حمزة رضي الله عنه وأرضاه، ورأى أن أصحاب الرسول ﷺ يزيدون، ويكثرون قال: يا ابن أخي؛ إنْ كنتَ تريد بما جئتَ به من هذا الأمر مالاً، جمعنا لكَ من أموالنا، حتى تكون أكثرنا مالاً، وإنْ كنتَ تريد شرفاً سوَّدناكَ علينا، حتى لا نقطع أمراً دونكَ، وإنْ كنتَ تريد مُلكاً، ملَّكناكَ علينا، وإنْ كان هذا الذي يأتيكَ رُئياً [3] تراه، لا يستطيع ردَّه عن نفسكَ، طلبنا لكَ الطبَّ، وبذلنا فيه أموالنا، حتى نبرئكَ منه، فإنه ربما غلب التابع [4] على الرجل، حتى يُداوى منه. وهناك حوار دار بين أبي جهل والنضر بن الحارث بن كلدة في أمر رسول الله ﷺ ؛

---

(1) العذق: النخلة.

(2) السيرة النبوية، ص 299.

(3) الرئي: ما يتراءى للإنسان من الجنّ.

(4) التابع: مَنْ يتبع الناس من الجن.

حيث قال النضر: (وقلتُم ساحر، والله؛ ما هو بساحر. لقد رأينا السُّحار، ونفثهم، وعقدهم، وقلتُم كاهن، وقد رأينا الكَهَنَة وتخالجهم، وسجعنا سجعهم[1]، وبذلك نستدلّ من هذه المحادثات السابقة على أن السِّحْر والساحر كانا معروفين في الجزيرة العربية بين التجمّعات الحضرية بشكل خاصّ، وهم يعرفون عمل السِّحْر، وفنونه، وطرائقه، والضرر الذي يُسبّبه، والطريقة إلى الشفاء منه، إنْ أمكن ذلك. ولقد ردَّ القرآن الكريم أقوالهم بكثير من الآيات التي تُبيِّن لنا أن هذا القرآن من عند الله تعالى، وليس بقول ساحر، أو شيطان رجيم.

السِّحْر في القرآن الكريم:

لقد ورد في كتاب الله – تعالى – القرآن الكريم الكثيرُ من الآيات عن السِّحْر والسَّحَرَة والسُّحَّار، وغيرهم من مادة السِّحْر، ويمكننا أن نضيف موضوع ومضمون الآيات الكريمة في ثلاثة أنواع، أو ثلاثة مواضيع مختلفة في مضمونها الخاصّ، ومتّفقة في شكلها العامّ.

النوع الأول: الآيات التي تقصّ علينا قصة موسى عليه السلام مع فرعون، فقد جاء في كثير من الآيات الكريمة، وبأسلوب بياني عظيم، وإعجاز لغوي رائع.

النوع الثاني: مضمونه: ما أُنزل على المَلَكَيْن هاروت وماروت ببابل، يُعلّمان الناس السِّحْر.

النوع الثالث: يتضمّن اتهام الكافرين والمشركين في كافة الأمم رُسُلَهُم وأنبياءهم بأنهم سَحَرَة، أو مسحورين، أو ما جاؤوا به هو السِّحْر ليسحروا الناس.

---

(1) السيرة النبوية، ص 301، جـ 1.

النوع الأول:

ويتضمّن قصة موسى وهارون عليهما السلام:

وما أيّدهما الله – تعالى – به من معجزات كالعصا، واليد البيضاء، والقمل، والجراد، والدم، وغيرها من الآيات الباهرة، والمعجزة لفرعون، ولغيره.

دائماً نرى أن كثير من معجزات الأنبياء عليهم السلام إلى أقوامهم هي من نوع ما ألفوا مثله، أو لديهم معلومات عن أنواع من مثله ممَّا يعرفونه، ومن جنس ما يُتقنونه. فلقد رأينا في بحثنا عن السِّحْر في مصر القديمة أن السِّحْر كان منتشراً انتشاراً كبيراً وكثيراً من أيام الملك خوفو، وحتى بعد عهد البطالمة. وما مرحلة موسى عليه السلام إلا ضمن فترات من التاريخ المصري القديم؛ يقول ابن خلدون في المقدمة (وأمَّا وجود السِّحْر في أهل بابل، وهم الكلدانيون من النّبط والسريان، فكثير ما نطقت به الأخبار، وكان للسِّحْر في بابل ومصر أزمان من بعثة موسى عليه السلام أسواق نافقة، وبهذا؛ كانت معجزة موسى من جنس ما يدعون ويتناغون فيه[1]، كذلك الأمر بالنسبة إلى معجزة سيدنا محمد ﷺ الكبرى، فهي القرآن الكريم؛ حيث إن العرب قد ملكوا نواحي اللغة بفنونها المتنوّعة من شعر، ورجز، ونثر، وخطابة، وغيرها، فجاء القرآن الكريم من نمط ما عرفوا وتباروا به، وتنافسوه، ليُبيِّن لهم أنه من عند الله تعالى، وتحدّاهم أنْ يأتوا بمثله، أو بعشر سور من مثله، وأنَّى لهم ذلك! كما تحدّى موسى عليه السلام السَّحَرَة، فكانوا من الخاسرين.

بل إن كثيراً من الأمم والشعوب التي عاصرت شعب مصر القديم كانوا يصفون المصريين بأنهم شعب من السَّحَرَة والعرّافين، ولقد اعتبرهم العبرانيون والإغريق والرومان خبراء في العلوم الغامضة[2].

---

(1) مقدمة ابن خلدون، ص 552 .

(2) السِّحْر في مصر، ص 31 - 32.

يقول سانت ستيفن عن موسى عليه السلام إنه قد تعلّم الحكمة المصرية؛ أيْ يتّهمه بأنه تعلّم من قبلُ فنون السِّحْر، وكما يقول ويُبيِّن أن تحوُّل الثعبان إلى عصا خشبية جامدة وتحوُّل العصا إلى ثعبان يسعى هي أفعال كانت تُمارَس في بلاد الشرق في العصور الغابرة، وأن القدرة على التحكّم في حركة مثل هذه الزواحف السامّة كانت واحدة من الأشياء التي برع فيها المصريون، وكانوا أكثر مهارة في أدائها منذ عصر بُناة الأهرامات، ولكنْ؛ ماذا نقول عن الآيات والمعجزات الثمانية الباقية ؟ إذاً؛ إن المعجزة هي من جنس المألوف لدى الناس؛ لأنهم يعلمون ويعرفون مداخل السِّحْر، ومخارجه، وأشكاله، وفنونه. ويمكننا استخلاص القصة من سورة طه الكريمة:

﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُاْ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴿٢١﴾ وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾ لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَٰتِنَا ٱلْكُبْرَى ﴿٢٣﴾ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴾ طه 17 ـ 24 ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾ طه 44.

﴿ وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴿٥٦﴾ قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٥٧﴾ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى ﴿٥٩﴾ فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ ﴿٦٠﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ ﴿٦١﴾ فَتَنَٰزَعُوٓاْ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجْوَىٰ ﴿٦٢﴾ قَالُوٓاْ إِنْ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلْمُثْلَىٰ ﴿٦٣﴾ فَأَجْمِعُواْ كَيْدَكُمْ ثُمَّ ٱئْتُواْ صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ ٱلْيَوْمَ مَنِ ٱسْتَعْلَىٰ ﴿٦٤﴾ قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُواْ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ

مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓاْ ۖ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيْدُ سَٰحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِي عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ﴾ طه 56 ـ 71.

يمكننا أن نلقي نظرة استنتاجية على الآيات الكريمة، ونستخرج بعض المعاني والدلالات منها:

1 - شيوع السِّحْر في كافة البلاد، ورؤية الناس لهذه الأعمال من الأمور المعتادة، أو المألوفة، وخاصة في مواسم الأعياد والأفراح.

2 - استخدام حيلة سِحْر العصا إلى ثعبان، وإعادتها (كتخيّل وسِحْر) من قِبَل سَحَرَة فرعون من الحِيَل المستخدمة في السِّحْر في مصر، وهي منتشرة - أيضاً - بين الناس.

3 - قول فرعون: أَ جئتَنَا لتُخرجنا من أرضنا بهذه الحِيَل السِّحْرية التي نعرفها، وهي العصا، ويُصبح المُلك لكَ.

4 - عدم انبهار، أو دهشة، أو تعجّب فرعون من المعجزة بقوله: فلنأتينّكَ بسِحْر مثله، دليل على أنه أمر عادي ومألوف عند فرعون، وإنَّ ما يراه من موسى وهارون إنْ هو إلا نوع من السِّحْر.

5 - جَمْع فرعون السَّحَرَة من كافة المُدُن والقرى المصرية دليل على انتشار السِّحْر بشكل كبير، كما في آيات أخرى ﴿وَأَرْسِلْ فِي ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ﴾ الأعراف 111.

6 - اجتماع السَّحَرَة وتشاورهم بين بعضهم بعضاً، واتفاقهم على خطة معيّنة لغلب سِحْر موسى باعتقادهم أنه ساحر.

7 - تخيير موسى عليه السلام بالإلقاء أولاً، أو هُم أولاً، فالحبال والعصا أصبحت بالسِّحْر تتحرَّك وتسعى، لقد جاء السَّحَرَة بأقوى ما عندهم من السِّحْر، حتى أوجس موسى عليه السلام

خيفة في نفسه، وهو الذي عاش بين الناس، وفي البلاط المَلَكي، وربما تُشاهَد هذه الحِيَل مرات عديدة.

8 - تأييد الله - سبحانه وتعالى - لموسى عليه السلام.

9 - بيان الحقيقة التي هزّت مشاعر السَّحَرَة، وأيقظتْهُم من جَهْلهم، وغفوتهم، ونبَّهتْهُم إلى أن ما يرونه ليس سِحْراً، ولا من فنون السِّحْر، وهم الأعلم به، وبطُرُقه، وفنونه، وحِيَله، فآمنوا بالحقّ، وسجدوا لله، وآمنوا به ، وما سُجُود السَّحَرَة وإيمانهم سوى دليل آخر على اقتناعهم بأن هذا ليس من عمل السِّحْر والسَّحَرَة، وقولهم: ﴿ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَـٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴾ طه 20، لهو دليل آخر.

10 - أخذت فرعونُ العزّةَ بالإثم ولم يتّعظ بما رآه، بل جاء بحجّة واهية ضعيفة، شأن كلّ ضعيفٍ أمام الحقّ (إذنْ؛ إنه معلّمكم وكبيركم الذي علّمكم السِّحْر، وكيف يكون ذلك، وهو قد عاش في البلاط المَلَكي، ثم هرب من مصر عدة سنوات إلى مدين، فأين له هذا التَّعلُّم وهذه الخبرة؟!).

لم يستطع فرعون مع كافة الآيات الباهرة والمعجزات المتتالية التي أعقبت العصا واليد البيضاء أن يستوعب الإعجاز الإلهي لآيات الله - تعالى - على يد موسى وهارون عليهما السلام. وفسّر ذلك على أنه ضمن إيديولوجية السِّحْر والساحر بشكل عام، وأن سِحْره أعظم وأقوى وأكبر من سِحْر سَحَرَتِهِ.

لم يستطع فرعون أن يستوعب حقائق الوجود الطبيعي في المعجزات، وأنها لا يمكن أن تصدر عن فعل إنساني كتحويل الماء إلى دم مثلاً، فطغى طغيانه وجبروته على عيونه، فلم يرَ الإعجاز الإلهي، ثم - بعد ذلك - لم يتيقّن أن هذا ليس بسِحْر، ولا عمل ساحر، إلا هو يغرق ويشرف على الهلاك، وقد رأى الحقّ جهراً ﴿ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ يونس 90.

النوع الثاني:

هاروت وماروت ببابل:

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ءَايَـٰتٍۭ بَيِّنَـٰتٍ ۖ وَمَا يَكْفُرُ بِهَآ إِلَّا ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿٩٩﴾ أَوَكُلَّمَا عَـٰهَدُوا۟ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٠﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ كِتَـٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَـٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَـٰنُ وَلَـٰكِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَـٰرُوتَ وَمَـٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَـٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ ۖ لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴾ البقرة 99 ـ 103.

قال كثير من المفسّرين الإسلاميين كالطبري وابن كثير[1] في تفسير الآيات الكريمة المذكورة: إن الآيات البيّنات هي علامات واضحة الدلالة على نُبُوَّة سيدنا محمد ﷺ، وتلك الآيات هي ما حواه كتاب الله – تعالى – من خفايا علوم اليهود، والإنباء عمّا تضمَّنَتْهُ كُتُبُهُم التي لم يكن يعلمها إلا أحبارهم، وعلماؤهم، ولكنهم أنكروا، وكذبوا به.

قال ابن صوريا القطويني اليهودي وهو من علماء اليهود لرسول ﷺ: يا محمد؛ ما جئتَنا بشيء نعرفه، وما أنزل الله عليكَ من آية بينة فتبعكَ، فأنزل الله عزّ وجلّ قوله ﴿ لَّقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَـٰتٍ﴾ النور 46، ثم نبذوا ما عاهدوا عليه من الميثاق بالإيمان برسالة سيدنا محمد ﷺ

---

(1) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، جـ1، ص 116 - 117.

وراء ظهورهم، واتّبعوا السِّحْر، وفنونه، وأرادوا كيداً برسول الله ﷺ، وسحروه، وسيأتي ذِكْر ذلك لاحقاً. وتتحدّث الآيات المذكورة عن مُلك سُلَيْمان والشياطين، وأمَّا القسم التالي؛ فيتحدّث عن المَلَكَيْن هاروت وماروت والسِّحْر ببابل.

اختلف المفسّرون على تفسير الآية الكريمة ﴿ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَـٰطِينُ ﴾ البقرة 102، الآية.. وأوردوا روايات متعدّدة كثيرة، تختلف بعضها عن بعض اختلافاً كبيراً، وبعضها اختلافاً قليلاً. وقد حاولنا أن نقارب بين هذه الروايات مع بيان الاختلاف فيها.

عن ابن عَبَّاس رضي الله عنهما: كان آصف بن برخيا كاتب سُلَيْمان، وكان يعلم الاسمَ الأعظمَ، وكان يكتب كلّ شيء بأمر سُلَيْمان، ويدفنه تحت كرسيه، فلمَّا مات سُلَيْمان؛ أخرجتْهُ الشياطينُ، فكتبوا بين كلّ سطرَيْن سِحْراً وكُفْراً، وقالوا: هذا الذي كان سُلَيْمان يعمل به. قال: فأكفره جُهَّال الناس، وسبُّوه. ووقف علماء الناس. فلم يزل جُهَّال الناس يسبُّونه حتى أنزل الله تعالى لمحمد ﷺ: ﴿ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَـٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَـٰنُ وَلَـٰكِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ كَفَرُواْ ﴾ البقرة 102.

رواية أخرى: عندما ابتُلِي سُلَيْمان بسرقة خاتمه، جاءت الشياطين، فكتبت كُتُباً فيها سِحْر وكُفْر، ووُضِعَتْ تحت كرسي سُلَيْمان، فجاءت الشياطين بعد موته، فدلَّت على الكُتُب، وتعلَّم الناسُ السِّحْرَ.

الروايات جميعها تتمحور حول سيدنا سُلَيْمان، وآصف، والشياطين، وأن الشياطين كتبوا هذا السِّحْر، ودفنوه. فلمَّا مات سُلَيْمانُ دلّوا الناس عليه، فأخرجه الناس، وتعلّموه، ونسبوا ذلك إلى سُلَيْمان، حتى برَّأه الله - تعالى - في القرآن الكريم ﴿ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَـٰنُ ﴾ البقرة 102،والله أعلم[1].

إن السِّحْر نزل ببابل على المَلَكَيْن هاروت وماروت، يُعلّمان الناسَ السِّحْرَ.

وفيه روايات كثيرة:

---

(1) ابن كثير، ص 118، جـ1.

- رواية القرطبي ﴿ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَـٰنُ ﴾ البقرة 102، وذلك أن اليهود قالوا: إن الله - تعالى - أنزل جبرائيل وميكائيل عليهما السلام بالسِّحْر، فنفى الله - تعالى - ذلك، وأن الشياطين كفروا يُعلّمون الناسَ السِّحْرَ ببابل.

- رواية أخرى عن عليّ بن أبي طالب كرّم الله وجهه، وابن مسعود، وابن عَبَّاس، وكعب الأحبار، والكلبي: إن ذلك حدث في زمن إدريس عليه السلام لَمَّا كثر الفساد بين أولاد آدم عليه السلام عيَّرتهم الملائكة، فقال سبحانه وتعالى: أما لو كنتم مكانهم، وركَّبتُ فيكم ما ركَّبتُ فيهم لعملتُم مثل أعمالهم، فقالوا: سبحانكَ ! ما كان ينبغي لنا ذلك. قال تعالى: فاختاروا مَلَكَيْن من خياركم، فاختاروا هاروت وماروت، فأنزلهما الله إلى الأرض، فرُكِّبَتْ فيهما الشهوة. فما لبثا حتى فُتنا بامرأة اسمها بالنبطية (بيدخت)، وبالفارسية (ناهيل) وبالعربية (الزهرة)، اختصمت إليهما، وراوداها عن نفسها، فأبت إلا أن يدخلا في دينها، ويشربا الخمر، ويقتلا النفس الذي حرَّم الله تعالى، فأجاباها، وفعلا ذلك تحت تأثير الخمر، وسألتهما عن الاسم الذي يصعدان فيه إلى السماء، فعلَّماها، فتكلَّمت به، فعرجت، فخُيِّرا بين عذاب الدنيا، وعذاب الآخرة، فاختارا عذاب الدنيا[1].

وعن عليّ كرم الله وجهه قال: أيْ إن الذي أُنزل على المَلَكَيْن أنهما كانا يُعلِّمان الناسَ تعليمَ إنذار من السِّحْر، لا تعليم دُعاء إليه: قال الزجَّاج: (وهذا القول هو الذي عليه أكثر أهل اللغة والنظر)؛ أيْ أنهما يُعلِّمان الناس على النهي، فيقولان لهم: (لا تفعلوا كذا، وتحتالوا بكذا، لتفرّقوا بين المرء وزوجه، والذي أُنزل هو النهي عن ذلك) [2] ، وتقول رواية عن ابن عَبَّاس رضي الله عنهما: ما أنزل الله - تعالى - عليهما السِّحْر، ﴿ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَـٰنُ وَلَـٰكِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَـٰرُوتَ وَمَـٰرُوتَ ﴾ البقرة 102، فيكون قوله (ببابل هاروت وماروت من التأخير أسلوب في اللغة العربية الذي معناه المقدم، فيكون معنى الآية الكريمة كالتالي ﴿ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَـٰطِينُ

(1) القرطبي، جـ1، تفسير أحكام القرآن، ص 51 - 52 - 54.

(2) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، جـ1، ص 119.

عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ ﴾ البقرة 102 - سبحانه وتعالى - على الملكين، ﴿ وَلَـٰكِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَـٰرُوتَ وَمَـٰرُوتَ ﴾ البقرة 102، فيكون مَعنيّاً بالمَلَكَيْن هما جبرائيل وميكائيل عليهما السلام؛ لأن سَحَرَةَ اليهود كانت تزعم أن الله - تعالى - أنزل السِّحْر على لسان جبرائيل وميكائيل إلى سُلَيْمان بن داوود عليهما السلام، فأكذبهم الله بذلك، والله أعلم، ومهما تعدّدت الروايات في تفسير الآية الكريمة، فإن الله - سبحانه وتعالى - قد أظهر لنا في مضمون الآية أن السِّحْر باطل، وحرام عند الله تعالى، وأن له عقوبة كبيرة في الدنيا والآخرة لما يُلحق به من ضرر في حياة الناس ضرراً كبيراً بشكل عام، وقد دلَّ الله - تعالى - على خصوصية السِّحْر، وضرره، بخصوصية التفريق ما بين رباط الزوجية بين الزوجَيْن كفر شنيع مثالاً عمّا يُسبّبه من أذى بين الناس.

النوع الثالث:

هو اتهام الكافرين والمشركين أنبياءَهم ورُسُلَهم أنهم جاؤوهم بالسِّحْر، أو أنهم مسحورون، وذلك كما ورد في القرآن العظيم؛ ومنها الآيات الكريمة الآتية:

1 ـ عن المسيح ﷺ: ﴿ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ المائدة 110.

2 ـ عن موسى ﷺ: ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَـٰرُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦ بِـَٔايَـٰتِنَا فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوٓا۟ إِنَّ هَـٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ يونس 76.

3 ـ عن موسى ﴿ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾ الشعراء 49.

4 ـ عن سيدنا محمد ﷺ ﴿ وَإِذَا رَأَوْا۟ ءَايَةً يَسْتَسْخِرُونَ ﴿١٤﴾ وَقَالُوٓا۟ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ الصافات 15 - 15.

5 ـ عن سيدنا محمد ﷺ ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ ۝ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ الزخرف 30 - 31.

6 ـ عن سيدنا محمد ﷺ ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ مُّبِينٌ﴾ يونس 2.

7 ـ ﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾ الذرايات 52.

إن كافة ما جاء به القرآن العظيم من الآيات الكريمة تحت هذا المنحى بأنواعه الثلاثة من قصة موسى عليه السلام وسَحَرَة فرعون إلى الشياطين وكُفْرهم مع سُلَيمان عليه السلام إلى اتهام المشركين والكافرين رُسُلهم وأنبياءهم بأنهم إمَّا سَحَرَة، وإمَّا أنهم مسحورون أصابهم السِّحْر، وما السِّحْر إلا خلاف الحقيقة، وخلاف الواقع، وإنْ هو إلا تخيّل، أو باطل، أو وَهْم.

حادثة سِحْر الرسول ﷺ:

لقد أكّدت السيرة النبوية وأسباب النزول والمُؤرخون القدماء حادثة سِحْر الرسول الكريم ﷺ بأكثر من مصدر موثوق.

ثبت في الصحيحَيْن من حديث عائشة: أن النبي ﷺ سحره يهودي من بني زريق، يُقال له لبيد بن الأعصم، حتى خُيِّل إليه أنه كان يفعل الشيء، ولا يفعله، فمكث ذلك ما شاء الله أن يمكث، ثم قال: يا عائشة؛ إن الله - تعالى - أفتاني فيما استفيتُهُ فيه، أتاني مَلَكَان، فجلس أحدهما عند رأسي، والآخر عند رجلي، فقال الذي عند رأسي للذي عند رجلي: ما شأن الرجل؟ قال: مطبوب (أيْ مسحور). قال: مَنْ طبَّه؟ قال: لبيد بن الأعصم. قال: في ماذا ؟ قال: في مشط ومشاقة وجف طلعة ذَكَر تحت راعوفة في بئر ذي أوران، فجاء البئر، واستخرجه. انتهى الحديث.

وقال ابن عَبَّاس في حديث ما شعرت يا عائشة أن الله - تعالى - أخبرني بدائي، ثم بعث علياً والزبير وعمار بن ياسر، فنزحوا ماء البئر كأنه نقاعة الحناء، ثم رفعوا الصخرة وهي الراعوفة (صخرة تُترك أسفل البئر يقوم عليها المسقى من البئر بالدلو)، وأخرجوا الجفّ، فإذا مشاطة رأس إنسان، وأسنان من مشط، وإذا وتر معقود فيه إحدى عشر عقدة، مغرزة بالإبر.

فأنزل الله - سبحانه وتعالى -: ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴾ الفلق 1، ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴾ الناس 1، وهما إحدى عشر آية على تلك العقد، وأُمر أن يتعوَّذ بهما، فجعل كلّما قرأ آية انحلّت عقدة، ووجد النبي ﷺ خفّة، حتى انحلَّت العقدة الأخيرة، فكأنما نشط من عقال، وقام ليس به بأس.

وجعل جبرائيل يرقي رسول الله ﷺ، فيقول: (باسم الله أرقيكَ، من كل شيء يؤذيكَ، من شرّ حاسد وعين، والله يشفيكَ). فقالوا: يا رسول الله؛ ألا تقتل الخبيث؟! فقال: (وأمّا أنا؛ فقد شفاني الله، وأكره أن أُثير على الناس شرّاً).

ولقد أورد ابن كثير الرواية في التفسير مطابقة للرواية التي أوردناها مع بعض روايات مختصرة أخرى تشبهها.

وفي رواية عمرة عن عائشة: (فنزل رجل، فاستخرجه، وفيه من الزيادة أنه وجد في الطلعة تمثالاً من الشمع، تمثال الرسول ﷺ، وإذا فيه إبر مغروزة، وإذا وتر فيه إحدى عشر عقدة، فنزل جبريل عليه السلام بالمعوَّذتَيْن، فكلّما قرأ آية انحلّت عقدة، وكلّما نزع إبرة وجد لها ألماً، ثم يجد بعدها راحة)[1].

لقد اختلف العلماء والمفسّرون في حادثة سِحْر الرسول ﷺ ما بين مُنكر ومُصدّق، وأوضح كلُّ فريق نقده وحججه للحادثة، ولكنّ أغلب العلماء أقرُّوا بحادثة السِّحْر، التي مدَّتها من أيام إلى سنة، ونحنُ نُرجِّح الأيام؛ لأن السنة التي سُحر فيها رسول الله ﷺ هي سنة خيبر، السنة السابعة، وفيها تمَّتْ غزوة خيبر، وتمَّ فيها زواجه من صفية رضي الله عنها،

(1) السِّحْر بين الحقيقة والخيال، ص 124، محمد زهير الحريري، دار الإيمان، 1985.

وفيها غزوة وادي القرى، وكان رسول الله ﷺ يُرسل السرايا إلى كافة البلاد، وفيها تزوّج ماريا القبطية رضي الله عنها، وفيها بعث سرية بشير بن سعد إلى بني مرة، وخرج فيها مُعتمراً عمرة القضاء، وتزوّج فيها بميمونة بنت الحارث، وغير ذلك من الأحداث، فكيف تكون المدّة شهوراً، أو سنة، وفيها كلّ هذه الأمور والأحداث ورسول الله ﷺ يشتكي المرض[1].

لقد سُحِر رسول الله ﷺ ، وأصاب الأذى جسدَهُ الشريف بإذن الله - تعالى - لحكمة يعلمها الله تعالى، وهو القادر على مَنْع ذلك، وإخبار الرسول ﷺ بالحَدَث قبل وقوعه، كما حدث في حوادث كثيرة مذكورة في السيرة النبوية الشريفة. ولكننا إذا استقرأنا الأحداثَ، فإننا نحن سوف نتبيَّن - فقط - نقطة هامة في رأينا قد أهملها كافة مَنْ عالجوا مسألة سِحْر رسول الله ﷺ ، فالجميع اندفعوا إلى بيان أن السِّحْر أثَّر على الجسد، وجوارحه، وليس على عقله، أو مُعتقده تشريفاً وتعظيماً وخوفاً من مقالة أحد بأن ذلك يمكن أن يؤثّر على الوحي ومقام النبوة الكريمة. قال عياض: السِّحْر تسلّط على جسده، وظواهر جوارحه، لا على تميّزه، ومُعتقده.

وعن سعيد بن المسيب أنه حتى ينكر بصره، وهذا ما يثبت لنا حقيقة ربما غابت عن الأذهان، وهي أن رسول الله ﷺ بشرٌ، يملك جسداً بشرياً، يأكل الطعام، وينام، ويتزوّج، ويجري عليه ما يجري على كافة البشر، ومنها الأمراض الجسدية، والسِّحْر أثّر على جسده، وجوارحه؛ كمرض أصاب جسده الشريف، وهل أرسل الله - سبحانه - رسولاً، أو نبياً، إلا بشراً، مثله مثل الناس جميعاً.

قال تعالى:

- ﴿ فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا ﴾ هود 27.

- ﴿ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولاً ﴾ 93 .

- ﴿ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولاً ﴾ الإسراء 94.

---

(1) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ص 97 106، جـ2.

- ﴿ وَلَئِنۡ أَطَعۡتُم بَشَرٗا مِّثۡلَكُمۡ إِنَّكُمۡ إِذٗا لَّخَٰسِرُونَ ﴾ المؤمنون 34.

- ﴿ فَقَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ لِبَشَرَيۡنِ مِثۡلِنَا وَقَوۡمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ ﴾ المؤمنون 37.

وها هو سيدنا أيوب قد أصابه البلاء سنين في جسده، وهو النبي الكريم، فهل هناك اعتراض على حكمة الله – تعالى – فيما يراه لأنبيائه ورُسُله. وإنما نرى أن الحكمة البالغة من سِحْر رسول الله ﷺ أن تكون درساً للأجيال كافة على مرّ الزمن إلى يوم القيامة، وذلك للتأكّد من شيئَيْن:

أولاً: إنسانية الرسول ﷺ، وأنه بشر، يُصاب بالأمراض كما يُصاب البشر.

الثاني: أن ما أصاب الناس ويُصيبهم من السِّحْر في الماضي والمستقبل إلى يوم القيامة له قدوة عظيمة صالحة ممثّلة برسول الله ﷺ، وبالدواء الذي أنزله الله – تعالى – على رسوله بالمعوَّذتَيْن، وحتى يتّعظ الناس، ويستخدموا الدواء الصحيح لهذا الداء، وهو القرآن الكريم، وبالذات المعوَّذتَيْن لإزالة السِّحْر، كما فعل رسول الله ﷺ لا أن نذهب إلى الدجّالين والمشعوذين، وهذا على مبدأ ﴿ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ ﴾ الأحزاب 21، وصلُّوا كما رأيتُمُوني أصلّي، وخذوا عني مناسككم، يمكن أن نقول: هذا هو الدواء لهذا الداء إلى يوم القيامة، مادام قد أُصيب به رسول الله ﷺ، وشُفي منه بإذن الله – تعالى – بالمعوَّذتَيْن؛ لأنه لو أراد الله – تعالى – أن لا يُصيب رسول الله شرّ، أو أذى، أو مرض، لكان قد أخبره بذلك، كما هو في الحوادث السابقة؛ كمثال حادثة الشاة المسمومة، وهي أشدّ من هذه، يقول ابن الأثير عن الحادثة بعد الانتهاء من القتال في خيبر، والتسليم: (استقرّ رسول الله ﷺ، وأهدت له زينب بنت الحارث امرأة سلام بن مشكم شاةً مصلية مسمومة، فوضعتها بين يدَيْه، فأخذ رسول الله ﷺ منها مضغة، فلم يسغها، ومعه بشر بن البراء بن معرور، فأكل بشر منها. وقال رسول الله ﷺ: إن هذه الشاة تخبرني أنها مسمومة، فاعترفت. فقال: ما حملكِ على ذلك ؟ قالت: بلغتُ من قومي ما لم يخفَ عليكَ. فقلتُ: إنْ كان نبياً، فسيُخبَر

بذلك، وإنْ كان ملكاً استرحنا منه، فتجاوز عنها. ومات بشر من تلك الأكلة. وقال رسول الله ﷺ في مرضه الذي مات فيه: (هذا الأوان وجدتُ انقطاع أبهري من أكلة خيبر).

وهكذا نجد أن الحكمة البالغة والأثر العظيم لحادثة سِحْر رسول الله ﷺ أن الله - سبحانه وتعالى - أعطى الإنسانية درساً لا يُنسى، وأثراً لا يُمحى، بأنْ أنزل الداء على أشرف خَلْقه، وأرسل له الدواء، وجعله في كلامه جلَّ وعلا، فالسِّحْر (كلام يُراد به الشرّ)، وما أعظم ما يردّ عليه إلا بأعظم وأقدس كلام ألا وهو كلام الله - سبحانه وتعالى - فنرجو أن نكون ويكون الناس قد اعتبروا، واتعظوا بذلك، والله - تعالى - أعلم.

ولن ننسى أن الندم سيكون إحدى نتائج التعامل في السِّحْر في هذه الدنيا، أمَّا في الآخرة؛ فهو أشدّ وأعظم للذين يتعاملون مع السِّحْر والسَّحَرَة عمّا سوف يرونه من ذلك؛ لأنهم تركوا الإيمان والقرآن العظيم، واتّبعوا الشياطين، وما يُملين عليهم من أفعال وأقوال، فقد باعوا الحقّ بالباطل، والخير بالشَّرِّ، فعاد ذلك وبالاً عليهم، ولابد لنا أن نورد حادثة ذكرها ابن كثير في تفسير القرآن العظيم، وقد وجدها هو حكاية عجيبة، وأثراً غريباً.

فعن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة زوج النبي ﷺ أنها قالت: قدمت امرأة من أهل دومة الجندل، جاءت تبغي رسول الله ﷺ بعد موته حداثة، تسأله عن أشياء دخلتْ فيه من أمر السِّحْر، ولم تعمل به، وقالت عائشة رضي الله عنها لعروة: يا ابن أختي؛ فرأيتُها تبكي حين لم تجد رسول الله ﷺ، فيشفيها. فكانت تبكي حتى إني لأرحمها، وتقول: إني أخاف أن أكون قد هلكتُ، كان لي زوج غائب، فغاب عني، فدخلتْ عليّ عجوز، فشكوتُ ذلك لها. فقال: إنْ فعلتِ ما آمركِ به، فأجعله يأتيكِ. فلمَّا كان الليل جاءتْني بكلبَيْن أسودَيْن، فركبتُ أحدهما، وركبت هي الآخر، فلم يكن شيء، أيْ من الزمن، حتى وقفنا ببابل، وإذا برجلَيْن مُعلَّقَيْن بأرجلهما. فقالا: ما جاء بكِ؟! قلتُ: نتعلّم السِّحْر. فقالا: إنما نحنُ فتنة، فلا تكفري، فارجعي، فأبيتُ، وقلتُ: لا. قالا: فاذهبي إلى ذلك التنّور، فبُولي فيه، فذهبتُ، ففزعتُ، ولم أفعل، فرجعتُ إليهما. فقالا: أَ فعلتِ؟ فقلتُ: نعم. فقالا: هل رأيتِ شيئاً؟! فقلتُ: لم أرَ شيئاً. فقالا: لم تفعلي. ارجعي إلى بلادكِ، ولا تكفري، فإنكِ على رأس أمركِ. فأربيتُ، وأبيتُ. فقالا:

اذهبي. فإنكِ على رأس أمركِ. فأربيتُ، وأبيتُ. فقالا: اذهبي إلى التنّور، فبُولي فيه. فذهبتُ إليه، فبلتُ فيه؟ قلتُ: فرأيتُ فارساً مُقنَّعاً، خرج مني، فذهب في السماء، وغاب حتى ما أراه. فقالا: صدقتِ؛ ذلك إيمانكِ، خرج منكِ، اذهبي. فقلتُ للمرأة: والله؛ ما أعلم شيئاً. وقالا لي شيئاً، فقالت: بلى، لم تريدي شيئاً إلا كان، خذي هذا القمح، فابذري، فبذرتُ، وقلتُ: اطلعي، فطلعت. وقلتُ: احقلي، فاحقلت. ثم افركي، فأفركتُ. ثم قلتُ: أيبسي. فأيبستُ. ثم قلتُ: اطحني، فأطحنتُ. ثم قلتُ: اخبزي، فأخبزتُ. فلمّا رأيتُ أني لا أريد شيئاً إلا سقط في يدي (أيْ حصل)، ندمتُ على ذلك، يا أمَّ المؤمنين. ما فعلتُ شيئاً، ولا أفعله أبداً. فسألتُ أصحاب رسول الله ﷺ حداثة (أيْ حديثاً) وفاة رسول الله ﷺ، وهم – يومئذ – متوافرون، فما دروا ما يقولون لها، وكلهم هاب، وخاف أن يُفتيها بما لا يعلمه [1]، وقد استُدِلَّ بهذا الأثر أن بابل المقصودة هي بابل العراق، لا بابل دنياوند، وقد جاء ذلك مُؤيّداً كما ورد عن أبي صالح الغفاري أن عليّاً بن أبي طالب – كرّم الله وجهه – مر ببابل وهو يسير، فجاء المؤذّن يُؤذّن بصلاة العصر، فلمّا برز منها أمر المؤذّن، فأقام الصلاة، فلمّا فرغ قال: (إن حبيبي ﷺ نهاني أن أصلّي بأرض مقبرة، ونهاني أن أصلّي ببابل، فإنها ملعونة. [2]

أخيراً:

ممّا لا شك أن الصحابة الكرام – رضي الله عنهم وعامة المسلمين – لم يهتمّوا بهذا الموضوع إطلاقاً، وابتعدوا عنه، ولم يقربوه، وما جاءت به الأحداث من نشر دين الله – تعالى – في الآفاق، وتحرير بلاد الشام، والعراق، من الاحتلال الفارسي، والروماني، وفتح البلاد الأخرى، قد شغل المسلمين عن هذه الأمور والفنون لفترة طويلة، ثم قامت النزاعات والصراعات في الخلافة الأموية، والثورات الخارجة عليها، ومن ثم؛ الحروب الطويلة

(1) ابن كثير، التفسير، ص 123 - 124.

(2) ابن كثير، التفسير، ص 123 - 124.

لإخمادها قد شغلت المسلمين كافة عن أمور كثيرة، وحتى بداية العهد العَبَّاسي، عندما استقرّت الأوضاع، وتوسّعت البلاد، وتدفّقت الأموال، وكثر الغنى، والثروة، وبدأ الاهتمام بالعلوم، فتُرجمت الكُتُبُ، وخاصة الكُتُبُ اليونانية والهندسية القديمة، التي اقتبس العرب منها كثيراً من العلوم، ومنها وبها تأثّر بعض العلماء والناس من علوم الفلسفة، والفَلَك، وعلم التنجيم؛ يقول البوني في كتابه (منبع أصول الحكمة) كلّ ما وضعته الحكماء في كُتُبهم من عهد أرسطوطاليس إلى يومنا هذا، ويقول في فصل (كيفية البسط والتكسير لعلم الحروف): وهذا الأصل ذكره أرسطوطاليس في رسالة الياقوت التي كتبها للملك الحكيم إسكندر بن وراب الرومي. وفي مقطع آخر: وأمّا رأي أرسطوطاليس في نظم القسم؛ فلا يكون في مطلوب وعمل وطالب إلا من أحرف الأصل المكسّرة [1]، ولا ننسى أن هذا العلم هو من الممنوعات شرعاً، وديناً، وفيه الآيات الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة الدالّة على مَنْعه، وهي من أهمّ أسباب عدم انتشار هذا العلم، وعدم تعاطي الناس فيه في الفترة الأولى من الإسلام، والخلافة الأموية، وصدر من الخلافة العَبَّاسية. ولقد لخَّص ابن خلدون في مقدّمته ورود السِّحْر إلى العرب، فقال: (على عدم اهتمام العرب بهذه العلوم علوم السِّحْر والكلمات): ولَمَّا كانت هذه العلوم مهجورة عند الشرائع لما فيها من ضرر، ولما يُشترَط فيها الوجهة إلى غير الله - تعالى - من كوكب، أو غيره، كانت كُتُبُهُم كالمفقودة بين الناس، إلا ما وُجد في كُتُب الأمم؛ أمم الأقدمين فيما قبل نبوءة موسى عليه السلام مثل النبط، والكلدانين، فإن جميع الأنبياء عليهم السلام لم يُشرِّعوا الشرائع، ولا جاؤوا بالأحكام، إنما كانت كُتُبُهُم توحيداً لله تعالى، وتذكيراً بالجنة، والنار.

ويورد لنا لقطات من كُتُب السِّحْر، وأصحابها، فيقول: ولم يُترجَم لنا من كُتُبهم إلا القليل؛ مثل الفلاحة النبطية لابن وحشية، ومثل مصاحف الكواكب السبعة، وكتاب طمطم الهندي في صورة الدرج، والكواكب، وغيرها). ثم جاء بعده مسلمة بن أحمد المجريطي إمام

(1) منبع أصول الحكمة، البوني، مكتبة القاهرة، ص 7 .

أهل الأندلس في التعاليم، والحريات، فلخَّص جميع تلك الكُتُب، وجمع طُرُقَهَا في كتابه الـذي سمَّاه (غاية الحكيم)، ولم يكتب أحد في هذا العلم بعده[1].

إذنْ؛ حسب ما أورد ابن خلدون أن عالم السِّحْر عـالم غـير متـداول إلا لعـدد قليـل مـن الناس، يُعدُّون على الأصابع، ولقد يخصّ كلّه بكتاب واحد هو كتاب (غاية الحكـيم) لمـسلمة المجريطي. ويذكر كتاباً بعده كَتَبَهُ الإمام فخر بن الخطيب، سمَّاه بالـسِّرِّ المكتـوم. ولكـن ابـن خلدون ينفي أن يكون هذا الإمام قد كَتَبَهُ؛ لأن هذا الإمام لم يكن من أئمَّة الشأن، والكتـاب لم يجده ابن خلدون، ويجد ابن خلدون أن انتشار علْم أسرار الحروف، وهو مـا يُظـنُّ أنـه مـن السِّحْر، والمُسمَّى بالسيميا، نُقِل وضعه من الكلمات في اصطلاح أهل التصرُّف من المتصوِّفة، وينسب ظهور هذا العلم عند ظهوره وانتشار التصوف في الإسلام؛ فيقول:

(وحدث هذا العلم في الملَّة بعد صدر منها، وعند ظهور الغُلاة مـن المتـصوّفة، وجنـونهم إلى كشف حجاب الحسِّ، وظهور الخوارق على أيديهم، والتصرُّف في عالم العناصر، وتـدوين الكُتُب، والاصطلاحات). ثم ويصف لنا مشاهدته شخصياً لـبعض النـاس الـذي يعملـون بالسِّحْر، فأخبروه عمَّا يلي، وأخبروني أن لهم وجهة ورياضة خاصة بدعوات كُفْريـة، وإشراك روحانية الجـنّ، والكواكـب، سـطّرت فيهـا صـحيفة عنـدهم تُـسمّى (الخزيريـة)؛ أيْ أنهـم يتوصَّلون إلى السِّحْر بالكُفْر، وإشراك الكواكب، والجنّ.

لقد اشتريتُ بفَضْل من هذه الكُتُب لفكِّ الحروف، وتكسير الجُمـل؛ حيـث نجـد أن هنـاك كتابَيْن للبوني موجودَيْن في الأسواق. ورغم أن الكتابَيْن قديمَيْن فإنه يُعاد طـبعهما كـلّ فـترة مـن الزمن، وهما من القرن السابع الهجري، فقد توفي البوني 622 هـ، ورغم أني حاولـت فـكَّ بعـض رُمُوز الكتاب، واستعنتُ بعدد من الأصدقاء ذوي الخبرة، فقـد عجزنـا عـن فَهْـم الطُّرُق التـي وضعها البوني للطلاسم، وعلْم أسرار الحروف، وغيره ممَّا في الكتاب، وربـما يحتـاج الإنـسان إلى شهادة دكتوراه في هذا العلْم حتى يفهم ما فيها؛ حيث إن ابن خلدون نفسه لم يفهمها، فيقول: فأمَّا سرُّ التناسب الذي بين هذه الحروف، وأمزجة الطبائع، أو بين الحروف والأعداد، فأمر عسير على الفَهْم؛ إذ ليس من قبيل العلوم، والقياسات، وإنما مُستندهم فيه الذَّوق، والكَشْف.

---

(1) مقدمة ابن خلدون، ص 549 - 550.

قال البوني: (ولا تظنَّ أن سرَّ الحروف ممَّا يُتوصَّل إليه بالقياس العقلي، وإنما هو بطريق المُشاهدة، والتوفيق الإلهي) [1]. ويعترف البوني أن ما وضعه يحتوي على الشّرّ، ويُسبِّب الخيرَ والشَّرَّ، فيقول في مقدّمة كتابه (منبع أصول الحكمة) ص6: وهذه الطريقة التي أنا ذاكرها لكم في هذه الرسالة يحتاج إليها ذلك الكتاب، بل كلّ كتاب وضعه الحكيم، وهي لا تحتاج إلى شيء، وبها تتصرَّفون على جميع ما في الكائنات من خير وشرّ، وجلب، وطرد، وهي في أعمال الخير كالترياق، وفي أعمال الشَّرِّ، كالسُّمِّ الناقع [2].

وأنت لو تصفَّحتَ الكتابَيْن، وفعلتَ ما يأمركَ به أن تعمل، فحسب رأيه لن تحتاج إلى شيء في هذه الدنيا، وسوف تكسب الآخرة؛ لأنه يُعين على الطاعات، والعبادات، وغيرها، وفيها كل ما يحتاجه الإنسان من رزق، وصحّة، وبُعْداً للأعداء، والتغلّب عليهم، والأوجاع، والمهابة، وسرعة قضاء الحاجة، وغيرها، وسوف يبقى الإنسان في كتاب وتبخّر الجو وتشرّب ما تكتبه، أو تلعقه، أو تحفره، وتطمره، أو.. إلخ.. فإنك تعيش في سعادة، وهناء، ويكون تصوُّر رجال المسلمين والناس في أرجاء الأرض وقد جلسوا في بيوتهم، وكلّ معه نسخة من كتاب البوني، يفعلون ما يأمرهم فيه الكتاب بفعله فقط، فعندها سينتهي الدِّين، والشرائع، وعمارة الأرض، وتخرب البلاد. إن هذا العلْم علْم فاسد، وباطل، لا ينفع، ولا يُنتفَع به، والأجدى والأولى أن نتعلَّم علوم العصر الحديثة لما فيها من خير يعمُّ الناس، وأن نُسابق الأمم الأخرى المتطوِّرة العلوم، والتي اتخذت من هذه العلوم سلاحاً إمَّا أن تُسيطر به علينا، أو تسرق به خيراتنا، أو تُحارب ديننا فيه، والأسلم فالأسلم أن نتجه إلى عدوّ ظاهر يتربّص بنا، ويستغلّ جهدنا، ويريدونا عبيداً له، وهو العلْم الذي فيه الأجر والثواب عند الله تعالى.

---

(1) ابن خلدون، ص 557.

(2) منبع أصول الحكمة، ص 6.

حُكْم الإسلام على السِّحْر والسَّحَرَة:

يقول ابن خلدون في المقدّمة: وأمَّا الشريعة؛ فلم تُفرّق بين السِّحْر والكلمات والشعوذة، وجعلتْهُ كلّه باباً واحداً محظوراً؛ لأن الأفعال إنما أباح لنا الشارع منها ما يهمّنا في ديننا الذي فيه صلاح آخرتنا، أو في معاشنا الذي فيه صلاح دنيانا، وما يهمّنا في شيء مهما كان فيه ضرر، أو نوع ضرر؛ كالسِّحْر الحاصل ضرره بالوقوع، ويلحق له الكلمات؛ لأن أثرها واحد، فتفسد العقيدة الإيمانية بردِّ الأمور إلى غير الله تعالى.

فجعلت الشريعةُ بابَ السِّحْر والكلمات والشعوذة باباً واحداً، لما فيها من الضرر، وخصَّتْهُ بالخطر والتحريم [1].

قال رسول الله ﷺ: اجتنبوا الكبائر السبع. قالوا: وما هُنَّ، يا رسول الله؟ قال: الإشراك بالله، والسِّحْر، وقتل النفس التي حرَّم الله إلا بالحقّ، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، و.....

وقال رسول الله ﷺ:جدال حرّ ضربة بالسيف. ونصَّ الفقهاء أنَّ تعلُّم السِّحْر وتعليمه من الكبائر. وعن مالك رضي الله عنه: أن الساحر يُقتَل بالسِّحْر، ولا يُستتاب، بل يُحتَّم قتله كالزنديق، وقد استدلَّ العلماء بقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟﴾ المائدة 5، ومنهم مَنْ ذهب إلى تكفير الساحر كما هو رواية عن الإمام أحمد بن حنبل، وطائفة من السلف، وقيل: بل لا يُكفَّر، ولكنَّ حدَّه ضَرْب عنقه لما رواه الشافعي وأحمد بن حنبل عن بجالة عبدة يقول: (كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن اقتلوا كلّ ساحر وساحرة. قال: فقتلنا ثلاث سواحر) أخرجه البخاري. وقد صحّ - أيضاً - أن حفصة أمّ المؤمنين سَحَرَتْها جارية لها، فأمرت بها، فقُتلت.

ومن حديث رسول الله ﷺ: (مَنْ أتى عرَّافاً أو كاهناً فقد كَفَرَ بما أُنزل على محمد). وفي السُّنن: مَنْ عقد عقدة ونفث فيها فقد سَحَرَ [1]. فَمَنْ يبع إيمانه بالسِّحْر، أو الدنيا بالآخرة، والحقّ بالباطل، أو أن يذهب إلى عرّاف، أو كاهن، أو حسَّاب، فهي الصفقة الخاسرة، وهي الخسران المبين.

---

(1) ابن خلدون، ص 555.

وتبقى لنا كلمة أخيرة: لقد أردنا في هذا الكتاب إلقاء نظرة عامة شاملة على مراحل تطوُّر السِّحْر منذ البداية، وحتى الآن، فتوسَّعنا في أجزاء منه، واختصرنا أجزاء منه لضرورة البحث، ونحن نعلم أن موضوع هذا الكتاب من الشمولية ما يمكن أن يُكتَب فيه كُتُبٌ كثيرة مُوسَّعة وعميقة أكثر من ذلك.

ونقول إن الحافز لهذا الكتاب هو الأجر والثواب عند الله تعالى، ولفتة انتباه إلى الاتجاهات الخاطئة التي تُمارَس في المجتمع باللجوء إلى السِّحْر والسَّحَرَة والدّجّالين والمُشعوذين، وكلّ ما له علاقة بالمستقبل، مستقبل الإنسان، من الفنجان إلى الأبراج، إلى الأمل، إلى قراءة الكفّ، والتي هدفها استنزاف الأموال من جيوب الناس.

أَليس من المدهش والعجيب أن يُصرَف مبلغ خمسة مليارات دولار سنوياً على أمور السِّحْر والشعوذة في عالمنا العربي، ونحن بأمسِّ الحاجة إلى الضروريات من الحياة؛ حيث إن الكثير من الناس يعيشون تحت خطِّ الفقر، ونسبة عالية من الأطفال محرومون من التعليم، والطّبّ، والتغذية؟! أَليس من الأجدى صرف هذا المبلغ للمستشفيات، والمدارس، والجامعات، وغيرها، وعلى تطوير العلوم بما فيها من خير للمسلمين؟! أَليس هذا أجدى وأحسن؟! كما أن فيه ردّاً لبعض النظريات التي سادت، وتسود الآن، والتي تعدُّ أن السِّحْر هو الذي أُنشئ بأسطورة، والأسطورة هي التي أُنشأت الدِّين، وكأن الدِّين من صُنع الإنسان نفسه.

وللأسف مانزال نجد كثيراً من الكُتُب والكُتّاب العرب الذين يوردون بشغف أمثال هذه النظريات الغربية الهدّامة، والتي قالها علماء غربيُّون أمثال فريزر، وفرويد، ودوركهايم، وغوستاف يونغ، الذين درسوا فنَّ تقويض الأديان للمجتمعات البدائية، وتوصَّلوا إلى هذه النظريات الهدَّامة.

وليس أجمل من أن نردَّ عليهم من علمائهم الغربيين، الذين قاموا بأبحاث مُكثَّفة وعميقة ودراسات واسعة على الشعوب البدائية، وتوصَّلوا إلى نتائج مدهشة. ومن أهمّ هؤلاء العلماء

---

(1) تفسير، ابن كثير، جـ1، ص 126.

(شمت)، الذي قال بالوجدانية، والإله الأسمى عند الشعوب البدائية من القبائل الزنجية، وعند الكثير من القبائل الأسترالية الجنوبية الشرقية، والقبائل الهندية لأمريكا الشمالية.

ويضيف شمت، فيقول: أمّا عن صفات الإله لدى هذه القبائل؛ فقد نُسبت له السرمدية عند بعض القبائل، والقلم عند قبائل أخرى، والاثنان معاً عند قبائل أخرى. وهو إله خير، وأنه يتحكّم في المكان، ويملأ الكون، ولا شريك له في مُلكه.

لقد لخّص شمت في نظريته هذه التي قامت على الدراسة العلمية المنهجية كافة النظريات السابقة عن السِّحْر والدِّين والأسطورة، وأثبت أن الشعوب البدائية كانت تعتنق فكرة التوحيد، وأثبتها علْماً ومنهجاً، وكأنها يقرأ آية من القرآن العظيم ﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ﴾ الروم 30.

المصادر والمراجع

القرآن العظيم.

الجامع لأحكام القرآن، عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي.

تفسير القرآن العظيم: للإمام أبي الفداء إسماعيل بن كثير، المكتبة العصرية، بيروت، 1997.

تاريخ الأمم والملوك: لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، دار الكُتُب العلمية، طبعة أولى، 2001.

الكامل في التاريخ: عزّ الدِّين علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني المعروف بابن الأثير، حقّقه الدكتور عمر عبد السلام، دار الكتاب العربي، الطبعة الثالثة، 2001.

المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: محد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، الطبعة الرابعة، 1997.

التفسير الوجيز على هامش القرآن الكريم: الأستاذ وهبة الزحيلي، دار الفكر.

الكتاب المقدّس: العهد القديم العهد الجديد.

قَصَص الأنبياء: للإمام أبي الفداء إسماعيل بن كثير، تحقيق محمد عيد درويش، مطبعة الفوَّال، 2000.

مروج الذهب: المسعودي، طبع دار الفكر.

الأصنام: هشام بن محمد بن السائب الكلبي، تحقيق أحمد زكي باشا، طبع دار الكُتُب المصرية، 1995.

آكام المرجان في عجائب وغرائب الجان: الشيخ بدر الدين أبو عبد الله عمر بن عبد الله الشبلي، المكتبة العصرية، بيروت – صيدا، 2002 .

صحيح البخاري، دار الكُتُب العلمية، بيروت، 1998.

الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار ﷺ، محيي الـدِّين بـن عـربي بـن شرف النـووي، مطبعة مصطفى البابي، مصر، 1955.

السيرة النبوية: لابن هشام، طبع دار المعرفة، بيروت.

مقدّمة ابن خلدون: شركة الأرقم بن الأرقم، بيروت، لبنان، إعداد أحمد الزعبي.

الأساطير والأحلام والدين: جوزيف كامبل، دار الكلمة، الطبعة الأولى، 2001.

منعطف المخيّلة البشرية: بحث في الأسـاطير، صـموئيل هنـري هـووك، ترجمـة صـبحي حديدي، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، 1983.

الإله اليهودي: بحث العلاقة بين الدِّين وعلم النفس، ك غ يونغ، ترجمة نهاد خياطـة، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، 1986.

السِّحْر في مصر القديمة: واليس بدج، ترجمة د عبـد الهـادي عبـد الـصمد، سـينا للنـشر، الطبعة الأولى، 1998.

الطوطم والتابو: سيغموند فرويد، ترجمة بوعلي ياسين، دار الحوار، اللاذقية، 1983.

دراسات في العقلية العربية " الخرافة "، د إبراهيم بـدران وسـلوى خمّـاش، دار الحقيقـة، بيروت، طبعة ثانية، 1979.

القَصَص الدِّينية: تأليف هانيريش شباير، ترجمة نبيل فياض، ميـشائيل مـوتريش، لبنـان، ط 1996.

من الوعي الأسطوري إلى بداية التفكير الفلسفي النظري:الدكتور عبد الباسط سيدا، دار الحصاد للنشر والتوزيع.

من سومر إلى التوراة: د فاضل عبد الواحد، سينا للنشر.

دين الإنسان: فراس سوّاح.

موسوعة أساطير العرب عن الجاهلية ودلالاتها: الدكتور محمد عجينية، الفـارابي للنـشر، بيروت، 1994.

نشأة الدِّين: الدكتور علي سامي النشّار، مركز الإنماء الحضاري، حلب، طبعة أولى، 1995.

تلبيس إِبْلِيْس: لابن الجوزي البغدادي: إعداد هاني الحاج، المكتبة التوفيقية.

من تاريخ الإلحاد في الإسلام: الدكتور عبد الرحمن البدوي، سينا للنشر، طبعة ثانية.

مجمع الأساطير اليونانية والرومانية، نشر وزارة الثقافة، 1982.

الإسلام وملحمة الخَلْق والأسطورة: تركي علي الربيعو، طبعة أولى، دار المركز الثقافي العربي، بيروت، 1992.

الجنّ والشياطين بين العلْم والدِّين، رياض العبد الله، دار المركز العربي للكتاب، 1985.

المسكونون بالشيطان: رياض العبد الله، طبعة أولى، 1983.

الدِّين في ضوء علْم النفس: ك غ يونغ، ترجمة وتقديم نهاد خياطة، طبعة أولى، 1988، العربي للطباعة والنشر والتوزيع.

السِّحْر بين الحقيقة والخيال: تأليف محمد زهير الحريري، دار الإيمان، بيروت، طبعة أولى، 1985.

السِّحْر وطقوسه: فراس سوّاح.

شمس المعارف الكُبرى: أحمد بن علي البوني، المكتبة الثقافية، بيروت.

منبع أصول الحكمة: أحمد بن علي البوني، مكتبة القاهرة.

السِّحْر والعلْم والدِّين عند الشعوب البدائية: تأليف برنسلا ومالينيوفسكي، ترجمة فيليب عطية، الهيئة العامة للكتاب، 1995.

المِلَل والنِّحَل: لأبي الفتح محمد عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني، إعداد صدقي جميل العطّار، دار الفكر للطباعة والنشر، 1999.